
القذافي
رسول الصحراء
ميريلا بيانكو



ولدت ميريلا بيانكو في ايطاليا ، لكنها اختارت
الكتابة باللغة الفرنسية ، دكتورة في القانون
وزوجة ديبلوماسي عربي ، عاشت السيدة بيانكو
فترة طويلة في العالم العربي ، لكنها نشرت في فرنسا
كتابين سابقين ، احدهما مجموعة شعرية نالت
اجماع النقاد الفرنسيين .

هذا الكتاب "القذافي رسول الصحراء" وضعته
المؤلفة بعد رحلة طويلة الى ليبيا حيث جمعت
كمية كبيرة من الوثائق ، والتقت بالعقيد القذافي
مرات عدة .

□ صدر للكاتبة

○ ظل الغصن الأخضر: رواية ـ عزدار جوليار

○ العالم الهارب : شعر ـ منشورات سان جرمين دي پريه

□ يصدر قريباً

○ وفاة الضوء ـ رواية

القذافي
رسول الصحراء

سيرة
و
حوار

بقلم
ميريلا بيانكو

دار الشورى

شارع كليمنصو - بناية التاجر - الطابق الخامس - شقة ٥٠٨ - هاتف ٢٢٤١٠٧
ص.ب ٤٢٥١ - بيروت - برقياً: دارا شورى - تلكس ٢٠٦٨٠ دارا شورى

بيروت

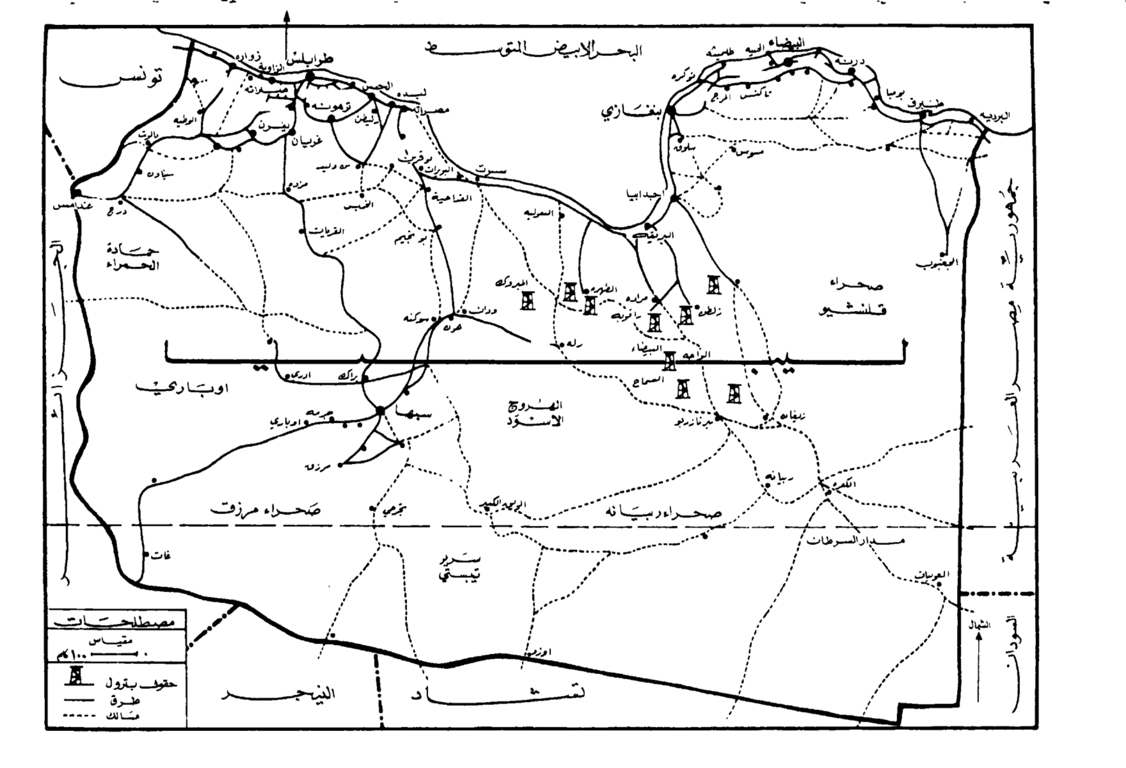
" ليسمح لي هنا أن أعبر للعقيد القذافي عن مشاعر عرفاني بوقته وحسن استقباله وصراحته في الرد على أسئلتي ..."

م. ب.

انني سأتركم هذا ، وانا اشعر بقوة جديدة ودم جديد ... واشعر بالامة العربية فيكم وقد عبرت عن تصميم ... اتركم وانا اشعر أن أخي معمر القذافي هو الأمين على القومية العربية وعلى الثورة العربية وعلى الوحدة العربية « ايها الاخوة يرعاكم الله من أجل سعادة الامة العربية ولتنطلقوا من نصر إلى آخر ، لأن انتصاراتكم هي انتصارات الأمة العربية جمعاء ... يرعاكم الله » .

جمال عبد الناصر

يونيو عام ١٩٧٠



البحر الابيض المتوسط
تونس
الجزائر
ليبيا
جمهورية مصر العربية
السودان
تشاد
النيجر
طرابلس
بنغازي
مصراته
ترهونه
غريان
سرت
اجدابيا
البيضاء
درنه
طبرق
الجغبوب
غدامس
سبها
مرزق
غات
الكفره
العوينات
حمادة الحمراء
صحراء مرزق
صحراء ربيانه
صحراء قلنشيو
الهروج الاسود
اوباري
سرير تيبستي
مدار السرطان
الشمال
مصطلحات
مقياس
حقول بترول
طرق
مسالك



الفهرس

الجزء الأول

اقتفاء أثر الحلم

الجزء الثاني

الحلم يتحقق

الجزء الثالث

الوقائع



مـدخـل

في سهول سرت الكبرى – بلاد غريبة – الاستقلال المبتور – لحظة الاختيار

يناير ١٩٤٢ : بدأ الحظ يتخلى عن ثعلب الصحراء وفيلقه الافريقي ، كان الجنرال أوكلنك وجيشه الثامن يحاول إسقاط برقه ، اذ بدأ حملات متتابعة طوال فصل الخريف وخلال الأسابيع الأولى من الشتاء ضد صفوة جيش المانيا النازيه . وبعد سلسلة من الانتصارات التي أدخلته عالم الاسطورة ، اضطر رومل الى التخلي عن مقره العام المبني تحت الماء بحذاء ساحل مرسي مطروح تحت الصخرة التي كانت كليوباترا تستحم عندها في سنوات غابرة .

والآن وبغية تجنب الأسر ، بدأ رومل ينسحب بسرعة نحو طرابلس ، فيما راح كشافة الجنرال اوكلنك يتعمقون في وادي سرت الكبير المتحجر .

يونيو ١٩٤٢ : رومل يبدأ هجوماً مضاداً ، ويحرك دباباته من طرابلس باتجاه برقة ، داحراً الجيش الثامن خلف سرت ، وما بعد درنة وعين غزالة ، حيث انهزم في ٢١ يونيو وانهارت بذلك معه كل آمال الحلفاء .. ان طبرق لم تعد بعيدة .

لقد شهدت قبائل سرت هزائم الايطاليين ، ثم الانجليز ، وشهدت الالمان ثم الانجليز مرة أخرى ، والالمان أيضاً . سمعت أصوات الدبابات تمزق سكون السهوب المليئة بالأغصان الخضراء .

وشهد أهل هذه القبائل حرباً قاتلة لا تعنيهم ، تفرض نفسها بينهم وبين سكونهم ووحدتهم ، فراحوا يحاولون في ظل خيمهم ايجاد مأوى هزيل .

ولكن في ذلك الربيع .. وفي احدى خيم قبيلة « القذاذفة » العربية – البربرية حلت سعادة ما ، فثمة طفل أبصر النور . انه ولد جميل ، قوى البنية ، وسوف يعيش ويكون الأخير في الاسرة ، معبود أبويه ، والمدلل من شقيقاته الثلاث .

لقد بلغ الرضا مبلغه لدى محمد عبد السلام بن حمد بن محمد ، الذي كان آنذاك يقارب الستين من عمره ، انه يتذكر سيدي معمر ، ذلك الولي الذي تثق في بركته منطقة ترهونة كلها ... ألم يُصَلِ لديه مئات المرات راجياً من الله أن يهبه مولوداً ذكراً ؟ اذا ، سوف يعطي ابنه هذا الاسم .. معمر .

وهكذا ، وسط الضجيج وتفجر السلاح ، في سهول سرت الكبيرة ، أبصر معمر القذافي النور : القذافي .. رسول الصحراء .

* * *

بلد غريب ووطن غريب لهذا الطفل ، الذي استهل حياته وسط هدير الدبابات ودوي المدافع . بلد كبير ... بلد الزيتون والرمال ، بلد الجبال الخضراء والبحر المتوسط ذى الزرقة البيضاء المتوهجة . بلد الكثبان المتحركة وسلسلة جبال أركينو والعوينات الثابتة . بلد المتناقضات حيث يعتري المسافر شعور بالدوار واحساسُ بطعم الحلم ، لكثرة ما فيه من تصادمات طبيعية ، متناقضة في الظاهر ولكنها متعايشة في الواقع .. الوديان الزرقاء مع القمم البيضاء والحمراء والنبات الغني في سهول برقة ومراعي سرت .. سهول القمح الخضراء مع الينابيع المتفجرة .. الجبال والمنحدرات .. الواحات المليئة باشجار النخيل الباسقة مع ساحات الحجارة الرملية التي تنصهر في الأفق مع صخور البازلت البركانية ونبات الصبار .. الاجراف الصخرية والزهور البرية مع السنة لهيب النفط وتدحرج الأمواج

خلف أعمدة لبدة ، ونقوش فزان الصخرية مع سراديب ومقابر شحات التي تنحدر حتى البحر وتطل عليه بمئات الأعين العمياء .

بلد غريب .. حيث يخال المرء نفسه يذوب تحت شمس طرابلس ، واذا به بعد ثلاث ساعات يشعر أنه سوف يتجمد في البيضاء حيث رياح الشمال الثلجية تصفّر فوق مياه بنغازي ، وترفع في خليج درنة رذاذاً كذلك الرذاذ الذي يعرفه المحيط الهادي ، ثم تتتالى رياح الشلوق الخانقة – التي لا يمكن التنبؤ بها – مع ريح جنوبية شرقية ، وحيث يتبع الجفاف هطول أمطار غزيرة تجرف كل شيء يصادفها . وهي ترعب البدو اذ تتسبب في غرق ومقتل الكثيرين منهم ومن قطعانهم ومواشيهم ... وهناك الغزلان الساحرة والظباء المزركشة تعيش وتتجاور مع جميع أنواع الأفاعي والثعابين .

بلد غريب .. تعاقب عليه الغزاة على مر العصور .. الفراعنة والفينيقيون والاغريق والرومان والوندال والبيزنطيون والعرب والنورمانديون والاسبان وفرسان مالطه ، ثم الاتراك والايطاليون والانجليز والفرنسيون .

شعب غريب ، نواته عربية – بربرية اختلط بها الأتراك ، وانصهر معها زنوج تيبستي .. شعب من البدو والحضر ، يدين بالاسلام ويحس بعمق انتمائه العربي ، وحيث السكان لا يشبهون العرب الا بمقدار بسيط ، فهم صامتون ومتأملون ، يظهرون حذراً في بداية الأمر ، ثم لا يلبث أن يحل اللطف المتناهي والصادق مكان الحذر ، مرهفو الحس ، خاصة تجاه سحر الكلمة ، متحمسون للأفعال والوقائع .

هذا الشعب هو بالفعل أفضل تعبير عن أرضه .

قدر غريب هو قدر ليبيا التي تشهد فجر استقلالها يبزغ مع نهاية الحرب العالمية الثانية والذي تحصل عليه بالصدفة .. ألم يُقل أن هذا الاستقلال الذي ناضلت من أجله أولاً في مقاومة الطليان طوال فترة الاستعمار ، ثم باشراك خمس كتائب مع جنود الحلفاء ، ألم يقل ان هذا الاستقلال انما يرجع الفضل فيه الى سهو ممثل هاييتي في الأمم المتحدة

الذي كان لصوته فضل ترجيح الكفة لصالح ليبيا في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ ؟

استقلال غريب .. ليس باستقلال ..

* * *

فاذا كانت الأمم المتحدة قد أوصت ، قبل الأول من يناير ١٩٥٢ ، بخلق دولة ليبية مستقلة ذات سيادة ، تضم طرابلس وبرقة وفزان ، واذا كانت قد قررت دعوة جمعية تأسيسية ، وتسمية مندوب للفترة الانتقالية ، واذا كان الاستقلال قد أعلن رسمياً في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ وأعلن معه الدستور الجديد للدولة الاتحادية . اذا كان كل ذلك قد حدث ، فليس هناك في هذا الدستور المفصل بتخطيط اوروبي ، ما يتفق مع الواقع المحلي . ولم تكن بريطانيا وفرنسا بعيدتين عن ذلك التخطيط .. كما ان الولايات المتحدة لم تتأخر هي أيضاً عن تأمين مكان مميز لها في المملكة الليبيــة الجديــدة .

منذ عام ١٩٥١ ، وبواسطة سفيرها في طرابلس ، سارعت بريطانيا لمناقشة تفاصيل ترتيب موطىء قدم لها في المنطقة ، طويل المدى ، مع ملك عجوز أبدى كل استعداده لاستقبالها في بلاده . وبصفته تلميذاً قديماً للورانس ، لم يبد السيد الكسندر كيركبرايد أي ضيق ، فهو تلقى تدريبه في الاردن تحت امرة جلوب باشا ، ومع رؤساء من هذا النوع كيف نستغرب أن يغرق ليبيا بالعملاء السريين الذين أطلق عليهم صفة الخبراء والمدربين والمستشارين الاقتصاديين ؟ لقد تسلم كل هؤلاء المراكز الرئيسية في الادارة ، فسارت الامور بسرعة كبيرة حتى تم تحضير وتوقيع كل اتفاقيات المساعدة المالية الانجليزية – الليبية قبل مرور عام واحد على الوجود البريطاني . وتم التخطيط بعناية لكل شيء . وخاصة بناء جيش تم تطويقه بالكوادر ، وبسبب براعتهم في هذا المضمار ، صمم الانجليز ألبسة الكتيبتين على شكل (زي الميدان) مع القبعات السوداء التي اشتهر بها مونتجمرى ، بحيث بدت طريفة حقاً ، وتبع ذلك بناء جهاز من البوليس – ألحق بالسلطة المركزية – كان على رأسه لواء يدين بولائه المطلق للانجليز لأنه سبق ان كان في خدمتهم بفلسطين خلال الانتداب . وأخيراً وليس بآخر ألحقت ليبيا بمنطقة الاسترليني ،

واذا كانت العملة الليبية تعتمد على الجنيه الاسترليني فإن العجز في الموازنة الليبية كانت تسده مساعدة مالية سنوية من لندن ، وكان ذلك استثماراً مربحاً ، فالبريطانيون كانوا يعلمون بوجود النفط في الأرض الليبية !

وفي ديسمبر ١٩٥٣ أعطت معاهدة ثانية لبريطانيا حق الاحتفاظ ولمدة عشرين عاماً بقواعد على الأرض الليبية وبإبقاء فرق عسكرية مرابطة فيها وذلك مقابل مبلغ سنوي قدره ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين الف جنيه استرليني . أما فرنسا ، التي كانت قد توغلت الى فزان عام ١٩٤٣ مع جيش الجنرال لوكليرك ، مؤسسة في تلك المنطقة الصحراوية الشاسعة ادارة عسكرية نشطة ، فإنها تحركت بذكاء أقل تاركة الانجليز والامريكيين يسبقونها في هذا المجال ، لكن ما أنجزه الفرنسيون في فزان لا يستهان به ، وقد تجلى ذلك في عدة حقول منها الصحة العامة والتربية والتعليم والتدريب المهني ، كما ساهمت فرنسا بمبلغ غير قليل بلغ حوالي ٢٩٣ مليون فرنك فرنسي سنوياً . لكن ذلك كان يستند الى اتفاقيات مؤقتة تجدد ضمناً . وفي عام ١٩٥٤ قررت ليبيا عدم تجديدها ، وبدأ نفوذ عبد الناصر في الظهور ، وبدأ العالم العربي يتحرك ، فما الذي يمنع من اثبات الوطنية خاصة أنه وفي السنة نفسها تم توقيع معاهدة مربحة بشكل خاص مع الأمريكيين فهؤلاء – بعد أن أتت بهم الحرب الى كل مكان – لديهم نية تحويل المطار الذي كانت قيادة النقل الجوي قد اقامته في عام ١٩٤٥ بالقرب من طرابلس ، الى قاعدة ، ومقابل الاحتفاظ بحق استعمال هذه القاعدة الجوية « ويلس » لمدة عشرين سنة ، تعهدوا بدفع مبلغ سنوي لليبيا قدره مليونا دولار . وهذه الدولارات ذات النجوم ، مضافة إلى الجنيهات الانجليزية ، تشكل مبلغاً يصبح من السهل معه الاستغناء عن الفرنكات الفرنسية . ومن جهة أخرى فلا الانجليز ولا الأمريكيون أبدوا أي اهتمام أو انزعاج من استمرار الوجود الفرنسي في ليبيا ، على أن فرنسا اتخذت قرارها وانسحبت من فزان .

واذا كان الانجليز لا يختبئون ، فإن الأمريكيين حطوا رحالهم في طرابلس مع عائلاتهم وسياراتهم وادارتهم ومصالحهم ، في نوع من العزلة الرهبانية . عزلوا أنفسهم في قاعدة ويلس « الملاحة » ثم لم يلبثوا

أن تجاوز عددهم العشرة آلاف رجل ، انكبوا على أعمال غامضة داخل ذلك السور المغلق الذي يشغل مساحة ٢١ كيلومتراً مربعاً ، والمحصن بحائط مرتفع .

ان الايطاليين الذين كانوا قد بنوا في ذلك المكان بعض المدارج والممرات الصغيرة في الثلاثينات ، أصيبوا بدهشة عظيمة عام ١٩٥٥ و١٩٥٦ ، أمام تلك السلسلة من المطارات الأمريكية المصطفة بين الخليج العربي والمحيط الأطلسي .. مدارج للطائرات النفاثة ، خزانات وقود عملاقة .. جهاز كامل وكبير من المواصلات الاستراتيجية ومراكز الاستماع باتجاه الشمال الشرقي . هذا دون الكلام عن مستودع كامل لتموين الاسطول السادس . لكن الامريكيين كما نعلم قوم كرماء . فهم اضافة الى ايجار القواعد ، تعهدوا بدفع اربعة ملايين وخمسمائة الف دولار في شكل مساعدة فنية من « النقطة الرابعة » .

ماذا عن الايطاليين ، اولئك المستعمرين القدماء ؟

هم أيضاً ، حاولوا البقاء في ليبيا بعد الاستقلال ، لكنهم بقوا يدفنون ، بخسارة كبيرة ، أموالهم في مشاريع الزراعة والتربية ، ولم يتوصلوا الا بعد جهد كبير عام ١٩٥٦ الى توقيع اتفاقية مع الحكومة الليبية تنص على ضمان الأملاك الخاصة للإيطاليين المقيمين في ليبيا مع اعادة ٣٥ ألف هكتار من الأراضي الى ١٣٠٠ مستوطن ، ومقابل ذلك تتنازل ايطاليا عن أموالها الحكومية .

استقلال غريب كما نراه .. لكن في عام ١٩٥٢ انضمت ليبيا الى جامعة الدول العربية . وضمن اطار علاقات ليبيا مع الدول العربية الأخرى وضمن اطار استقلالها المشوه يجب البحث عن خلفيات ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ .

* * *

في شكل عام ، كانت العلاقات المصرية – الليبية ، وخاصة العلاقات بين برقة ومصر ، جيدة خلال القرن التاسع عشر ابان حكم الاتراك ، وكذلك في أوائل القرن العشرين فترة الاستعمار الايطالي ، لكن هذه

العلاقات توطدت بعد وصول الفاشية الى الحكم . وأصبحت مصر بالنسبة لليبيين مأوى لجأ إليه العديد منهم ، ومن بينهم الأمير ادريس ، هرباً من المعتقلات الايطالية ، لكن هؤلاء اللاجئين سوف يعودون الى ليبيا – على الأقل البعض منهم – عام ١٩٤٠ ، بسبب مفاوضات الاستقلال التي كان يقوم بها الحكم الاستعماري ، الا ان الكتائب الليبية الخمس التي حاربت إلى جانب رجال مونتجمرى ، فقد تم تجنيدها من بين الذين اختاروا البقاء في مصر .

بعد الحرب ، راودت الملك فاروق فكرة اقامة اتحاد بين البلدين ، لكنها بقيت مجرد فكرة عابرة ، ذلك ان بريطانيا كانت ترى الأمور بمنظار آخر ، فكانت المملكة الاتحادية التي زرعت في ليبيا .

وبالرغم من خيبة أملها ، اعترفت القاهرة بالعرش السنوسي وحاولت استمالته نحو مصر وبقية دول المشرق العربي ، الا ان هذه الجهود ذهبت سدى بالرغم من توقيع اتفاقية اقتصادية عام ١٩٥٢ تلاها اتفاق ثقافي .

وحين زار ملك ليبيا مصر في نهاية مارس ١٩٥٣ ، حاول اللواء محمد نجيب عبثاً اقناعه بعدم توقيع المعاهدة مع بريطانيا ، لكن البديل الذي عرضته مصر كان دون الذي تعرضه لندن بأشواط ...

عندئذ وصل عبد الناصر الى قمة السلطة . وأثار الحمية في ليبيا كما في كل الدول العربية ، وسوف يكون لأسطورته والهالة التي تحيط به تأثير بالغ على مستقبل الشعب الليبي . فلم يلبث عبد الناصر أن فضح الاتفاقيات التي وقعتها ليبيا مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة والتي أصبح استقلال المملكة السنوسية رهينة لها . وقد حاول المسؤولون الليبيون التخفيف من اندفاعهم ، بسبب عدم قدرتهم على التصدي للحجج الناصرية . وتركوا العلاقات تزداد سوءاً بين البلدين بالرغم من وجود العديد من المصريين في ليبيا يحتلون المراكز الادارية الحساسة أو يمارسون أعمالاً مهنية حرة .

لكن سحر عبد الناصر وسيطرته على عقول الجماهير الليبية حالا دون قبول ليبيا الانضمام إلى حلف بغداد في العام ١٩٥٥ الذي عرضته العراق .

وسوف تظهر تأييداً لتأميم شركة قنال السويس لكنها سوف تكتفي بالحصول من البريطانيين على وعد بعدم استعمال قواعدهم في ليبيا ضد مصر.

لكن هذا الموقف الحذر أزعج مصر كما أنه لم يرق للشعب الليبي . وأصبح ابتعاد الجماهير الليبية عن حكامها يتزايد مع استمرار الاستماع إلى إذاعة القاهرة « صوت العرب » ، ثم ما لبث أن تحول إلى سخط حقيقي وعنيف حين ساد شعور بأن القواعد البريطانية والأميركية في ليبيا قد ساهمت – كما أعلنت القاهرة – في هزيمة الدول العربية خلال حرب ٦٧.

وبغية تطويق النفوذ الناصري المتعاظم في ليبيا ، ضاعف النظام السنوسي جهوده في الاتجاه المعاكس والمخطط له منذ ١٩٥٨ : التقارب مع دول المغرب ذات الميول الغربية والتي تتناسب مع النظام الليبي أكثر من الناصريـة .

بعد ذلك بعام ، وبمناسبة زيارة رئيس وزراء ليبيا لتونس ، اطري الرئيس الحبيب بورقيبة بشدة على فكرة اقامة « المغرب الكبير » من السلوم إلى الدار البيضاء . وبعد ذلك بمدة قصيرة ، وقعت تونس وليبيا معاهدة حسن جوار . فرد عبد الناصر بعنف واتهم الدولتين بأنهما تحاولان تفرقة العرب . والمقصود من ذلك الهجوم كان بورقيبة لأن العلاقات بين تونس ومصر في ذلك الوقت كانت تمر بمرحلة توتر كبيرة . ولكن النظام الليبي هو الآخر تحفظ كثيراً بسبب التناقضات الأساسية بين الاشتراكية الدستورية والنظام الاقطاعي عند الملك أدريس ، والمشاكل الاقليمية (مشكلة الحدود بين البلدين والتي حددت بموجب الاتفاقية التركية – الفرنسية عام ١٩١٠ وأعيد تأكيدها بموجب الاتفاقيات الفرنسية – الإيطالية وقد طالب الرئيس بورقيبه مراراً ببعض حقول النفط المكتشفة في الصحراء مدعياً أنها تقع ضمن الحدود التي كانت ملك تونس) . ومشكلة الليبيين المقيمين في تونس والذين طلب إليهم في عام ١٩٥٦ ، العودة إلى بلادهم .

---

١) الرئيس التونسي لديه تسلسل في الأفكار : في سبتمبر عام ١٩٧٣ اي بعد ذلك بثلاثة عشر عاما ، نجده يقترح هذه الفكرة من جديد رغم التحولات التي حدثت في المنطقة خلال هذه الفترة .

لكن التقارب الذي دعا له بحماسة الرئيس بورقيبة – وهو محض اقتصادي – لم يبدأ مفعوله سوى في عام ١٩٦٣ .

فيما يختص بالجزائر ، كان مفترضاً في العلاقات أن تكون متينة . وهذا ما كان بالفعل ، ففي عام ١٩٥٥ أعلنت الحكومة الليبية تأييدها ودعمها للوطنيين الجزائريين ، ثم اعترفت ليبيا « بجبهة التحرير الجزائرية » يوم أعلن تشكيلها في تونس في ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ . لكن استلام بن بللا السلطة مكان بن خده لم يلق قبولاً أو استحساناً في ليبيا . ومرة أخرى يجد الملك أدريس نفسه في تناقض مع إرادة الشعب الليبي الذي ، من جهته ، أيد الزعيم الجزائري الجديد .

أثر ذلك الموقف على علاقات البلدين ، وازدادت هذه العلاقات سوءاً فيما بعد بسبب المنافسة البترولية . وذلك أن ليبيا كانت تنتج في عام ١٩٦٤ ، ٤١ مليون طن مقابل ٢٥ مليوناً كانت تنتجها الجزائر ، لكن موقف كل منهما تجاه الشركات الأجنبية أظهر تناقضاً كبيراً . فالشركات النفطية الأجنبية العاملة في ليبيا ، وهي بأغلبيتها أميركية ، كانت تتمتع بشروط مالية أفضل مما في الجزائر . وقد حاول الجزائريون جاهدين لاقناع جيرانهم باتباع سياسة نفطية أكثر « وطنية » . لكن الحكومة الليبية قاومت الضغوط واستطاعت – مكافأة على موقفها – في عام ١٩٦٥ الحصول على اتفاقية بامداد ايطاليا بالغاز الطبيعي بسعر أدنى من السعر الجزائري .

ومن جهة أخرى ، كانت العلاقات مع المغرب متوترة بسبب اقدام الملك أدريس على اقامة اتصالات مع السلطان بن عرفة في العام ١٩٥٣ . ولم تعد العلاقات الدبلوماسية بين البلدين الا في عام ١٩٥٨ ، بعد ثلاث سنوات من عودة الملك محمد الخامس إلى بلاده . وبعد ذلك بفترة ، أي في مطلع الستينات ، بدأ ارساء قواعد تعاون اقتصادي مع دخول بعض الشركات المغربية في مشاريع بناء مساكن شعبية في ليبيا .

وفي ربيع ١٩٦٥ وقعت بلدان شمال افريقيا الأربعة اتفاقية تعاون في سياسة الاستيراد ، والمواصلات ، وصناعة الفولاذ ، وتصريف

المنتوجات الزراعية. كذلك قضية توحيد شركات الطيران وضعت خطتها بتأسيس شركة سميت «طيران المغرب».

ذلك كان اختيار الحكومة الليبية في سياستها العربية. وكان من الواضح جداً ذلك التفاوت الكبير بين فتور وتخاذل النظام واندفاع وحماس الجماهير التي سوف تؤثر كثيراً في ترجيح كفة الميزان. ان وقوف أي نظام بوجه تطلعات وآمال شعبه لا يبقى دون عواقب عكسية: وهذا مبدأ يتجاهله الحكام في أغلب الأحيـــان.

ولم يكن خافياً أن العرش السنوسي كان منشغلاً في مشاكل داخليه وقضايا تتعلق بالسلالة، وفي مواجهة مع معارضة تزداد قوة وحركة.

ومن أجل توضيح الأمور وفهم المشاكل، يجدر التذكير بظروف زرع أخوية مسلمة في ليبيا حوالي العام ١٨٤٠، سميت «بالسنوسية» (على اسم مؤسسها سيدي محمد السنوسي) والتي لعبت دوراً مهماً في تقرير مصائر البلد.

ان هذا الرجل الهام والكبير ولد عام ١٧٨٧ في عائلة شريفة هي سليلة «أدريس»، مؤسس الاسرة الادريسية في منطقة فاس، وتنحدر مباشرة من سلالة النبي محمد (صلعم). وبعد أن ترك المغرب حوالي سنة ١٨١٧ من أجل آداء فريضة الحج في مكة المكرمة، مرّ بطرابلس ثم توقف عند الجـامع الأزهر في القاهـرة لمتابعة التحصيل، ثـم استقر في الحجاز حيث أجرى اتصالات مع الطائفة المحمدية – وهي طائفة أسسها أحد أنسبائه – واعتنق معها مبادئها الصوفية. والأخوية الجديدة، التي تحدد انتماءها إلى الصوفية، تأخذ مقراً لها في مكان على تلة تشرف على مكة المكرمة. لكنها لم تلبث أن تتسبب في عداوة السلطات لها حين بدأت تمارس نشاطاً سياسياً واقتصادياً له علاقة ببدو الحجاز.

وهروباً من الاضطهاد، قرر محمد السنوسي الانتقال من المنطقة، والاستقرار في برقة، حيث تولد، تحت رعايته «زاوية» البيضاء

ولم يلبث بعد ذلك أن امتلأ الجبل الأخضر بالزوايا الفرعية . لكن مرة أخرى ، النجاح يجلب الاضطهاد : فيضطر الشيخ محمد إلى الإنتقال صوب الجغبوب في البدء حيث تصبح المقر الرئيسي للسنوسية والمسكن الدائم للعائلة .

ثم ينتقل جنوبا ، إلى الكفره وتيبستي ، حيث يضطر السنوسيون إلى مقاومة الفرنسيين والإيطاليين . ومقابل ذلك ، لم تتوان بريطانيا لحظة في دعم السنوسيين اذ كانت تعرف أنها بتأييدها لهم وتقويتهم سوف يصبح حظها في السيطرة على البلاد كبيراً .

وبالفعل ، وبعد اعلان استقلال ليبيا ، وبسبب الانقسامات المحلية الكبيرة ، اعتمدت الدولة الجديدة على الملكية . وهذه الأخيرة لا تتحقق الا بواسطة العائلة السنوسية التي تتمتع بنفوذ ديني لا يقبل المنازعة . ويقع الاختيار على السنوسيين لاستلام العرش ، لكن مشاكل الوحدة الوطنية بقيت . فإذا كان سكان طرابلس ، وهم أكثر عدداً ، يخشون سلطة مباشرة من السنوسيين ، ويفضلون سلطة مركزية ، فان سكان برقة كانوا يخشون المركزية لتفادي الوقوع تحت سيطرة طرابلس الغرب . في حين أن فزان وبالرغم من علاقاتها الجيدة مع برقة ونطاق العزلة الذي ضربته حول نفسها كانت تتمنى المحافظة على استقلالها الذاتي .

وسوف يحاول بعد ذلك الملك ادريس ، جاهداً ، ضم طرابلس إلى الاقليمين الآخرين بأن يطرد منها جميع العناصر الوطنية المؤيدة لسياسة مصر العربية والمعارضة للاتفاقيات مع بريطانيا والولايات المتحدة . ومرة أخرى ، يلجأ إلى أساليب وحلول تجري عكس تيار التاريخ ، وهكذا حلول مصيرها الفشل . ومع زيادة الانشقاق بين طرابلس « التقدمية » وبرقة التي يحاول جاهداً (نفخ) روح الرجعية فيها ، يفتح الملك الطريق أمام الانقسامات ، والمؤامرات من مختلف الأنواع ، ودسائس البلاط التي تنتهي بفصول لا تليق الا بجمهورية البندقية .

وفي الوقت نفسه ، تبدأ الحياة السياسية في البلاد تتفكك في تطور سريع ومتتابع بعد اكتشاف النفط والنتائج التي أثارها في هيكلية المجتمع الليبي ، كظاهرة التمدن ...

ويحاول الملك وقف هذا التدهور بحصر جميع السلطات : فيلغي الاتحاد ويستبدله في ٢٥ ابريل ١٩٦٣ بنظام « الوحدات الإدارية العشر » وعلى رأس كل منها موظف يعين بمرسوم ملكي . لكن هذا الإجراء كان هزيلا جدا . فنشطت حركات المقاومة السرية ، وتضاعفت بين ١٩٦٤ و١٩٦٨ الاضطرابات والمظاهرات وتحولت إلى اصطدامات وعمليات قمع دموية في معظم الأحيان . وكانت الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ وثبة الوعي الجديدة . فبعد أن رفض الملك تشكيل فرقة متطوعين ليبيين ، جرد – أيضاً – مجموعة من الضباط الليبيين من رتبهم لأنهم كانوا قد ذهبوا سراً إلى سيناء . وحين أراد رئيس وزرائه ابقاء الحظر الكامل على النفط بعد نهاية الحرب ، أقاله من منصبه .

ولما رفض النقابيون اعادة « تشغيل » محطات الضخ النهائية لشركة ب . ب . البريطانية « والكالتكس » كانت نهايتهم السجن أو النفي . وتوالت المظاهرات الشعبية وتعاظمت ، وكذلك القمع الوحشي الذي هو صورة مطابقة للأنظمة المحكوم عليها بالزوال .

وسقط هذا النظام في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ، في يوم حقق فيه ملازم شاب في السابعة والعشرين من عمره ، حلماً بدأ في مدرسة فزانية تحيطها الرمال...حلماً تابعه ، خطوة خطوة ، طوال مسيرة ساقته من فزان الى مصراته ومن مصراته إلى بنغازي إلى طرابلس ، مروراً بالفيافي التي تتناثر عليها غابات سرت الكبرى حيث لا تزال تعيش عائلته ، وحيث يأتي غالباً رئيس الدولة الليبية الشاب بغية لقاء منبع وحيه وإيمانه العميق .

* * *

الجزء الأول

إقتفاء أثر الحلم

" إنني اتيه حبا بمن يحلم بالمستحيل ... "

جوته



١

سنوات سرت (١٩٤٢ – ١٩٥٦)

انعكاسات البحر تتراءى من بين جدائل النخيل .. وساحل طرابلس على البحر الأبيض المتوسط يغرق في مشهد تختلط فيه الزرقة باللون الأخضر ويضج بالأمواج المتحركة ... طبيعة ساحرة تكسبها الشمس اغراء السراب قبل أن تذوب في التهاب أخير .. اشجارها أمواج وحقولها زبد يغني .. طبيعة ساحرة يزينها ليل افريقيا بنجومه المعلقة فوق الاشجار ، في حين ترقد اشجار الزيتون متواضعة وكأنها تكنس الأرض بأغصانها ، وينسيك الأخضر واللازوردي أنك في ليبيا « علبة الرمال الهائلة » كما أسماها عام ١٩١١ ، سياسي ايطالي عجوز أمام برلمان بلاده الذي كان شديد الحماس لفكرة المغامرات السياسية .

ومن طرابلس الى مصراتة ، تنساب مع سحر غريب تدخل أعمدة « لبدة » الرخامية وحماماتها العامة في طبيعته. وتنسى أنك مقدم على ثمانمئة كيلومتر – طريق بنغازي – من الرمال البيضاء والأرض الحمراء ... أرض بلون العطش والعزلة وجمود تلال سرت الكبرى .

اسم غامض لحدود امبراطورية قديمة ، وفراغ لا يحكمه سوى الريح وحفنة من البدو الرحل .. خيامهم تتجمع في اعداد قليلة لا تزيد عن الخمسة ، وهي منخفضة تكاد تضيع بين الصخور ، ومن بعيد تتراءى لك قامة امرأة تتبع قطيعها ، وحيدة جليلة ، تبعث الحياة حيث كان كل شيء يوحي بالعدم ، وتتساءل عن حياة هؤلاء الناس وأفكارهم ، والأهواء والمخاوف التي تستبد بهم ، وتضخمها الأبعاد والمسافات والعزلة .

أن تدعي فهم هؤلاء الناس فهذا مجرد وهم ، لكنني حين تجاوزت سرت الى عائلة القذافي تملكني حدس – تبين لي صدقه فيما بعد – ألقي ضوءا على مغامرة هذا الانسان المتفوق .. في الصحراء وحدها ينبغي أن أبحث عن الجذور العميقة لشخصية القذافي .. عن روحانيته بل وتصوفه الغالب على كل ميل قد يتحكم في مسلكه السياسي .

وليست سرت صحراء رملية .. كما أنها ليست مجموعة تلال تتماوج وتحجب الأفق عن الأنظار .. انها مسطح من الأرض مستقيم تتخلله بعض الأشواك الخضراء .. وزرقة السماء غطاء نصف دائري يطبق على الصمت والهواء النقي ، هذا حين يصفو الطقس ، أما العواصف الممطرة فيبدو أنها مرعبة ، وعلى أي حال لم تكن صحراء سرت مخيفة ولا مولدة للقلق ، فهي لا تتحرك ولا تنصب لك فخا ، انها هنا صفراء وخضراء ، وانطلاقةُ حرية مطلقة كاملة ، وشعور بالسمو تتقبله بعفوية ، لأنه يحملك الى مرتفعات يصبح فيها أي لقاء أمر ممكن .

وفكرة هذه الحرية .. حرية أهل الصحراء الفالتة التي لا تخضع إلا للاله وحده .. هي في أساس كل اختيار أو قرار عمل يصدر عن القذافي بما في ذلك مسلكه السياسي .. اعتقاده هو أن لا خلاص ولا سلام للانسان ولا للأمم الا بالايمان بالله والقيم الاخلاقية التي ليس في وسع أي الزام أن يكفلها الا الايمان .. ولا يمكن أن تنبع الا من الايمان .

في هذا المناخ ، عاش القذافي سنوات عمره الأولى ، والصورة التي سيرسمها له والده وأخته وأبناء عمومته ، سوف تبرز بوضوح أن في معمر ابن السابعة أو الثامنة ، نفس الصفات والمميزات التي تراها في القذافي .. الرجل .

قيل لي « كان مختلفاً جدا عن الآخرين .. بالطبع كان يحرث الأرض ويرعى الماعز والابل ، وكان جادا صارما ، على أنه لم يكن يميل الى العبوس بل على العكس كان دائم الابتسام . ولم يكن يحب اللهو ولا يختلط بأبناء عمه الصغار .. كان دائما مشغولاً بالتفكير في أمر ما » ..

وأكد لي والده أن فكرة ارساله الى المدرسة جاءته بوحي من الله بالطبع ، وأيضا بفضل ذكاء القذافي ونظرته الجادة الى الحياة .. كان يحب الاستماع الى القصص الواقعية ، قصص الايطاليين ، ومقتل جده وهو يقاومهم ، وجرح والده في كتفه الأيسر وهو يكافح الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى .. « ... ومن كان رئيسك ؟ » ويجيب الوالد بصبر وللمرة الألف « كان رجلا تركيا .. » .. رجل تركي ! ، وترتسم في مخيلة الراعي الصغير الذي بدأ يتفهم لعبة التحالفات شخصية « الرجل التركي » الغريب ، ويغفو على فراش القش المطروح على الأرض الرملية ويحلم بالثورة والحرية .

جلست أرضا تحت الخيمة المتخبطة بالهواء .. أستمع الى كلمات الكهل البطيئة ، وقد مددت يدي الى ابريق الشاي الأزرق الذي يغلي فوق الفحم المشتعل ، كانت الابتسامة ترتسم على شفتي الأب وهو يتذكر ولده ، وكنت وأبناء عم القذافي – الذين كانوا رفاق صباه وما يزالون رعاة – نحيط بالوالد ونفكر بأيام ليست بعيدة كان فيها العقيد معمر القذافي بدويا صغيرا يلقي رأسه على ركبة أبيه في الأمسيات ويستمع بشغف الى « القصص الواقعية » .

قال والده : « ما أردت له أن يشاركنا المصير .. كنا ستة .. وجميعنا أميون .. أردت لابني الوحيد أن يتعلم ، رغبته كانت كبيرة في العلم وكان لا بد وأن تدفعه هذه الرغبة الى احتلال مركز مرموق ، وخلال احدى سفراتي الى فزان حيث كنت أذهب لأقايض المواشي بحثت له عن معلم يلقنه القرآن الكريم ، وعدت به الى هنا .. كم كان عمره وقتئذ .. ؟ سبع أو ثماني سنوات .. كان يحفظ بسرعة فائقة ، ولم يكن يفارق معلمه لحظة واحدة ، وكان أبناء عمه يستمعون الى الدروس جالسين على الأرض تحت الخيمة ، لكنهم كانوا يتهربون في أول فرصة تسنح » .

ويضحك أبناء العم الحاضرين ، ويعاد صب الشاي ، وأغتنمها فرصة لأتجول بنظري في أرجاء الخيمة .

كانت أوسع قليلا من الخيم الأربع المجاورة لها والتي تخص شقيقة القذافي

وأبناء عمه ، وكل أثاثها سرير في وسطها تكدست عليه الوسائد . أما الألحفة الصوفية ووسائد القش فملقاة على الأرض ليجلسوا عليها ويتكئوا ، والجو العام لا يخلو من المرح ، فالألوان فاتحة زاهية ، وفي زوايا الخيمة أرفف خشبية عليها مخزون الشاي والسكر والصابون وبضع حقائب وسرير عسكري صغير مطوي . ولكن هذا التقشف الصارم لا يوحي بالفقر ، بل تشعر وأنت داخل الخيمة براحة ، وتحس أنك في بيتك ، وفي معزل عن الرياح التي يعلو صوتها وينخفض ولكنها لا تصمت أبدا .. هنا تشعر بالأمان .. قرب الموقد وحيث يسكب الشاي بعد أن يتكثف وتصبح رغوته في لون القشدة .

ويتابع الوالد « نعم .. كان معمر يتعلم بسرعة ، وكان تقيا لا ينسى فرضا من فروض الصلاة وكنت مشغولاً بدراسته التاليه ، وحين بلغ التاسعة أو العاشرة أرسلته الى مدرسة سرت ، رغم ما كان ينطوي عليه ذلك من تضحيات ... لقد كنا فقراء جدا » .

وفكرت بدهشة بالغة « اذن .. فقد بدأ ذلك الصبي دراسته في العاشرة من عمره .. » واندفعت مع رغبتي في طرح أسئلة جديدة ، وترددت أمام هذا الكهل الجليل ابن السابعة والثمانين ، الواعي الذهن ، بصوته الرخيم الهادىء ، وعينيه الحادتين وخديه الغائرين كخدي ابنه .. وأخيرا قلت :

– وأين أقام في سرت ؟

– أين تريدينه أن يقيم ؟ لم أكن أملك ايجار سكن له .. ولذلك فقد أخذ ينام في المسجد ويزورنا في يوم الخميس من كل أسبوع ويبقى معنا حتى مساء الجمعة حيث يعود .. ولكنه كان يقضي اجازاته معنا .

– وما هي وسيلته في المجيء إليكم ، فالمسافة ثلاثين كيلومترا من الصحراء ؟

ويحدقون بي في استغراب :

– يأتي ماشيا بالطبع .. ويكون محظوظا اذا ما التقى مسافرا معه حمار أو جمل ، عندئذ يتسنى له أن يمتطي ظهر دابة عبر جزء من الطريق .

– ماذا كان رد الفعل لديك حين أخبرك بأنه ينوي دخول سلك الجندية ؟

– وافقت .. تركت معمر يفعل ما يراه مناسبا .

– وحين أرسلته الى المدرسة .. ماذا كنت تتمنى له ؟

– لم أطمح الى شيء محدد .. ولكني كنت واثقا من أنه سينجح وسوف يجد طريقه بنفسه .

– وحين وردتك أخبار الثورة .. ماذا كان شعورك ؟ هل أدهشك الخبر ؟ أم هل فكرت « كنت متوقعا أن يقوم معمر بعمل عظيم » ؟ .

– كنت في بنغازي ذلك اليوم .. كنت هناك صدفة لأن لا علم لي بمخططات ولدي ولم يكن أحد منا على علم بشيء باستثناء أحد أبناء عمه وكان يعمل في الشرطة ولعب دورا في الحركة .

وأكد ابن العم الموجود بيننا ما قاله الشيخ وأضاف بأن معمر كان قد أطلعه على الخطة وحذره من اخبار أي شخص من العائلة .

وتابع الأب :

« كنا نعرف جميعا شغف معمر بالسياسة (وكم سبب ذلك لنا من مشاكل) واعجابه الكبير بعبد الناصر وبن بيلا ، معلوماتنا لم تكن تتعدى ذلك . ولقد قصدت الى بنغازي لالتقي به ، ونزلت ضيفا على أحد أبناء أخي ، وتناولنا العشاء وانتظرنا ولم يأت معمر ، وانقضى اليوم التالي وتبعه يوم آخر ، وبدأت أقلق عليه فليس من عادته أن يخل بوعده لأبيه . وذات صباح سمعت صوت رصاصات فخرجت الى الشارع واتجهت نحو المرفأ ، لكني لم أشاهد أية باخرة تطلق الرصاص .. وتفحصت السماء فلم أر طائرة تقذف القنابل . اذن كان مصدر الرصاص قلب المدينة ، عندئذ غمرني الفرح وقلت لابن أخي « لا شك أن معمر هو وراء هذا الرصاص » .

الوقت يمر ببطء .. لكل واحد قصة يرويها ، ثم جيء إلينا بصحن كبير

من « البازين » وقطع لحم جدي صغير نحر ترحيباً بي . وتناولنا طعامنا بمرح في جو من الصداقة الطبيعية ... الكلام يوجه دائما الى كبير العائلة وإليه عدت أتوجه بأسئلتي :

- هل تصف لي طباعه في سن المراهقة ؟

- كان جادا كتوما منطويا على نفسه ، حتى بعد دخوله الكلية العسكرية وخلال زياراته لنا كان يغرق في صمته ويستمع ، وحتى يتكلم كان علينا أن نوجه إليه أسئلة محددة ومباشرة .

- وهل تغير بعد أن صار رئيسا ؟

- في الواقع انني أجهل تصرفاته خلال أوقات العمل ، أما كابن لي وفرد في أسرتي فهو كما كان في صغره .

- سمعت أنه يزوركم مرارا ويقضي معكم عدة أيام .. فهل يقيم هنا ؟

- طبعا .. ينام على الفراش نفسه ويستعيد بسرعة عاداتنا الحياتية .. لا يمكنك أن تتصوري كم تتحسن صحته أثناء اقامته هنا في الصحراء .

- هل في الرئيس أوصاف أو مميزات لم تلاحظها من قبل وتثير الآن استغرابك ؟

أدى سؤالي الى قيام نقاش طويل ، لكن الجميع اتفقوا على أن الخطيب في القذافي قد أثار دهشتهم .

سؤال أخير : ما هي أهم ميزاته الأساسية في رأيك ؟

- الشجاعة والذكاء ، وتعلقه بأسرته ، وايمانه ... هذه أمور لن تتبدل أبدا .

خيم الظلام ودعيت لقضاء الليل ولكنني لم أشأ أن أتمادى في الاستمتاع بضيافتهم المغرية .. مررت على الخيام الأخرى لأودع الباقين قبل عودتي الى سرت ، وتوقفت طويلا عند خديجة شقيقة الرئيس الكبرى .. خيمتها مليئة بالأولاد ، وعندما أعربت عن دهشتي من أن تكون قد انجبت مثل هذا العدد وهي بعد صبية ضحكت وقالت :

« ينقصهم اثنان هما الأكبر وما يزالان مع المواشي » وتضيف ان أخاها يحب أولاد شقيقته كثيرا « ما أن يصل الى هنا حتى يزورهم ويقبلهم .. كان دائما عطوفا ، وبما أنه كان أصغرنا فقد كنا ندلله كثيرا ، وأظنه تألم يوم ارسلناه الى المدرسة ، كان يحب العلم ولكنه افتقد أباه بشكل مؤلم » .

– وما رأيك بالذي وصل إليه ؟

– أرى ما حدث طبيعيا .. فلا بد أن يكون معمر السباق الى كل شيء .

وأشاركها ضحكها ، ولكنني أستغرب في داخلي نظرة الجميع العادية الى مصير القذافي غير العادي .

في طريق عودتي بدت لي الصحراء مزدانة بألوان مختلفة ، فقد ذاب الأصفر والأخضر في شحوب أسمر ناعم .. السماء رمادية لؤلؤية وبنفسجية .. بعد قليل تشتعل أضواء السيارة .. ونتقدم ببطء لأن سيارتنا ليست مناسبة لمثل هذا الطريق وهذه الرحلة .. وتمر بنا سيارتا لاندروفر فتبتعدان قليلا وتدوران حولنا لتحيتنا في حركة تشبه الى حد بعيد رقصة فوانيس رمضان .

فجأة يخطر لي ما في الانتقادات التي توجه الى القذافي من جهل .. يقولون أنه عفوي ، متهور . وأي صحراوي يمكنه أن يصاب بهذه المساوىء وأقل هفوة أو قرار غير موزون أو ردة فعل يمليها الذعر قد يتحول في الصحراء الى كارثة مميتة ؟ .

* * *

سرت بلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن سبعة آلاف نسمة .. موقعها خـــلاب . يحف بها البحر من جهة ومن خلفها الصحراء .. وترتفع أحياؤها القديمة على تلال .. وحول تلك الأحياء تنشط ورش الأبنية الحديثة وهو أمر تلاحظه في كل بلدة ليبية .

أردت أن أرى المدرسة التي اصطحب محمد عبد السلام بن حمد بن محمد ابنه إليها في الماضي ، فتوجهت الى قلب المدينة ، كانت الأزقة ضيقة تحيط بها مساكن مكعبة الشكل تستند احداها الى الأخرى .. أمام كل بيت باب يفتح

مباشرة على الطريق ، وفوق كل باب قوس أزرق أو أخضر .. والشارع الرئيسي يكاد لا يزيد عرضه عن باقي الشوارع ، وعلى جانبيه حوانيت صغيرة تضيق بالبضائع ، والرجال في ملابسهم التقليدية يتنقلون ما بين المصرف ومقر البلدية ، وقد استبدلوا الجياد بسيارات من مختلف الأحجام .

أين مدرسة القذافي ؟ انها هناك .. ويشيرون الى مبنى متواضع يسكنه حاليا أحد المواطنين فقد بنيت الآن مدرسة كبيرة في الأحياء الجديدة . المسجد غير بعيد ، وأتذكر ما روي لي بالأمس من أن القذافي الصغير كان يقضي ليله فيه ، ربما يفسر هذا الوجود الالهي في حياته اليومية المركز الهام الذي يحتله الدين في تفكير القذافي .

التقيت فيما بعد أحد رفاقه في المدرسة الابتدائية في سرت الملازم مفتاح علي ، ضابط شاب في السابعة والعشرين من عمره ، بدوي هو أيضا ، وقد قال لي :

« تعرفت الى القذافي عام ١٩٥٥ يوم كنا طالبين في مدرسة سرت الابتدائية ، كان هو في السنة الخامسة وكنت في الثانية . كنا ثلاثة أو أربعة من البدو ينظر إلينا الباقون على أننا بؤساء وكنا فقراء لدرجة أننا لم نكن نتناول طعاما أثناء الاستراحة . جو جعلنا نشعر بالغربة ولولا القذافي ، ربما كنا خجلنا من أنفسنا ، لكنه كان يفتخر بوضعنا .. كان يقول مثلنا مثلهم طالما أننا قادرون على تحصيل العلم ، وكان في الواقع ذكيا يستوعب بسهولة وسرعة لدرجة جعلته ينهي في أربع سنوات منهاج السنين الست . وهذا ما عوّض عن دخوله المدرسة في سن متأخرة بسبب فقره . ومنذ صغره برزت في شخصيته القوية هيبة طبيعية تجعل منه زعيما . جميع الطلاب كانوا يستعينون به على حل اي مشكلة تعترضهم وبنوع خاص المسائل الرياضية التي كان بارعا فيها ، ورغم بساطة ثيابه فقد كان أنيق الهندام نظيفا ، وحتى بعد تلك الفترة حين عرفته في الصحراء كنت أجده أنيقا ، وحين يجلس في خيمته يبدو مهيباً رغم بساطة الاشياء من حوله . يقولون أن التزام القذافي السياسي بدأ في « سبها » بعد أن انتقل إليها مع عائلته ليتابع دراسته

الاعدادية . لكنني أعتقد أن شعوره الثوري يعود الى عهد سابق .. الى المدرسة الابتدائية حيث تكشفت له فجأة ظروف حياة البدو فأقسم على القيام بعمل يبدل من تلك الظروف .. في سرت حيث عاش حتى الرابعة عشرة تكمن جذور نضاله .. والبرهان على ذلك هو رفضه للوظائف التي عرضت عليه من قبل شركات البترول ، وقد كان البعض يلومه على رفضه مذكرا إياه بالمساعدة التي سيقدمها الى والده الفقير بفضل الوظيفة ، وكان القذافي يجيبهم « والآخرون من يساعدهم ؟ » كان يعني البدو الذين لم يشغله عنهم شاغل ، فقد كان يحس الفوارق بين سكان سرت من الحضر وبيننا .. يحس بالمظالم اللاحقة بنا نحن البدو ، ولقد أحس بذلك أول مرة في المدرسة الابتدائية .

أنهى دراسته الابتدائية ثم توجه مع عائلته الى فزان حيث تردد على المدرسة الاعدادية ثلاث سنوات ، ثم طرد من فزان بسبب نشاطاته السياسية ، فذهب الى مصراته ليكمل دراسته الثانوية وكنت ما أزال في سرت والتقي به في الاجازات ، وكان يعطيني كتبا سياسية ويطلعني على تفكيره الثوري . منذ ذلك الوقت كان قد أعد مخططا واقتنع أنه سيتزعم بلاده ذات يوم . وترك مصراته الى بنغازي حيث التحق بالكلية الحربية ، أظنك تعرفين الدوافع التي وجهته إليها ، وتابعت دراستي في الخمس ثم في مصراته ، وما أن انهيت المرحلة الثانوية حتى أخذ القذافي أوراقي وسجلني في الكلية الحربية بنفسه (وهكذا دفع برفاقه القدامى الذين اختارهم ليشاركوه في تنفيذ مخططاته) .. أذكر أنه قال لي ذات يوم من عام ١٩٦٣ وكنا في « الخمس » قرب البحر نتأمل طرادا بريطانيا (هذا البحر كان عربيا وسيعود عربيا .. سوف ترى) وكان رصيده كبيرا لدينا لدرجة أنني صدقته في الحال .

لكن أيا كان الطريق الذى قطعه ، يجب أن نتذكر دائما أنه ابن الصحراء ، وقد لقنته الصحراء أكثر من أي مدرسة أخرى ، الصحراء علمته الصبر وقوة الاحتمال والعطاء والايمان بالله ، وفي الصحراء تعلم الاكتفاء الذاتي ومواجهة كافة أنواع الصعاب كالعواصف واجتياز الأبعاد وتحمل الحرمان .

أما منبع وحيه الثاني فهو عائلته أو نمط حياة قبيلته .. والده شجاع ناضل ضد الايطاليين وقتل من عائلته الكثيرون بالاضافة الى جده لأبيه . كل ذلك ساهم في تغذية فكره وأكسبه منذ الصغر حب الحرية واحترامها .

عرفته طفلا وطالبا وضابطا ، عملنا معا وسافرنا معا ، وكثيرا ما أقمنا في غرفة واحدة ، أعتقد أنني أعرفه جيدا ، وبما أني أعرف كرهه للمديح فلن أمتدحه . انه انسان بسيط لا يوحي إليك أبدا بأنه يضع نفسه في مرتبة متفوقة .. تصرفاته توحي بالاحترام ولكنه يصر على أن يلتقي الناس على صعيد المساواة ، وهو يعطي ثقته كاملة أو يحجبها كاملة ، لا يعترف بالحل الوسط في هذا المجال ، وهو رفيق ممتع كريم يتقاسم مع رفاقه كل شيء ولا يتقبل فكرة التملك الشخصي ، وأذكر أنه يوم كان ملازما اشترى سيارة « فولكسفاجن » تساعده في تنقلاته وفي الاتصال المستمر برفاقه ، كان يعطيها لمن يطلبها منه ويدفع جزءا كبيرا من مرتبه ليصلح فيها ما خربّه الغير ، فاذا مرض أحد رفاقه أسرع الى المستشفى محملا بالهدايا والفواكه ولو كلفه ذلك حرمان نفسه من الطعام ، يحتقر المال ولا يشعر هو شخصيا بأية حاجة ، شديد الذكاء باستطاعته أن يجد عدة أنواع من الحلول للمشكلة الواحدة ، وعامل لا يتعب ولا يعطي نفسه وقتا للراحة الا اذا اعتبرنا المطالعة نوعا من الراحة ، صامت يجيد الاصغاء ولا يتحدث الا ليقول شيئا محددا .. وهو مبدئيا طيب النية تجاه جميع الناس وهذا في رأيي السبب الرئيسي لجاذبيته .

حتى الذين لا يشاركونه الرأي يحترمون استقامته وشرفه ، وهو يحب الأطفال واذا ما رآى أحدهم في الطريق يهش له ويحادثه ، وهو وفيّ لصداقاته ، لم ينس واحدا من أصدقاء الطفولة ويسأل بانتظام عن أخبارهم » .

تركت الملازم مفتاح يتحدث دون أن أقاطعه ، وكان يبدو حالما وهو يتذكر بعض أحداث طفولته .. وها هو يهز رأسه ويقول :

« لست أعرف الى أي مدى سوف يفيدك حديثي هذا ، أشعر أنني أقفز

من موضوع الى آخر دون أن أحترم تسلسل الأحداث ، فالحديث عن معمر ليس بالأمر السهل .. انه جد مختلف عن الآخرين » .

بقي أن أحكي بدوري عن زيارتي الى سرت والتغيير الذي طرأ على المدينة الصغيرة وعن البيوت الجديدة ذات الكوات الزجاجية والألوان الزاهية ، وعن مشروع « وادي تلال » الذي شدني إليه شوق قوي في أن أذهب لأرى كيف يتحقق حلم طفولة القذافي في بستان للبدو حيث لا توجد سوى الصحراء .. كان المشروع لا يبعد عن سرت أكثر من كيلومترات قليلة ، وكان المسؤول عن تنفيذه ضابط من رفاق القذافي .. وقد أملت أن يحدثني عنه .

وحين وصلنا الى المكان التقيت ضابطا طويل القامة عريض الشاربين براق النظرات التي زادها لمعانا انعكاس الظل عبر استدارة « الحولي » حول جبهته ، وقد أعرب عن سروره بمرافقتنا الى الوادي مع أحد مهندسيه ، لكنه تحفظ حين أدرك ما أريده منه ، وأفهمني أنه لا يحب أن أتحدث عنه ورجاني أن لا أذكر اسمه وقال انه لا يرغب في التحدث عن الثورة باعتبار أنه أسهم فيها . لكنه خلال الجولة رضي برواية بعض الأحداث العالقة في ذاكرته « كصديق للعقيد القذافي » على حد تعبيره .. ولقد علمت فيما بعد أنه جرح أثناء العمليات التي سبقت الاستيلاء على السلطة وأنه لعب فيها دورا مهما .

وسأحترم رغبته ولن أذكر اسمه الا بالحروف الأولى ، الا أنني وجدت المشروع الموكل إليه أمر تنفيذه مثيرا للاهتمام ، فهو واحد من مشاريع الأودية التي تنفذ في كل أنحاء ليبيا والتي لو حكمت عليها من خلال هذا المشروع لقلت أنها ذات نتائج سريعة ، وهذه المشاريع معقدة وتتطلب اخصائيين جيء بأكثرهم من الدول العربية ، والتنفيذ يتطلب تنظيما صارما ، وتنسيقا كاملا ، لذلك كلف القذافي العسكريين من الضباط وصف الضباط بالاشراف على سير العمل فيها .

وفي وادي تلال تمتد الأعمال على طول ستين كيلومترا وبعرض كيلومتر واحد ، أي على مساحة طبقة مياه جوفية تنبع على بعد خمسة كيلومترات من

سرت وحتى سيدي بن حمال حيث ترسم استدارة في مجرى الماء وتتجه الى مدى خمسة وعشرين كيلومترا نحو الشرق ، وتنبع المياه بفضل سلسلة من الآبار تغذي سلسلة من الصنابير موزعة على المساحة ويفصل بين الواحد والآخر حوالي مائة متر .. أما خصوبة الأرض فهي هائلة .. لقد أخذت أتأمل طويلا ولا أرتوي من المشهد حولي .. لقد كانت أشجار الفاكهة تنهض في حقول الزهور على امتداد الوادي الضيق .

يقول الملازم (م . ق) :

« نستطيع أن نزرع أنواعا مختلفة .. وفي السنة الماضية كان موسمنا جيداً جداً ويمد اليّ حبة طماطم ضخمة .

هل روضه حماسي ؟ كان يبدو أنه قد قرر بين استراحة واختها أن يحدثني قليلا عن القذافي .. قال :

« عملت مع القذافي فترة طويلة .. سافرنا كثيرا .. وليس هناك رفيق طريق في روعته ، فسواء كنا اثنين أو مجموعة كبيرة ، وسواء كنا في اجازة أو في زيارة عمل – لهذا المشروع مثلا – فان القذافي هو دائما الذي يحدد الطريق ، وساعة تناول الطعام ، ويكتشف أفضل مكان للاستراحة ، ويعد الشاي للجميع . أذكر أننا حين كنا نهم بمغادرة الفندق ، كان هو الذي ينهمك في العمل حتى لا ينسى أحد منا بعض أشيائه ، وبما أنه يستيقظ مبكرا ليصلي فقد كان هو الذي يوقظنا من النوم في كل مرة ، انه كريم لدرجة تدفعك الى حبه دفعا .. أذكر أنني سافرت معه الى زله وكان قد أصبح رئيساً (تبعد « زلة » ثمانمائة وخمسين كيلومترا تقريبا عن طرابلس) ووصلنا مرهقين جائعين ، كنا حوالي خمسة عشر شخصا مع خمسة آخرين سائقين ومساعدين ، ولم يكن مضيفنا يتوقع أن نكون بهذا العدد الضخم وقد أعد عشاءاً خفيفا لظنه أننا تناولنا الغذاء في الطريق .. ونادى القذافي جميع من معنا ، ولا داعي لأن أذكر بأننا بقينا جائعين وأنه أكل أقل من أي واحد آخر رغم أنه قد أسرّ لي خلال الطريق بأنه لم يعد يحتمل جوعه .. واستأنفنا السير ، وغاصت السيارة الأولى في الرمال ،

وراح يدفعها مع الآخرين وهو يضحك ويضحكهم .. ومرة أخرى زرت معه مشروعا زراعيا في وادي « زمزم » على بعد ثلاثمائة كيلومتر جنوبي طرابلس ، وما أن وصلنا حتى طالعتنا عاصفة رملية خانقة ، ولم يكن معنا سوى خيمة لا تتسع لأكثر من أربعة أشخاص وقد كنا عشرة .. وقال القذافي « اما أن ندخلها جميعا أو لا يدخلها أحد » .. لقد كنا داخل علبة سردين ، وكان معنا طبيب القذافي الذي راح يرجوه أن يحتمي جيدا ويؤكد له أن هذا الهواء يسبب التهاب الرئة .. الخ ، وغضب العقيد أخيرا وصرخ به « كلها ساعات قليلة من العاصفة فهل فكرتم أن البدو يعيشون في العواصف طول السنة وأن نساءهم يلدن أحياناً في ظروف أصعب بكثير من هذه ؟ ؟ » .

أظن أن هذه التفاصيل أهم مما قد يروى لك عن ذكائه مثلا .. فبالطبع هو ذكي ، أليس انسانا متفوقا ؟ لكن أن يتصرف بمثل هذه البساطة وأن يكون لطيفا مع كل الناس ، فهذا هو الأهم والأشد تأثيرا .

زارنا – في المشروع – مرتين ، في المرة الأولى لاحظ أن عاملا جرح في ساقه ، وحين زارنا ثانية ورآه يتجول بين العمال قال له في الحال « يسرني أن جرحك قد التأم » .. ان له ذاكرة لا تخطىء ..

والآن بامكاننا أن نعود .. لقد طلبت إليهم أن يعدوا لنا صحنا من « الكسكسي » ويمكنك على المائدة أن تتعرفي من معاوني على الأعمال التي نقوم بها هنا » .

لكن ... لن يكون ذلك ضروريا فمن أعلى التلال بدت لي خطوط الوادي المتعرجة حيث تتألق المياه كالفضة ، وتنهمر على حقل القمح الطري مياه عذبة في قلب صحراء سرت .

قبل أن استقل السيارة تقدم مني رجل عجوز حرقته الشمس « عذرا ، سمعت أنك تعدين كتابا عن أخينا معمر ، وأريد أن أقول كلمتين عنه لأنني عرفته جيدا » .. انني عريف بالجيش اسمي غيث يونس عبد الرحيم وأعمل هنا مع رئيسي .. أنا من هذه المنطقة .. وعرفت القذافي أيام كان طفلا يحفظ القرآن ..

كان مجتهدا ويحب أن يتعلم ويشرك الآخرين فيما تعلّمه .. وفي مدرسة سرت كان يجمع أطفال الفقراء ويقرأ على مسامعهم ما تعلمه في كتابه ، فاذا لم يكن مشغولا بذلك ، كان منزويا وحيدا عاكفا على دفاتره .. ورغم جديته فقد كان دائما مرحا ، ولا أذكر أنني شاهدت ذلك الطفل غاضبا ولا مرة .. بعد ذلك انتقلت الى فزان وعملت هناك في الشرطة ، وعدت فالتقيت القذافي طالبا في مدرسة سبها ويمارس النضال السياسي .. كان دائما يتصدر المظاهرات وأهل سبها يعرفونه جيدا وكثيرا ما سمعتهم يقولون « سوف يسير شوطا طويلا هذا الصبي » فقد كان محدثاً قديراً يشعرك بسعة اطلاعه في التاريخ والسياسة ، وحين أخبرني رفاقي بان الثورة قد اندلعت – لم أكن في الوظيفة يومئذ – قلت في نفسي لا بد وأن يكون معمر بينهم .. مع أنني لم أكن أعرف عنه شيئاً .. كان شديد الحذر .. لكن الجميع يعرف أنـه ضـد الحكـم وأنـه لا يفكـر الا في السيـاســة .. ويجب أن تذكري في كتابك أن العاطلين عن العمل كانوا كثيرين قبل الثورة .. الآن هناك عمل للجميع .. والمرتبات جيدة .. والعمل .. نحن نعمل بلذة .. وينبغي أن تذكري كل هذا في كتابك » .

وهأنذا قد ذكرت ..

* * *

-٢-

سنوات سبها

١٩٥٦ - ١٩٦١

صدفة وسط الرمال .. هكذا تبدو سبها للذي يصل إليها بالطائرة ، بعد أن يكون قد حلّق فوق الامتدادات الصحراوية الشاسعة لفزان .

المطار الصغير المزدان بالزهور ، والقلعة التي تطل عليه من أعلى هضبة قريبة والتي توحي ، مرامي السهام بها وأبراجها الأربعة ، بسحر غامض ، والنشوة التي تتنشقها مع هواء الصحراء النقي ... كل ذلك يمنح المسافر - الذي يتوقع أن يلقي حراً شديداً - شعوراً عذباً .. مريحاً .. ويتأكد هذا الشعور حين يصل الى سبها .. مدينة العام ٢٠٠٠ .

على ان العاصمة القديمة ما تزال قائمة رغم كونها مزحومة بآلات الهدم .. ولقد قصدتها وفي تصوري أنني سألتقي فيها أحياء سرت القديمة ، وبيوتها المكعبة ذات الأبواب الزرقاء والخضراء ، وجدرانها الوردية والصفراء التي توحي بالتمرد على رتابة الصحراء ، وتكسب الفقر المدقع مظهر العيد البراق .. مدرسة القذافي هنا ، بيضاء ، أرضها وجدرانها من الاسمنت وداخل قاعاتها رجال مسنون يتابعون باجتهاد دروساً خاصة بمحو الأمية .. والمدرسة مطوقة بسور ، وأمامها فناء رملي تتوزع فيه أشجار قليلة ، وشبكة للكرة الطائرة .. وخلفها بناءان ينام فيهما الطلاب الداخليون . وتقع البيوت السكنية بعيداً عن المدرسة مما يكسبها مظهراً هادئاً .

أتصور أن القذافي كان سعيداً هنا .. فقد كانت عائلته تقطن سبها ، ولم يعد هناك ما يفصله عن أبيه .

عبد الوافي القاضي مدير المدرسة الحالي والذي كان مدرساً فيها قال :

« كان القذافي طالباً موهوباً ومجتهداً .. ولما كان يحب العزلة فإن أصدقاءه كانوا قليلين ومن بينهم جلود الذي لم يكن يفارقه أبداً . وكان يجتمع إليهم ليناقشوه أفكاره التي لم تكن تتبلور الا بالجدل مع من يثق فيهم .. كان أنضج من عمره . وقد لاحظ ذلك جميع الأساتذة بل كان من الصعب أن لا يلاحظوه ، فهو جد مختلف عن رفاقه . وحين بدأ يحرض زملاءه وينظم التظاهرات السياسية ، لم يأخذه واحد منا على محمل الجد . وأتساءل الآن عما اذا كان زملاؤه الذين كانوا يتبعونه بلا جدل ، هم أنفسهم قد تصوروا ذات يوم أنه سيطيح بالنظام ؟ في الواقع .. لقد ازداد نشاطه لدرجة أنه طرد من المدرسة – وسأروي لك ذلك بالتفصيل – لقد كنا نظنه من النوع الحالم ، وأن أحلامه غير قابلة للتحقيق .. وأعترف أنني تساءلت فيما بعد .. اذا لم يكن القذافي قد خدعنا عن قصد وعن عمد .

كان ، مع رفاقه ، لا يملون من الاستماع الى الاذاعة .. وكانوا يتداولون كتباً ومنشورات سياسية ممنوعة ، مصدرها الأساسي مصر ، وكنا نغض الطرف ، وأحياناً ننصحهم باخفائها ، لكنه كان لا ينفك يحرض الآخرين حين يتسلق جدار المدرسة خطيباً .. أما حين يتظاهرون في شوارع سبها – وكان هدفهم المفضل قنصلية فرنسا – فقد كان رفاقه يحملون معهم منضدة صغيرة يقف فوقها القذافي ليلقي خطبته .. لقد تظاهروا بمناسبة اغتيال لومومبا .. وبتفجير القنبلة الذرية الفرنسية في الصحراء الكبرى .. وأثناء الثورة الجزائرية .. وكانوا لا يفوتون مناسبة للتظاهر دون أن يستغلوها .. ونفذ صبر السلطات خاصة حين وقع الانفصال بين مصر وسوريا ، فرغم أن التظاهرات كانت ممنوعة ، الا أن القذافي كان يدعو الى التظاهر كل يوم .. وطلبت الشرطة من بعض الطلاب أن يوقعوا على شكوى ضده ، يشهدون فيها بأنه المسؤول عن تنظيم التظاهرات ، وهو كاتب المنشورات ، وأنه هو الذي يوزع صور عبد الناصر .

ونتج عن هذا التقرير – الشكوى ، أن فصل من المدرسة .. وكتب القذافي

في الحال اعتراضاً على قرار فصله واصفاً اياه بأنه غير قانوني ، وبالطبع لم يتلق أي رد واضطر الى مغادرة المنطقة مع أسرته .

* هل كان تسلمه للسلطة مفاجأة لأهالي فزان ؟

الجواب هو نعم .. ولا . ذلك أن نجاح مخطط كهذا .. انطلاقاً من حيث كان ، يبدو أمراً مدهشاً . لكنه منذ صغره كان يتمتع بشخصية بارزة . ورغم سوء تقديرنا لجدية نشاطه السري ، فقد كان وصوله الى هدفه أمر طبيعي .. وتسألينني عن أهم ميزاته فأقول : ذكاؤه غير العادي وشجاعته ، ثم تقشفه وشعوره الديني العميق والمتأصل .. كما أني لم أستغرب قدرته على الخطابة .. فقد كان منذ عهد الدراسة ، يعبر عن أفكاره بسهولة . ولم أره يوماً يراجع ورقة أثناء القائه خطبه ، رغم أنها جيدة الأسلوب ومنطقية التسلسل . وأعتقد شخصياً أنه صاحب رؤيا سياسية بعيدة المدى . وأن مخططاته لا تقتصر على ليبيا والعالم العربي فحسب بل هي متعلقة بالسياسة الدولية عامة » .

حين تركت المدرسة كان الظلام يقترب وقد أخذت أشعر ببرودة الجو .. وتساءلت عما إذا كان محافظ فزان قد عاد الى سبها ، ذلك أنني قمت بهذه الرحلة لأتحدث إليه ، فهو واحد من رفاق القذافي القدامي . وخاب أملي حين قيل لي أنه غائب .. راح في جولة تشمل جميع أنحاء المنطقة . وهي أحدى الجولات التي يقوم بها بانتظام ليتفقد خلالها الأقاليم ويتباحث مع المسؤلين فيها .. وكل ما علمته هو أنه سيكون صباح اليوم التالي في « أوباري » . وأنه سوف لن يعود قبل المساء .

وفكرت في الذهاب الى أوباري على أن أعود منها بعد الظهر الى سبها قبل موعد اقلاع طائرتي ، اذ أن المسافة بين سبها وأوباري لا تزيد على المائتي وثمانين كيلومتراً ، وسوف يمكنني ذلك من مشاهدة فزان عن كثب .

لقد كانت – في الواقع – رحلة لا تنسي .. لأنني لم أكن أتوقع أن تكون طبيعة فزان على هذا القدر العظيم من الجمال ... وبقدر ما سحرني الساحل .. بقدر ما وقفت مشدوهة أمام تلال الرمال التي تتخللها أشجار النخيل وتقطعها حقول

القمح في سلسلة جبلية لا يعترضها شيء على مدى ستمائة كيلومتر حيث تتصل بجبال الأطلس الجزائرية التي تغرق في نفس اللون الداكن البنفسجي . وتذكرك هذه السلسلة الجبلية أحياناً بجدار الصين العظيم ، وأحياناً أخرى تتمثل لعينيك قلاعاً غريبة الأشكال ترفع نحو السماء البعيدة قرى صغيرة ، فتنثرها قطعاً من الصخور العملاقة تشبه البراكين المنطفئة ... وفي مواجهتها تماماً ، تتوالى الرمال الذهبية أمواجاً .

ويزعجني ضيق الوقت الذي لن يسمح لي بمشاهدة البحيرات التي طالما سمعت أنها تبدو خلف الكثبان الرملية .. كالسراب ..

وهذا المنظر الطبيعي الخلاب ينطوي كذلك على أهمية تاريخية ، فالى الجنوب أكثر .. هناك في « غات » توجد النقوش الصخرية لفترة ما قبل التاريخ ، أما على طريقنا فتقع (جرما) العاصمة القديمة لشعب الجارامنت ، حيث اكتشفت أوسع مقبرة أثرية في افريقيا ، لكن مع الأسف لم ألتق أحداً في مكان الحفريات .. فقد رحل علماء الآثار منذ أسبوع ولن يعودوا قبل شهر ، غير أن الحارس العجوز الذي عايش اكتشاف عالم (جرما) القديم حجراً .. حجراً .. وقبراً .. قبراً .. بمسارحه وحوانيته وحماماته العامة وطقوسه الجنائزية .. راح يصور لنا ذلك العالم الاسطوري ، حيث كان المحاربون يتعاركون بالأقواس النشابة وهم واقفون على عربات تجرها « خيول طائرة » .

قرب المدينة الأثرية .. ومقابرها المتكئة على الجبل .. تخفي القرية الجديدة مساكنها البيضاء وسط أشجار النخيل ، وفي مثل هذا الجو السحري تفقد احساسك بالوقت ، وبالفعل فقد كانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر .. عندما وصلنا الى مدخل الميدان الرئيسي لأوباري .

كانت الساحة مكتظة بمندوبي القرى المجاورة الذين جاءوا ليشتركوا في الاجتماع .. ولم يكن المحافظ قد وصل بعد ، ترى .. هل أحظى باللقاء الذي جئت الى هنا من أجله ؟ ؟ .

أخيراً .. وفي الساعة الثالثة دخل علينا في الاستراحة وقد كساه الغبار من قمة رأسه الى أخمص قدميه .. وقال متعجباً عندما شرحت له هدف هذا السباق في البحث عنه « طالما أنك في فزان فلا مجال لمغادرتها اليوم .. ثم أنني أتصور جوعاً وأنت كذلك بلا شك .. اذن الطعام قبل كل شيء .. ثم تحضرين اجتماعنا وسيكون مثيراً لاهتمامك ، وبعد ذلك نعود معاً الى سبها حيث سأكون تحت تصرفك » .

كانوا قد قالوا لي ان المحافظ مليء بالحيوية ، وأنه منذ عين – قبل عام – وهو يقود محافظته بسرعة قاطعة للأنفاس . وكان في الواقع ضابطاً شاباً ممتلئاً بالقوة وحب الحياة ، بشوشاً مرحاً وهذا نادر في ليبيا .

ولقد اضطررت الى تغيير برامج سفري ، اذ كان من الضروري جداً أن أتحدث الى الرائد الريفي علي الشريف ، أحد رفاق القذافي الأوائل ، وأول أمين عام لمجلس قيادة الثورة .. كما أنني كنت فضولية تجاه حضور الاجتماع مع مندوبي القرى ، لأشاهد كيفية تطبيق الديموقراطية المباشرة التي تمارس من أعلى مستوى – يشترك فيها القذافي نفسه – الى آخر وأصغر وأبعد قرية في أقاصي الصحراء . وهذا النوع من الادارة مستوحي من صيغة سبق تطبيقها في مصر ضمن اطار الاتحاد الاشتراكي العربي ، ويهدف الى القضاء على الوسائط القائمة بين الحاكم والمحكوم .

واذا لم يكن هذا النظام قد حقق النتائج المرجوة منه في مصر ، فهو فعال ومستمر في ليبيا ربما بسبب قلة عدد السكان وانحسار أماكن التجمعات السكنية .

ولو اختصرت مراحل تطبيق هذا النظام لقلت : ان الاجتماعات تعقد كل ثلاثة أشهر على مستوى معين ، وكل ستة أشهر على مستوى أرفع ، وسنوياً على المستوى القومي ، يشترك فيها المسؤولون وممثلو الشعب فيناقشوا سير الأعمال في مختلف المناطق .

وفي كل اجتماع يتم استعراض الانجازات التي اتخذت بشأنها قرارات خلال

الاجتماع السابق ، وتوضع المشاكل الجديدة على بساط البحث لتتخذ بشأنها القرارات اللازمة ، وبكلام أبسط يتولى أحد المسؤولين أو ممثلي الشعب طرح سؤال ما ، يشترك الجميع في مناقشته ، وينتج عن النقاش قرارُ يتخذ علناً وبالاجماع . واذا كان السؤال متعلقاً بقضية يفوق حلها قدرة الموجودين فيأخذ المسؤول أو المحافظ بها علماً ويلتزم بعرضها على المراجع المختصة . وفي الاجتماع المقبل على المسؤول ان يعلم المجتمعين بنتائج مساعيه ، ولما كان نجاح الثورة الليبية يبدو لي متصلاً اتصالاً وثيقاً بفعالية هذا النظام الديمقراطي لذلك أرى أن أورد هنا بعض ما أوحى لي به اجتماع أوبارى ، وما تأكد لي فيما بعد حين حضرت اجتماعاً مماثلاً في طرابلس بوجود القذافي : ملاحظة أولى تبدو لي في غاية الأهمية . المجتمعون يجلسون في الصالة الواسعة ويجلس قبالتهم ذلك الذي يستمع الى اقتراحاتهم وقضاياهم . وهذا الترتيب يسهل مهمة الخطيب الذي يقف ليتكلم ويشعر أنه على قدم المساواة مع الذين غالباً ما ينتقدهم .

وبفضل هذا الترتيب ، أو لايمان المتحدثين بالقيمة العملية لهذه الاجتماعات ، تأثرت في اوباري كما في طرابلس ، بقدرة المتكلمين على التعبير عن أفكارهم بوضوح وسهولة . انهم يتقاطعون ويتحمسون ويقولون كل ما يدور بخلدهم . قد يبدو ذلك مدهشاً ، خاصة بالنسبة للمزارعين والعمال الذين لم يتعودوا هذا النوع من تبادل الأفكار ، لكن الأمور في الواقع تسير كما وصفتها .

وشعرت من ناحية أخرى أن هذا النظام يسهل أعمال الادارة العامة . ذلك أن الشعب يشهد على ما يتخذ من قرارات وما يبقى معلقاً من قضايا تبحث على مستوى المراجع المختصة ، مما لا يترك أي مجال لتكدس الملفات ويضمن التنفيذ السريع للقضايا التي جرى البّت في أمرها . وواضح أيضاً أنه على المتكلمين أن يدرسوا مواضيعهم بدقة لأنهم يتعرضون في كل لحظة لمن يستطيع تكذيبهم . وقد صادف أن مرّ أمامي بعض الذين ارتبكو وأحرجوا لأنهم ذكروا أرقاماً غير صحيحة . وكان القذافي أو المحافظ يؤنبهم لأنهم يتسببون في هدر الوقت الثمين . ويحدث أن يتدخل بعض الذين لا علاقة لهم مباشرة بموضوع البحث

فيقدموا نصيحة أو يبدوا رأياً تكوّن لديهم من خلال النقاش . ويستمع الحاضرون الى هؤلاء وغالباً ما يأتي الحل المقترح على أيديهم .

في اجتماع أوباري ، طرحت مواضيع عديدة ووجد الحل المناسب لأكثرها ، منها انشاء محطة لبيع المحروقات في منطقة معينة ، ومدّ المجاري في منطقة ثانية ، وتعيين مستخدم في منطقة ثالثة ، ويكلف المحافظ برفع قضايا أخرى تناقش في مجلس الوزراء ، مع اقتراحات من الحاضرين بكيفية ايجاد حلول لها . أحياناً ينفذ صبر المحافظ أمام مشكلة كان يمكن حلها مع شيخ المحله ، فيسأل : هل استشرت شيخ المحلة ؟ لا ؟ ولماذا تثيرون مثل هذه القضية الآن وغيرها أهم منها وأكثر الحاحاً ما تزال عالقة ؟ . ولكنه يبدي صبراً جميلاً ، حين يقف أحد الحاضرين ويتحدث طوال ساعة عن عشرات القضايا التي كلفه المواطنون بطرحها . وقف شاب نحيل لا أعلم من أين جاء ، ومن أي زاوية قصية في فزان ؟ تكلم بجرأة ولم يجلس الا بعد أن نوقشت وحلت جميع النقاط التي أثارها . وأخيراً ، كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً ، حين تم لقائي مع الرائد الريفي في منزله المتواضع ، كي لا أقول الفقير ، بالثكنة العسكرية في سبها ، واستمرّ حديثنا بلا انقطاع حتى الثانية صباحاً ، حين حل عليه ارهاق ثلاثة أيام من السفر والاجتماعات المتواصلة فغفا فجأة في مقعده .

قال الريفي : « عرفت القذافي في المدرسة الثانوية في سبها وكنت أقيم في فزان لأول مرة ، فقد ولدت في منطقة تقع بين الخمس ومصراته . ولم آت الى سبها الا في عام ١٩٦٠ ورغم أني أصغر من معمر ببضع سنوات فقد كنت واياه وجلّود في فصل دراسي واحد .. كان القذافي قد بدأ نشاطه ، فنظّم حركة سرية مدنية منضبطة داخل المدرسة وقاد عدة تظاهرات واشتركت بنفسي في أول مظاهرة ، وأذكر أنها نظمت بمناسبة اغتيال لومومبا . كان القذافي يقرر كل خطوة في الليلة السابقة وحين ينام الآخرون ، ينشغل هو بكتابة الخطبة واعداد اللافتات والملصقات الخ .. وأذكر أنه بعد يومين أو ثلاثة عاد فتظاهر في شوارع سبها ثم نظم مظاهرة أخرى داخل المدرسة . وما أزال أراه متسلقاً الجدار يحرض

المجتمعين تحت أنظار رجال الشرطة . وأكثر ما يدهشني الآن هو أنه منذ ذلك العهد كان القذافي يتطرق الى نفس المواضيع التي يعالجها اليوم في خطبه .

كنا نحن أصدقاؤه المقربين ، نثق فيه ثقة عمياء . وكان مختلفاً عن كل من حوله ، ويكسبه ذلك مركزاً خاصاً لا يمكن تجاهله .. كانت تربطنا صداقة متينة ...وكنا نلتقي ليلاً في الحديقة لنناقش بعض القضايا اذا كان ثمة ما يدعو الى ذلك ... وحتى الذين لم يكونوا متمتعين « بثقته » السياسية ، كانوا يحبونه لأنه حاضر دائماً لتقديم أية مساعدة في الدراسة أو غيرها ... كان يحب أن يخدم الناس .. وكان ماهراً .. حين نضرب عن الطعام احتجاجاً على السلطة أو على المدرسة أو الشرطة ، كان يهرب في الليل ويأتينا بالطعام من بيتهم . وكنا نجتمع أيضاً حول صديقه الشريف حسين . الوحيد الذي كان يملك مذياعاً ، لنستمع الى صوت العرب .. وكانت هناك أيضاً الكتب والنشرات التي يوزعها معمر . ولست أدري كيف حصل على نسخة من كتاب « فلسفة الثورة » لعبد الناصر . كان كنزاً بالنسبة إليه ، وقد جعل كل رفاقه الطلاب يقرؤونه بالتناوب وأعتقد انني آخر من حصل عليه .. ذلك الكتاب ، حفظناه غيباً ...

وكان يحصل بواسطة محمد مصطفى المازق – أحد مدرسينا والذي كان يحب القذافي بشدة – على بعض صحف القاهرة وبعض الأخبار . وكان ينقلها إلينا تباعاً .

وهكذا تعلقنا بتفكيره وتبعناه . ولم يشك واحد منا على الاطلاق في أنه سوف يبلغ هدفه .

كانت تلك مرحلة هامة من حياتي ولكنها قصيرة .. فقد انتقلت من سبها الى طرابلس بعد السنة المدرسية بينما انتقل القذافي الى مصراته بعد طرده من فزان .. ولقد التقيته بعد ذلك في سبها عام ١٩٦٣ ولم نكن قد تراسلنا أبداً لكننا استعدنا في الحال جو صداقتنا القديمة .

ثم في أواخر ديسمبر ١٩٦٣ – اذكر أنه كان يوم عيد الاستقلال – عدت

فالتقيت بالقذافي في طرابلس . كان يرتدي زي طلبة الكلية الحربية وكنت ما أزال طالباً . أخذني الى حانوت صغير تغيرت هويته وأصبح مسكناً لصديق مشترك . وخضنا نحن الثلاثة في القضايا التي كانت تهمنا أيام الدراسة . ثم ودون أن يعطيني أي تفسير طلب الي أن أدخل الجيش بعد اتمام دراستي . في الواقع ذهلت لطلبه هذا فلم أكن قد فكرت في الجندية ولا كنت أجد في نفسي المؤهلات اللازمة لها ، حاولت أن أعترض فدعاني الى التفكير في الأمر وكان تأثيره عليّ كبيراً لدرجة أن مجرد فكرة القرب منه والعمل معه جعلتني أتخذ قراري . وفي العام التالي أنهيت دراستي ودخلت الكلية الحربية (وكدت أخفق في القبول اذ وصلت متأخراً عن الموعد ، وبعد أن كان المرشحون قد احتلوا أماكنهم في القاعة ثم كدت أخفق أيضاً بسبب اللغة الانكليزية وحاولت أن أهرّج وأضحك أعضاء اللجنة الممتحنة لأنقذ نفسي) . باختصار دخلت الكلية الحربية في بنغازي في ٢٤ أكتوبر عـــام ١٩٦٤ وأذكر أن عاصفة هائلة كانت تضرب المدينة في ذلك اليوم .

بدأت خدمتي العسكرية وصرت عارفاً بما يجري . كنت على علاقة مع القذافي ومع قائد فرقتي الرائد بشير هوادي وهو الآن عضو مجلس قيادة الثورة وكنا مراقبين ، فكثيراً ما كان الضباط الشبان يخضعون لتحقيق يدور حول اتصالاتهم وعلاقاتهم وقد تعرضت لذلك أكثر من مرة ، وكنت حريصاً وحذراً بالطبع من ذكر هذين الاسمين ، على أن القذافي كان قد لفت الانتباه إليه كالعادة ، أولاً بسبب مظهره وتصرفاته وثانياً لأنه كان دائماً يتصل بالضباط الصغار مما يثير شكوك القيادة . وذات مرة فتحت القيادة تحقيقاً بالأمر لكن لحسن الحظ كانوا يرون في القذافي شاباً حالماً ، متهوراً لا يثير المخاوف .

كنا نختار معاً العناصر التي يجب الاتصال بها ... المخاطر ؟ .. كانت موجودة دائماً ، لكننا لم نعد نفكر فيها ، بفضل ثقتنا العمياء في معمر . كان يعرف كل شيء وبأفضل مما يعرفه أي واحد منا فكيف لا نوليه ثقتنا . وما قد يبدو غريباً

هو أن أحداً لم يشعر بالغيرة منه وربما عاد هذا الى شخصيته وحرصه على أن لا يظهر أبداً بمظهر المتفوق .

ولنعد الى مسألة التجنيد .. كان يكفيه أن يلتقي الشخص مرة واحدة حتى يصنفه ، وله ذاكرة لا تفوتها أدق التفاصيل عن انسان أو حوار . وكانت صفاته هذه ذات قيمة حاسمة بالنسبة إلينا كضباط ثوريين . وكان القذافي يولي مسألة السن اهتماماً بالغاً . كان يحذر من التورط مع الضباط الكبار ويقول :

« هؤلاء راضون عن أوضاعهم ، والا فما الذي منعهم عن القيام بعمل ما ؟ » أما الضباط ذوي الرتب الأعلى فلم يكن يترك لأحد سواه أن يتصل بهم . كان هو وحده يتخذ القرار المناسب بشأنهم .

كان يكلف ضابطين في كل ثكنة ، بجمع المعلومات التي نحتاجها ، مثل نوعية وكمية الذخيرة الموجودة ، وقائمة بأسماء الضباط مع ذكر أقدميتهم . الخ .. وأذكر اننا كنا نرسم إشارة بجانب اسماء الضباط القدامى بحيث تبدو لنا بوضوح أوضاع كل منهم .

وبعد أن أتممت دراستي في الكلية الحربية وتخرجت ، عينت ملازماً في ثكنة رأس عبيدة في بنغازي مع الملازم عبد الرحمن الصيد الذي كان واحداً منا .. وكان مقر القذافي في قاريونس ولما كانت لدي سيارة فقد كنت أقصده لنتعشى سوياً كل يوم تقريباً وأحياناً كان يأخذني الى منزل قريب له وهو صف ضابط بالجيش أو الى بيت زميل من طلاب الجامعة يدعى حبيب هويدا وكان مكلفاً بمدنا بالكتب التي نحتاجها . كنا نلتقي مراراً بجلود الذي عين في طرابلس .. على أن لقاءاتنا في ثكنته لفتت الانتباه ولم نعد نلقاه إلا في منزله .

ورغم حرصنا الشديد . كان لا بد وأن يفتضح أمرنا ... هذا عدا الصعوبات التي كانت تعترضنا والأخطاء التي كنا نرتكبها .. وسأعطيك مثالين عن ذلك : تقرر ذات مرة ارسال فريق من الضباط الى لندن ليتدربوا على وسائل الدفاع الجوي وأصدر القذافي أمراً دورياً يقضي بأن لا نتقدم من امتحان اللغة الانكليزية ..

ولست أدري كيف وقع الالتباس بحيث أن جميع رفاقنا تقدموا لذلك الامتحان .. وبفضل الله اخفقوا جميعاً تقريباً . ومثل آخر عن حادث تورطت فيه أنا شخصياً عن سوء تقدير كاد أن يتحول الى مأساة فقد اتفقت مع رئيسي حمزة على مفاتحة وجس نبض ضابط أرفع منا رتبة وقد كان رد فعله سلبياً تماماً مما جعلناه يقسم بالقرآن على أن يحفظ السر ، ولكن هذا البائس – وهذا ما وجدنا أدلة عليه بعد الثورة ، وهذا الضابط في السجن حالياً – أفشى به الى العقيد الشلحي [1] قائد التدريب في الكلية الحربية . ورغم أنه لم يهتم جدياً بما سمعه . الا أن الشلحي أمر بنقل كل الوحدات المدرعة من طرابلس الى بنغازي دون ضباطها . كما أصدر

١) لما كان اسم الشلحي سيتردد كثيرا في كل الاحداث التي سبقت الثورة . فمن المناسب أن نورد هنا الظروف التي هيأت له الاضطلاع بأعلى المسئوليات في صفوف الجيش والحاشية الملكية . فلقد كان والده ، ابراهيم الشلحي . محظى الملك ادريس حتى عام ١٩٥٤ . وهو التاريخ الذي اغتاله فيه الامير الشريف محي الدين بعد الانشقاقات العائلية التي نشبت بين الفرع الشريفي من أسرة السنوسي (معظم الامراء) وبين الفرع الاخر الذي ينتمي اليه الملك . هل كان الملك يعتزم حقا الزواج من ابنة الرجل المفضل لديه ولما كان لم ينجب حتى الآن وريثا ذكرا . فان هذا المشروع لم يلق تحبيذا من جانب الفرع الشريفي الامر الذي يمكن ان يفسر اغتيال الشلحي. اما الامير محي الدين فقد اكد دائما أنه ارتأى في ذلك تصفية لعنصر مسرف (التقدمية) في جماعة الملك . وعلى أية حال فان ادريس أدان ونفذ حكم الاعدام في الامير واتخذ عمر . أكبر ابناء الشلحي مستشارا له . اما الابن الاخر عبد العزيز . فسيجد نفسه بعد ثلاث سنوات وقد عهد اليه باعادة تنظيم الجيش وسيجد الاثنان نفسيهما في وسط زمرة قوية وفاسدة .

« ونضيف وفقا لما اورده الكاتبان سيل وموررين ماكونفيل . مؤلفا كتاب « مهمة هيلتن » الذي صدر عن دار تمبل اللندنية في عام ١٩٧٣ ان عمر الشلحي الذي يعيش بالمنفى في جنيف – حاول فيما بين اعوام ١٩٧٠ م و١٩٧٢ اطلاق سراح شقيقه عبد العزيز وعدد من المسجونين السياسيين المحتجزين في سجن طرابلس مقدرا أنه يمكنه بذلك أن يثير تمردا شعبيا . يؤدي الى اسقاط القذافي . ولهذا الغرض . يبدو أنه وضع خطة خيالية تتمثل في انزال مجموعة صغيرة من المرتزقة الانجليز والفرنسيين المتخصصين في جميع أنواع عمليات السطو عن طريق البحر وبيا.و أن الخطة اخفقت بسبب تدخل أجهزة المخابرات الايطالية (كان مقدرا ان تتحرك الحملة من ميناء ايطالي) التي اخطرت من جانب المخابرات المركزية الامريكية وذكر المؤلفان أيضا أن القذافي ومجلس قيادة الثورة قد حاولا في نفس الفترة – على ما يبدو – وضع يدهم على عمر الشلحي بواسطة خدمات نفس المتخصصين وقد ردت السلطة الليبية على الاسئلة بهذا الموضوع بان هذه القصة لا أساس لها من الصحة على الاطلاق . »

أوامر أخرى أثارت شكوكنا .. تصوري حالتنا .. قلت لحمزه : « لقد افتضح أمرنا » وبلغنا جميع الضباط ومساعدي الضباط التابعين لنا بأن لا يتلقوا أية أوامر من غيرنا . ولما داخلنا الاعتقاد بأننا انكشفنا فكرنا في السلاح الذي في أيادينا .. فاننا على أي حال لن نتركهم يأخذوننا بسهولة ... كان انذاراً مخيفاً .. وقد حدث كل ذلك في مارس ١٩٦٩ ، نفس العام الذي قامت فيه الثورة .. »

– هل تم اخطار القذافي بكل هذا ؟

– اعتقد أن حمزة قد فعل .. أما أنا فلم أتفوه بكلمة ..

– لماذا ؟

فكر طويلاً وعلى وجهه تعبير يتأرجح بين الخوف والحلم . وأخيراً قال : في الواقع لا أعرف . وكان ارتباكه واضحاً لمجرد أنه تذكر ذلك الحدث ، فرحنا نضحك . ثم تابع ، أظن أنه كان أفدح خطر تعرضنا له .. وقد كانت هناك انطلاقة خاطئة أيضاً . في ٢٣ مارس ١٩٦٩ ، تلقينا أمراً بتفجير الثورة صباح اليوم التالي . كان ذلك في المساء وقد تجمعنا في بيت واحد منا ، هو خليفة المسماري وهو صديق حميم لي . وقضينا الليل ونحن نشرب الشاي في انتظار الفجر .. كنا متحمسين لدرجة الجنون . ومتأثرين أيضاً .. وكثيراً ما تساءلنا : من يعلم اذا كنا سنلتقي ثانية ؟ وودعنا بعضنا البعض . كنا قد تلقينا أوامرنا من حمزة . وعند الفجر افترقنا . وحوالي الساعة السابعة صباحاً ، وصلتنا الأوامر بايقاف كل تحرك .. ، لقد أصبت بما يشبه الجنون . وأخذت سيارتي ورحت أبحث عن جلود ، دون جدوى ثم عدت الى قواعدي منهكاً من شدة التعب .

أذكر أيضاً أنني كلفت بالاتصال بصف ضابط كنت أعرفه شكلاً وكنت أعرف أنه عنصر طيب ، كان ذلك قبيل الثورة ، وكان عليّ أن أقنعه بقضيتنا . فقد كان وقتنا ضيقاً ، وكنا بحاجة لمساعدة ودعم ، في كل مكان .. وكان علينا أن نعتمد على عناصر – خارجة عن تنظيمنا – تساعدنا في ساعة الصفر وكنا نأمل أن يتولى هذا الرجل شأن محطة الكهرباء والغاز ، ولكني حين زرته لأشرح

له القضية ظل مذهولاً تماماً وتساءل .. ماذا ؟ مؤامرة ؟ وهجم عليّ يفتشني وهو مقتنع بأنني أمتحنه . وحين اطمأن الى كوني لا أحمل مسجلاً هدأ روعه وتمكنت من اقناعه .

وتسألينني أن أعود الى الكلام عن شخصية القذافي ... ميال الى الصمت ؟ لا . ليس كذلك تماماً بل يكره أن يتكلم لكي لا يقول شيئاً .. وفي كل الأحوال حضوره كاف ليرفع الحديث الى مستوى معين .. لا يكرر نفسه أبداً . ويستحيل على الذين عرفوه أن يشكوا في صدقه واستقامته . وفي رأيي أنه حتى رفاق النضال ، وحتى الذين شاركوه القيام بالثورة ، كان الرابط الذي يشدهم الى القذافي هو الصداقة الشخصية التي تفوّق تأثيرها على الشعارات الثورية التي نشاركه ايمانه بها . ومنذ ذلك الوقت وأوامره تنفذ في حضوره وفي غيابه فعلاقتنا مبنية على الصراحة والثقة . حتى أيام كنا طلاباً ، كنا نطيعه ونحن سعداء ، فهو لم يخطىء بحق أحد منا وكان عادلاً مع الجميع .

لم اكتشف فيه جديداً بعد تسلمه السلطة . ولن يدهشني منه أي شيء ولو أصبح ذات يوم زعيماً عالمياً ... كيف أصوره ؟

« انه رجل » .

* * *

وعن تلك المرحلة في سبها ، أخذت معلومات اضافية من محمد الزوي وكيل وزارة الاعلام حالياً . كان الزوى بدوره طالباً في مدرسة سبها مع القذافي .. وقد زودني بتفاصيل كثيرة عن الحركة المدنية السرية التي نظمها القذافي يوم أن كان طالباً .. وقبل أن أواصل الحديث ينبغي أن أعبر عن دهشتي لذلك المزيج من الاحترام والاعجاب الذي يطغي على تعابير هذا المسؤول الشاب حين يتحدث – في صفاء نفسي – عن رفيقه القديم الذي أصبح رئيساً .

قال الزوي « القذافي شخصية فريدة ... انه يختلف تماماً عن كافة الانماط التي يمكن أن نصادفها في حياتنا كل يوم .. لدرجة أنني – وقد عرفته عن قرب –

لا أتمكن أحياناً من استيعابه .. انه يذكرني بتلك المشاعل التي تتوهج وتلتهب في عالمنا ، هنا أو هناك ، عبر فترات مختلفة .. وشعوري بأنه انسان متفوق ومتميز يتغلغل في أعماق تفكيري ويؤثر في عملي ، الى الحد الذي يدعوني أحياناً الى أن أتساءل عما اذا لم نكن جميعاً نعيش في حلم » .

كانت لهجة الزوي وهو يبوح بهذه الكلمات – أكثر من الكلمات نفسها – هي التي دفعتني الى ايراد هذا المقطع كمدخل لروايته .

قال محمد الزوي « علاقتي بالقذافي تمتد على مراحل طويلة منذ أيام الدراسة وحتى توليه السلطة .. وقد كنت واحداً من خمسة أو ستة طلاب أحاطوا به ورافقوه في سبها منذ عام ١٩٥٩ عبر الدراسة الاعدادية والثانوية ، كنت أصغره بعام ، وكان يسبقنا – جلود وأنا – بسنة دراسية واحدة . ومن رفاقنا كان الشريف حسين ، والهادي فضل ، ومحمد خليل الطالب في مدرسة مصراته والذي كان من أوائل المنضمين الى الحركة .. وقبل أن يحدثنا عن الثورة كنا نحترم القذافي لذكائه وطيبته . كنا نلجأ إليه لادراكنا بأنه يحب خدمة الآخرين دون أن يشعرهم بثقل جميله عليهم . وتدريجياً راح ينقل إلينا مشاعره الوطنية وشغفه بالعروبة وجرنا الى شتى أنواع المظاهرات السياسية ، الى أن جاء وقت أحسسنا فيه أن عمله على تنظيم حركة ثورية سرية ووضع برنامج عمل حقيقي هو أمر طبيعي جداً . اتفقنا على أن تكون اتصالاتنا شفهية .. وكان علينا أن نحفظ أسماء الرفاق ونبتعد عن كل وثيقة مكتوبة . ذلك أننا كنا على علم بالمصائب التي لحقت بتشكيلات سياسية أخرى (كالبعث مثلاً) والتي أدت الى حلّها .. كان القذافي يشدد على أن نعتبر أنفسنا تنظيماً سرياً وليس حزباً .. وكان علينا أن ننشىء أول حركة سياسية ليبية لا تقيم اتصالات مع أي تنظيم أو دولة أجنبية ولا عربية . وهنا أرى أن أشير الى المقاييس التي كان يستند إليها القذافي في اختيار الرفاق الجدد ، ذلك أنها تعكس اهتماماته في تلك المرحلة .

كان يراقب كل طالب في مختلف الصفوف ويهتم بالناجحين والشجعان منهم . كان يقول : نحن بحاجة الى أدمغة والى جرأة لنتمكن من الاطاحة بالحكم...

وهكذا ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦١ ، كنا خمسة أو ستة ، نتغلغل داخل طلبة المدرسة في البداية ، ثم في مختلف طبقات الشعب ، في سبها وفي مصراته حيث أسند النشاط فيها الى خليل . وفي عام ١٩٦١ ، اضطر القذافي الى متابعة دراسته الثانوية في مصراته بعد أن طرد من فزان وبقيت ومعي شريف حسين والهادي فضل وجلود في سبها . ولقد كسبنا الكثيرين الى جانب قضيتنا ، وأذكّرك بأن البترول لم يكن قد اكتشف بعد يومئذ بل كانت ليبيا بلداً فقيراً ولم نكن نركض خلف أحلام العظمة والثراء ، بل كنا نحلم بالحرية والعدالة والوحدة ومكان تحت الشمس لكل مواطن . وخلال الإجازات كنا نلتقي في طرابلس أو مصراته أو الزاوية . وعندما أنهى دراسته الثانوية قرر القذافي دخول الكلية الحربية . ودفع بجلود لأن يلحق به . وبقينا نحن نتابع نشاطنا في اطار التنظيم المدني . وفي الحقيقة حاول معمر جهده ليقنعني بدخول الكلية الحربية لكنها لم تكن لتغريني فقد بدت لي حياة الجيش غريبة عن طبيعتي ولهذا قاومت رغم غضب القذافي . وهكذا التحقت بكلية الحقوق وهناك لم أحرك ساكناً فقد اتضح لي أن طلاب الجامعة لا يشكلون أرضاً خصبة . كانوا يطرحون أسئلة كثيرة ويناقشون كل نقطة ويطلبون ألف تفسير ويصرون على معرفة أدق التفاصيل . كانت قد نخرتهم بالفعل تنظيمات سياسية كثيرة كلها تدعي السرية ، منها الشيوعيون والاخوان المسلمون الخ ... لكننا كنا نبحث دائماً في قلب الجامعة عن عناصر جديدة لا بد من تتبعها . وكانت الاتصالات جارية في الوقت نفسه على صعيد الصفوف الثانوية بفضل من كانوا لا يزالون في هذه المرحلة . كان لنا رفاق في جميع سنوات المدراسة بحيث يكون التناوب مؤمناً باستمرار ، أما أنا فكنت أنشط داخل الجامعة ليس لاستقطاب رفاق جدد ، وانما لابعاد الطلاب عن الانتساب الى التشكيلات السياسية الأخرى .

وفي عام ١٩٦٣ دخل القذافي الكلية الحربية . ومن هناك وخلال خمس سنوات أعدّ ثورته . وأظن أن العسكريين يطلعونك على هذه المرحلة أفضل مني . خاصة وأني أتممت دراسة الحقوق في القاهرة ولم أعد منها الا خلال السنة السابقة للثورة ، أي عام ١٩٦٨ . بالطبع كنت على اتصال منتظم مع القذافي والتقيته فور عودتي . لكني وان فضلت أن يطلعك أحد غيري على تلك المرحلة ، يظل

بامكاني التأكيد على أن كل شيء ظل يتمحور حول القذافي من البداية الى النهاية . كان يتنقل في البلاد في كل يوم عيد أو أثناء العطل ويبقى ساعات قليلة في كل منطقة يزورها . والغريب هو أن السلطات لم تهتم للأمر ، كانوا يظنونه حالماً متهوراً لا حظ له في الوصول الى أي هدف . ولا بد من القول بأن معمر بذل جهده ليثبّت هذه الصورة في الأذهان . وخلال هذا الوقت كان الجناح المدني يواصل نشاطه لكن ببطء وأمام صعوبات متزايدة . فقد جرت محاكمات سياسية خصوصاً في عام ١٩٦٨ وكانت المراقبة صارمة وكان القذافي لا يقطع اتصالاته بهذا الجناح رغم انشغاله أساساً بالجيش - أفلم يدخل الكلية الحربية لهذا السبب - بحيث استمر التنسيق بين الجناحين حتى النهاية . وقد برهن المدنيون على فعالية كبيرة ساعة الاستيلاء على السلطة » .

هنا تنتهي رواية محمد الزوي وحين طلبت إليه أن يرسم صورة للقذافي ، استعاد صوته نفس التأثر الذي غلفه في بداية الحديث ، « انه رجل طيب شديد الاهتمام بزملائه والحرص على راحتهم . كم من مرة قلق علي لأنني أفرط في التدخين وطلب الي أن أكفّ عنه ، يتصرف كصديق ولا يضغط بحيث يشعر المرء تجاهه بعرفان الجميل حتى ولو لم يستجب لنصيحته . معرفته واسعة وتشمل مجالات عديدة ... كيف يتسنى له أن يغوص دائماً في أعماق الأمور ؟ لست أدري ولكنه مغرم بالقراءة ... وانني لمعجب بحدة بصيرته وثقته في نفسه .

ورغم طيبته يغضبه أن يرى شخصاً يرتجف أمامه . فعندئذ بدلاً من أن يرق قلبه يعتبر هذا الشخص جباناً ... (وهو الذي يردد يجب ألا نخشى الا الله) ويرفض أن يتسامح . فالاحترام في نظره يجب أن يكون منزهاً عن الذل .

وحين استولى على الحكم فعل ذلك بعقلية وروح ابن الصحراء الذي لا يخشى الا الله . وهو متصوف حقيقي : غناه الروحي مصدره معرفة عميقة بالقرآن الكريم وقد تأمل طويلاً وملياً في آياته .

لقد سمعت بعضهم يتهم القذافي بالتفرد بالسلطة .. هذا مضحك في رأيي فالليبيون يحبونه بشغف ... لقد أقام اتصالاً مباشراً وأليفاً مع الشعب لدرجة

جعلت الناس يفضلونه على أي واحد من المحيطين به . وكم من مرة رفض اصدار الأوامر والتوجيهات الرسمية دون أن يسبقها نقاش ، وباستطاعته أن يفعل ولكنه يرفض ويفضل مناقشة القضايا قبل البت فيها . وهو يستمع الى جميع الأراء واذا اقتنع بها فإنه لا يتردد في تعديل القرار الذي كان ينوي اتخاذه . وهناك شيء آخر أكره عليه من جبن الناس وهو المديح . بعد هذا ألا ترين أن اتهامه بالميول الدكتاتورية هو منتهى السخف ؟ » .

* * *



٣

سنوات مصراته

(١٩٦١ - ١٩٦٣)

عندما وصلت الى مصراته ، فكرت في الصدمة التي تلقاها « القذافي » الشاب – طفل سرت ، وصبي فزان – حين وجد نفسه فجأة ، في المدينة التجارية ، النشطة الواقعة شرقي طرابلس ، والتي يبلغ تعداد سكانها مائتي ألف نسمة .

كنت لا أزال سابحة في المشاهد التي كانت تتتابع أمامي على طول الطريق ... مدينة لبدة .. وزرقة البحر .. وبياض المرمر .. وشواطىء الخمس المزروعة بالزهور الصفراء . ورغم أني قادمة لتوي من طرابلس ، الا أنني أحسست بالغربة بين هؤلاء الناس المنشغلين ، وهذا الخليط من الحوانيت الكثيرة ، والأبنية والساحات ، التي أكسبها الاحتلال الايطالي مظهرا غريبا عن المناظر الليبية المألوفة .

وتساءلت عما فكر فيه « القذافي » حين احتك بسكان هذه المدينة البعيدين جدا في طباعهم ، وأسلوب حياتهم ، عن طباع وأسلوب حياة الذين عاش معهم حتى ذلك الوقت . وقد جاء مطرودا من « سبها » وحاملا لقب « محرض » وخالي اليدين من الأوراق الضرورية اللازمة لتسجيله في المدرسة الثانوية . ولكن « مصراتة » تقع على أبواب سرت وأتصور أن هذا قد طمأنه ، كما وأن وجود صديقه « محمد خليل » قد عزاه وكان قد كلفه بتجنيد واستقطاب عناصر للتنظيم المدني السرّي في مصراته . وقد قيل لي في سبها أن « القذافي » تمكن من تسجيل نفسه في مدرسة مصراتة بفضل « محمد خليل » وعلاقاته الواسعة ، على الرغم من أن أوراقه لم تكن مستوفاة . على أن محمد خليل لم يأت على ذكر

تلك الخدمة التي سبق أن قدمها لصديق الطفولة ، الذي أصبح رئيسا للدولة ، والذي يحتفظ له بأوطد الصداقة ، وقد عينه رئيسا لبلدية مدينته .

« محمد خليل » رجل مديد القامة ، يرتدي زيا أوروبياً أنيقا ، ويرتدي فوقه « حولي » أبيض فضفاضا ، وهو في مثل عمر القذافي وإن كان يبدو أكبر منه ، وربما يعود ذلك الى تكوينه القضائي ، فهو محام ، وقد أضفى عليه ذلك قدرا من التحفظ والحيوية والاتزان مع رقة بالغة اللطف . وقد دار الحديث بيننا عبر مترجم هو الاستاذ « محمد بن شعبان » . وهو مدرس تونسي يقوم بتدريس اللغة الفرنسية في مدرسة مصراته الثانوية منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، وكان القذافي أحد تلامذته .. وكانت ترجمة ذلك الأستاذ دقيقة ، وكان مظهره رقيقا .

وقد انطوى حديث محمد خليل على أهمية بالغة لأنه عاد الى المراحل المبكرة للحركة التي أسسها القذافي .. الى العهد المدني للتنظيم .. وقد تناول الحديث كذلك تلك الفترة التي تقرر فيها ادخال بعض أعضاء التنظيم في الجيش للعمل من داخله ، والحصول على الوسائل الضرورية للاستيلاء على السلطة .

وقد فضّل محمد خليل أن يروي لي حكاية علاقته مع القذافي حسب تسلسلها الزمني ، وفي ختام اللقاء طرحت عليه بعض الأسئلة وأجاب عنها بدقة ولكن في ايجاز . وقد خرج مرة واحدة عن هدوئه حين ذكرت له ما سمعته عن أن انفصالا قد وقع في فترة ما بين الجناحين المدني والعسكري في التنظيم .. وهنا خرج عن طوره حقا وأكّد كذب هذا الادعاء وعاهدت نفسي سرا أن أسأل القذافي نفسه عن هذه النقطة حين التقى به .

قال محمد خليل « عرفت القذافي عام ١٩٥٤ في مدرسة سرت الابتدائية كان مثلي في السنة الرابعة ، رغم كوني أصغر منه قليلا .. كان القذافي متأخرا عن عمره . وذلك أمر عادي إذ يعتبر الولد محظوظا فيما لو قبلت عائلته أن تضحي من أجل تعليمه . وبقينا على اتصال مستمر بفضل الرسائل العديدة والمنتظمة ،

طوال اقامة القذافي في سبها بينما كنت أنا في مصراته .. البعد وثق علاقتنا .. وفي عام ١٩٥٨ ، جاء القذافي الى هنا فقط ليراني ويقضي الأمسية معي .

وفي عام ١٩٥٩ عاد مرة أخرى إلى مصراته وأطلعني على العمل الذي بدأه في فزان وعلى أفكاره وخططه .. أخبرني أنه أسس تنظيما مدنيا سريا هدفه الإعداد للثورة . وشرح لي الأوضاع التي تتخبط فيها البلاد من قمع بوليسي ومظاهرات طلابية وفساد المسؤولين وسيطرة الدول الأجنبية من خلال الاتفاقات المعقودة بينها وبين الحكومة الليبية . وحدثني طويلا عن الوحدة بين مصر وسوريا وعن إعجابه الشديد بجمال عبد الناصر وكان يقول « يجب أن نتعرف على أنفسنا من خلال عبد الناصر لأن شخصيته ، وتأثيره في الشباب العربي ، هما أملنا الوحيد في استعادة استقلال بلادنا وعظمتها » وكان معجبا بكون عبد الناصر قد أصبح « مركز استقطاب » هائل .. وكان يعتقد أن هذا عنصر جوهري في النضال الذي ينتظرنا ، وكان غاضبا لسلبية الحكم من القضية الفلسطينية . وانتقد بشدة علاقاتنا الفاترة ببقية الدول العربية وأكد لي أخيرا ايمانه بأن ليبيا جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ، وأنها بفضل موقعها الجغرافي كهمزة وصل بين المشرق والمغرب ، مدعوة للقيام بدور هام في معركة تحرير وطننا واستعرض الوسائل التي يمكننا الاعتماد عليها لانجاح ثورتنا ولاحظ أن مساندة الجيش لنا أمر أساسي ، ولكن الجيش كان قطاعا محرما علينا . ذلك أن الكلية العسكرية كانت حكرا على بعض العائلات وكان الضباط جميعهم في عزلة سياسية ولا يفكرون الا في الملذات . وحين كانوا يرسلون الى الخارج للتدريب . وخصوصا الى الولايات المتحدة الأميركية فأنهم كانوا ينغمسون في تيارات اللهو وضياع الوقت .

أما عن التنظيمات السياسية القائمة ، كالبعث وحزب جورج حبش (الذي لم يكن قد اتخذ اتجاها ماركسيا بعد) فأخبرني القذافي بأنه فكر بامكان الاتصال بها . ثم عدل عن ذلك ، لأن هؤلاء في رأيه يهدرون الوقت في النقاش الفارغ والاتصال بهم لن يجدي نفعا .

واتفقنا على أن لا نعتمد الا على قوتنا الذاتية .. وتطلب الأمر أن نعمل على

توسيع تنظيم سبها ، باجتذاب عناصر شابة جديدة تؤمن بالوحدة العربية وبالحرية وتشعر بشكل خاص ، بضرورة احداث تغيير جذري داخل بلدنا . وأوكلت إليّ هذه المهمة على نطاق مصراته . أما مقاييس اختيار العناصر الجديدة فكانت لا موانع طبقية ، وحذر من الذين يكبروننا سنا ، واستقلال تام عن أي تنظيم والاستغناء عن أية مساعدة تأتينا من الخارج . وهكذا دخل التنظيم تجار وأساتذة وعمال وموظفون .

في عام ١٩٦١ ، بعد طرده من سبها ، جاء القذافي الى مصراته وكنا معا في السنة الثانية الثانوية . وبعد أن حصلنا على الشهادة الثانوية عام ١٩٦٣ ، عقدنا أول جمعية عمومية لادارة الحركة ، اشترك فيها رفاق من سبها وطرابلس ومصراته وخلال ذلك الاجتماع تقرر أن يدخل ثلاثة منا - بينهم القذافي بالطبع - الى الكلية العسكرية حيث يؤلفون نواة الضباط الوحدويين الأحرار. وكان على هؤلاء أن يضمنوا للحركة مساعدة الجيش[١] .

وبعد دخول القذافي الكلية العسكرية في بنغازي التحقت أنا بكلية الحقوق في نفس المدينة وتخرجت منها فيما بعد . وكنا نعقد اجتماعات اسبوعية وكان القذافي هو صلة الوصل بين جناحي التنظيم ، وهكذا نمت الحركة سنة بعد سنة حتى عشية ثورة « الفاتح من سبتمبر » .

عندئذ سألت محمد خليل عن انشقاق جناحي التنظيم فاعترض قائلا : « لم يحدث انشقاق على الاطلاق .. كان المدنيون والعسكريون يجتمعون كلا على حدة حتى لا تتسرب الأسرار. على أن القذافي كان محرك أولئك وهؤلاء معا .

---

١) أراني محمد خليل وثيقة ، وهي عبارة عن رسالة مقتضبة أو محضر اجتماع وقد جاء فيه « ثلاثة من بيننا - اسم القذافي بينهم - يلتحقون بالكلية الحربية » وقد رجاني محمد خليل أن لا أذكر الاسمين الآخرين .

وقد حدث أن اجتمعنا نحن المدنيين داخل الكلية العسكرية . وقد كان القذافي في نوبة حراسة وكان لا يستطيع أن يوافينا الى مكان الاجتماع ، فأرسل لنا سيارة عسكرية حملتنا اليه في ثكنة قاريونس . وتكرر ذلك مرة ثانية في ثكنة البركة . من جهة أخرى كان القذافي قد أعلمنا في مارس ١٩٦٩ وللمرة الأولى بأن ننتظر اشارة منه ، وسلمنا قائمة بأسماء أشخاص علينا أن نتصل بهم حين تحين الساعة . وفي المرة الثانية في أغسطس ١٩٦٩ وبينما كنا في طريقنا الى مطار بنغازي لنستقبل ضباطا أعضاء في التنظيم . حدثني القذافي عن خطورة الاوضاع وعدم امكان تأجيل الموعد وفي نفس الفترة كان قد قصد مصراته ليسلم مدنيا آخر ، وهو مصباح على القذافي . قائمة بأسماء ضباط ثكنة مصراته الذين يجب أن يتصل بهم حين تندلع الثورة . وهكذا ترين أن العلاقات بين العسكريين والمدنيين ظلت وثيقة حتى النهاية » .

لم أناقشه ، تاركة ذلك للقائي بالقذافي . ولكنني طرحت عليه بعض الأسئلة .

س : ما هي في رأيك أبرز صفات القذافي .

ج : ذكاؤه وسمو أخلاقه واستقامته ، وأيضا شعوره الديني الذي يكسبه قوة خارقة . والقذافي رجل اجتماعي وجذاب . صحيح أنه يفضل الصمت على الكلام . لكنني كثيرا ما رأيته يخوض النقاش بحماسة ، شرط أن يكون محدثه قد أوحى له بالثقة ، وحتى ولو لم يكن من الرفاق .. هو جدي بطبيعته ولا يميل الى اللهو حتى عندما كان طفلا لم يكن يلعب أبدا .. كان يفضل القراءة على اللعب .

س : هل تشعر أن تسلمه السلطة قد غير شيئاً فيه وفي أي اتجاه جرى هذا التغير ؟

ج : لا أشعر أنه تغير . بقيت عاداته وأسلوب حياته وطباعه تماما كما كانت .

س : هل كان في شخصيته ميزة أو عيب لم تلحظوه من قبل وأدهشكم أن تكتشفوه فيه بعد تسلمه السلطة ؟

ج : كلا .. على الاطلاق .

س : حتى ولا سرعته في اتخاذ القرارات اللازمة .. وهذا أمر تبينه الجميع فيه ؟

ج : كان دائما سريعا في اتخاذ قراراته .

س : والسبب في رأيك ؟

ج : السبب يكمن في ذكائه المتفوق .

س : أي ميزة تراها هامة أيضا ؟

ج : أنه رجل يكره الشجار . لم أره في حياتي حاقدا على أحد .

بعد أن ودعت رئيس بلدية مصراته طلب الاستاذ شعبان أن يضيف شيئا على الحديث الذي ترجمه لي . فقد علّم القذافي اللغة الفرنسية خلال سنتين وهو يتذكره جيدا . قال :

« أذكر أنه لم يكن يغادر الفصل أثناء الاستراحة الا نادرا . كان يبقى وحده ليقرأ . ولاحظت أن قراءاته لا تمت بصلة الى مواضيع الدروس . وأتذكر حادثة تبدو لي نموذجية : ذات يوم طلبت الى التلاميذ كتابة موضوع إنشاء بالفرنسية . وقرر الجميع رفض القيام بهذا العمل ولم أعد أذكر لأي سبب بالضبط . ورأيت القذافي قادما اليّ ليريني أنه كتب الموضوع . لكنه لم يسلمني اياه . فقد أراد أن يتعاضد مع رفاقه لكنه لم يستطع كبح ميله الطبيعي الى أداء واجبه .

ويوم تسلموا السلطة كنت في تونس أقضي عطلة الصيف مع عائلتي . ولم يخطر ببالي على الاطلاق ما كان يعده القذافي من مخططات . أما فكرة القيام بثورة في ليبيا ، وانجاحها ، كانت في رأيي عملا جنونيا . على أنني لم أدهش للخبر حين فكرت في شخصية القذافي . كنت قد ناقشته في بعض المواضيع . ولم نكن متفقين حول العديد منها .. ثم أن القذافي ليس من النوع الذي يتساهل في معتقداته بل هو يدافع عنها بحماسة فائقة . ولهذا السبب استغربت حين رأيته مرة يمارس واجباته كرجل دولة .. أدهشني أن يكون هو نفسه يصبر على مناقشات تستمر ساعات ولا يضيّع خلالها خط تفكيره الأساسي ولا للحظة

واحدة . وكثيرا ما يلقي خطبا طويلة ذات بناء منطقي متكامل . ما أدهشني في القذافي رجل الدولة هو بالفعل منهجية تفكيره » .

وسأجمع فيما بعد معلومات أوفر عن تلك المرحلة « المدنية » من نشاطات القذافي ورفاقه خلال حديث لاحق أجريته مع عمر المحيشي عضو مجلس قيادة الثورة . تلك المرحلة في مصراته التي شهدت المنعطف الحاسم الذي جعل من القذافي عسكريا وقائدا للضباط الوحدويين الأحرار. حدثني عمر المحيشي بنوع خاص عن نشاطات الرجال الممسكين حاليا بزمام الحكم في ليبيا ، وقد أتى صدفة على ذكر مرحلة مصراته . قال :

« تعرفت على القذافي عام ١٩٦٣ في مصراته .. حيث كنت طالباً في المدرسة الثانوية وانضممت إلى الحركة المدنية التي أسسها القذافي . كنا كلنا في ذلك العهد ، متأثرين بدرجات متفاوتة ، بنظريات البعث وأفكار جورج حبش وكنا متحمسين جداً للثورة الكوبية . لم يكن كاسترو قد كشف عن وجهه الماركسي بعد ولا ريب أنك تعرفين أن حركتنا المستوحاة أساساً من العروبة ، تحرص على أن تبقى ليبية صرفة . ولأننا أردنا بلوغ الهدف بقوانا الذاتية ، دخلنا الجيش والمهم في رأيي هو أننا بعد دخولنا الكلية العسكرية وحين تطلّب الأمر أن نستقطب رفاقاً لنا ، اضطررنا إلى تغيير أساليبنا كلها . لم نعد نستند في اقناعهم إلى الأسس الإيديولوجية لأن الضباط لم يكونوا على استعداد فكري للسير معنا في هذا الطريق . ولذلك راهنا على الشعور الوطني المنتشر بحدة في أوساط الجيش ، وأيضا على الاتصالات الشخصية والصداقات ... »

تذكرت هذه الكلمات الأخيرة حين التقيت في بنغازي ، وداخل ثكنة البركة نفسها ، التي سيتردد ذكرها كثيرا في قصة ليلة الفاتح من سبتمبر ، أحد الضباط الوحدويين الأحرار ، الذين جندهم القذافي نفسه في الكلية العسكرية ... أي خلال المرحلة الأخيرة من الرحلة الطويلة التي أحاول اعادة بنائها بأمانة وصدق ... رحلة البدوي الصغير الذي صار رجل دولة .



٤

من الكلية الحربية الى السلطة

(١٩٦٣ - ١٩٦٩)

من زجاج الشرفة في غرفتي بفندق برينتشي الفخم ، أخذت أتأمل العاصفة وهي تنفض مياه مرفأ بنغازي وترفعها زبداً ناصع البياض ، ثم تضرب رؤوس النخيل بقساوة . وبينما يهطل المطر غزيراً ، بدت السماء رمادية رصاصية ، والطريق خال الا من سيارات قليلة توزع على الجانبين مراوح كبيرة من المياه المتجمعة . لقد كان من حسن الحظ أن موعدي المهم في الغد .. ورغم سوء الطقس قمت في اليوم السابق بجولة داخل المدينة التي يسميها الليبيون « العاصمة الثقافية للبلاد » .

واذ عدلت عن الخروج هذا اليوم ، أخذت أعد الأسئلة التي سأطرحها على النقيب سليمان محمود بالحرس الجمهوري ، رفيق القذافي في السلاح . ثم فطنت الى ضرورة الاطلاع على ما رواه الرئيس الليبي نفسه عن سنوات دراسته في الكلية الحربية وتشكيل اللجنة المركزية للضباط الوحدويين الأحرار الذين يشكلون اليوم مجلس قيادة الثورة . [١]

« لقد تكونت اللجنة المركزية في عام ١٩٦٤ ، وعقدنا أول اجتماعاتها على شاطىء طلميثه في تلك السنة . ومن بعدها توالت اجتماعات اللجنة المركزية وقد تعبنا أكثر ما تعبنا من مسألة الاجتماعات وسبب التعب هو أنها كانت تعقد في العطلات وفي ساعات متأخرة ومشقة البحث عن أماكن مأمونة خارج المدينة

---

١) حديث للتلفزيون المصري في ١٤ اكتوبر ١٩٦٩ .

وكذلك مشقة السفر مئات الأميال والسهر في ظروف جوية غالباً ما تكون قاسية . وكنا ننام في العراء ونجتمع في حماية شجرة وفي ذرى الصخور . واضطررنا لهذا السبب أن يشتري أكثر الأعضاء سيارات خاصة لتكون في خدمة الحركة . وكنا نظهر قصداً لكي لا يعرف من يهمه الأمر أننا نختفي في هذه المناسبات وقد فرضت على اللجنة المركزية قيوداً ماكان لغير أعضائها أن يتحملها فأعضاء اللجنة المركزية كانوا لا يلعبون الورق ولا يشربون الخمر ولا يرتادون الملاهي ولا يتركون الصلاة ويدرسون كل شيء وقد انتسب عدد كبير منا بكليات جامعة بنغازي[1] ولكن خوفاً من لفت نظر رؤسائنا كنا نسمح للبعض بأن يخالف القيود فيما يتعلق بلعب الورق .

وبصدد الاجتماعات فالأوامر كانت صارمة جداً وتقضي في بعضها أن يحضر كل أعضاء اللجنة المركزية ولا يجوز أن يتغيب أي منهم والا اعتبر الاجتماع باطلاً . وكان هذا النوع من الاجتماعات دورياً وكان الحرص عليه شديداً وضرورة حضوره يحملنا متاعب ومشاكل ونحن تحت القيود العسكرية .. وفي عام ١٩٦٧ – على سبيل المثال – فرضت عقوبة قاسية لا زالت أثارها حتى الآن على أحد أعضاء اللجنة لأنه تغيب عن أحد هذه الاجتماعات . وفي هذا الصدد أذكر كذلك أن عدداً من أعضاء اللجنة المركزية اقترحوا في اجتماع عقد بسيدي خليفة أن يكون للحركة رأس مال وصندوق توفير . وفي اجتماع آخر في نفس المكان في سيدي خليفة قررنا بألا نلجأ إلى جمع الاشتراكات بل تكون رواتب جميع الضباط الوحدويين الأحرار وفي مقدمتها رواتب اللجنة المركزية رصيداً للحركة تؤخذ في أي وقت وبدون تحديد للمقدار .

وفعلاً تعرضت رواتبنا دون انتظام للانفاق في تذاكر السفر للضباط بالطائرات وفي المهام العاجلة وفي مساعدة بعضنا بعض في النواحي العائلية والملمات .

---

١) درس القذافي التاريخ لمدة ثلاث سنوات في كلية الاداب بنفس الجامعة .

وبعد ذلك تقرر أن يقدم كل عضو من أعضاء اللجنة المركزية تقريراً ، كل شهر عن الضباط غير المنضمين للحركة وخاصة من ذوي الرتب الكبيرة لكي لا نظلم أحداً عند الحكم عليه ... وقد بينت لنا بعض الاتصالات مع بعض الضباط ذوي الرتب الكبيرة أن اليأس في أعماقهم مثلنا ولكن نتائج الاتصال ومفاتحة ذوي الرتب الكبيرة كانت صفراً تقريباً » .

هكذا اذن سارت الأمور على مستوى اللجنة المركزية للضباط الأحرار . وقد عاد الى الحديث عن هذه القضايا في اليوم التالي النقيب سليمان محمود .

دخل المكتب حيث كنت أنتظره فأوحى لي بقوة جسدية هائلة ورشاقة غريبة . يتحدث بهدوء وبصوت خفيض . ورغم معرفته الجيدة بالانكليزية أصر على التوجه إلي باللغة العربية عبر مترجم .

وقال « قابلت القذافي في الجيش عام ١٩٦٦ ، كان كل منا برتبة ملازم أول في الاشارة .. كنت مدرساً في « مدرسة الاشارة » وكان القذافي قد عين في سلاح الاشارة بالجيش . ومنذ ذلك الحين كان القذافي يتمتع بشعبية كبيرة بين زملائه وكان متميزاً عنهم . وأضاف بالانكليزية موضحاً « كان مختلفاً عن أي واحد منهم ، له تفكيره واهتماماته الخاصة » . تفوقه وتقواه كانا مضرب مثل والكل يتحدث عن « هوسه » بنقاء اللغة العربية . تعرفين أنه في ذلك الوقت – وحتى اليوم في بعض الدول العربية – جرت العادة على ادخال كلمات فرنسية أو انكليزية في الجملة العربية . وكان القذافي يكره ذلك ولا يترك مناسبة الا ويؤنبنا قائلاً في تعجب « ان اللغة العربية غنية جداً . فلماذا تقلدون الآخرين ؟ لماذا تستهترون بأصالتكم ؟ » وأعترف بأن اصراره هذا كان يثير دهشتي . لكننا لم نلبث أن بدأنا نشاركه تفكيره وبدأنا نتعمق في مواضيع أحاديثه إلينا عن مصير العرب ونضال جمال عبد الناصر وضرورة تحرير بلادنا من الوجود البريطاني تماماً كما حررنا مصر والقناة . كان يرفع ناصر كمثال وحيد علينا باتباعه لننال استقلالنا الحقيقي . وكنا نستمع إليه ونفكر اننا لن تتاح لنا الفرصة لتحقيق ما فعله عبد الناصر . وكان القذافي يكتفي بدفعنا إلى التأمل في احداث العالم العربي

وفي أصالتنا وجذورنا ومسيرة تاريخ أمتنا . ولم يكن يذكر على الاطلاق الوسائل العملية للنضال .

الآن استوعب مدى أهمية تلك الفترة الاعدادية . فالتأمل الذي دفعنا إليه قد تغلغل في أذهاننا وأعدها للمرحلة التالية ، مرحلة تجنيدنا للثورة .

كان يقول : فكروا في أمجاد ماضينا ، في عظمة حضارتنا الاسلامية التي قادتنا فيما مضى من الصين الى فرنسا وحافزنا الوحيد ايماننا بالله والعدالة والمساواة والتآخي بين البشر . واذا كنا قد خسرنا كل شيء ، فذلك لأن حكامنا قد ضلوا عن سبيل الحق ولأنهم تفرقوا . تلك هي علة اندحارنا وذلنا الحاضر . فبدلاً من أن يبقى الاسلام حافزاً فكرياً ، قادنا اتصالنا بدول اخرى الى جعله وسيلة لبقائنا في حالة التخلف . افتقدنا القيم الدينية وتركنا شعوباً أجنبية تحكمنا باسم دين آخر خافية وراءه مطامعها الاستعمارية . لكن تذكروا دائماً أن الصليب كان بريئاً من هذه المظالم . دياناتنا الثلاث تنبع كلها من مصدر واحد ، من بلادنا . واذا كنا قد انتصرنا مرة فذلك لأن مصر وسوريا كانتا قد استعادتا وحدتهما بفضل صلاح الدين . وحتى عبد الناصر ، لم يحدث ما يسمح لنا بالأمل . فكروا في الاحتلال الفرنسي للجزائر ، في الاحتلال البريطاني لمصر ، فكروا في أرضنا التي غزاها الطليان ، فكروا في فلسطين ، في التنسيق ما بين حسين وماك ماهون ، في اعلان بيلفور ، في المناسبات العديدة التي كنا فيها أذلاء مغلوبين على أمرنا . الآن بامكاننا أن نطمح . الآن ناصر موجود . وهو أول زعيم عربي عرف كيف يطرد الأجنبي . علينا أن نتطلع إليه .

كان عبد الناصر يبرز من بين كلماته كالأمل المنشود . كنا نقضي الساعات في سيرته وفي التعليق على كل قرار يتخذه . وبما أن القذافي كان دائماً هو الذي يبادر الى دعوتنا للاجتماع ، بدأ اسمه يتردد تدريجياً على كل الشفاه . ثم صار شخصه محط اعجاب واحترام جميع الضباط .

كان كلانا في شعبة الاتصالات . ثم بلغنا درجة ملازم فافترقنا . نقلت أنا الى المرج بينما انتقلت فرقة القذافي الى قاريونس على بعد أربع كيلومترات غربي

بنغازي حيث مقر القيادة العامة . وكانت المناسبات التي تجمعني بالقذافي كثيرة .
كنت أزوره في قاريونس والتقي عنده بالملازم مصطفى الخروبي صديقه الحميم وعضو مجلس قيادة الثورة حالياً . ولم أكن في ذلك العهد على علم بما يدبر ..

كان القذافي حذراً الى أقصى درجة في اختيار الضباط الأحرار ولا يسلم سره الا لأقربهم إليه .. وبعد أشهر أرسلت مع الخروبي الى الولايات المتحدة في بعثة طويلة . وفي تكساس ، ترددنا على مدرسة سانت انطونيو التقنية للغة ، ثم على مدرسة الاشارات في جيرسي . والتقينا هناك عدداً كبيراً من الضباط الأسيويين والتونسيين والمغاربة الموجودين هناك – في رأيي – بهدف استقطابهم . كانت الحفلات الصاخبة وشتى أنواع التسلية تعرض علينا باستمرار ، وبما أننا كنا متدينين (وكنت قد حججت الى مكة) فقد تهربنا من الحفلات وصرنا نقضي أوقات فراغنا معاً . وكان رفيقي لا يتحدث الا عن القذافي ، وتحمست لأحاديثه وأيضاً لذكرياتي عن ذلك الشخص المتفوق ، فكتبت إليه رسالة طويلة حملتها احترامي وصداقتي . وخاب أملي حين لم أستلم منه أي جواب .

في بداية عام ١٩٦٧ عاد الخروبي الى ليبيا وعدت إليها أنا بدوري في شهر مايو . ثم كانت مأساة ١٩٦٧ . وأذكر أن سيارة القذافي« الفولكس فاجن »توقفت ذات مساء أمام مكتبي في المرج . ونزل منها ومعه الخروبي وتناولنا الشاي معاً . وبعد أن أدينا صلاة العصر شكرني القذافي على الرسالة التي بعثت بها من الولايات المتحدة وخضنا في حديث مثير استعرضنا خلاله أوضاع الدول العربية بعد الخسائر الفادحة التي ألحقتها بنا اسرائيل .. من ذلك الباب دخلت الى العمل . تلك كانت طريقة القذافي في اختيار الرجال . كان يراقبهم طويلاً ويجمع عنهم أكبر نسبة ممكنة من المعلومات ، وحين يقرر الاتصال المباشر بهم يكون متيقناً من أن الرجل المختار جدير بثقته ومستعد نفسياً للسير معه . أذكر أنه سألني اذا كنت مستعداً للمخاطرة بحياتي في سبيل الثورة الهادفة الى اسقاط النظام واذا كنت مستعداً للتضحية بكل شيء في معركة الوحدة العربية . وقبلت ، وانضويت تحت لواء شعارات ناصر .

وهكذا بدأ تعاوننا . كلفني القذافي بمهمات عديدة كإعداد القوائم وكتابة المنشورات وبث الدعاية ومراقبة الاشخاص والاتصال بهم . وكانت نشاطاتي مبرمجة . بحيث لا يعرف كل أسماء الرفاق سوى القذافي وحده . كان يلتقينا مجموعين ومتفرقين . وكان يحمسنا (أو يسحرنا) لدرجة أن أحداً منا لم يفكر جدياً بالخطر الحقيقي المحدق به » .

وختم النقيب سليمان محمود حديثه بقوله تلك هي قصتي والآن اطرحي ما تريدين من أسئلة .

سألته أن يحدثني عن القذافي ويصوره لي بأسلوبه الخاص . فكر طويلاً وقال :

« ميزة القذافي الأولى في رأيي هي ذكاؤه المتوقد . يكاد لا يفوته شيء .. ونظرته بعيدة المدى . بعد هذا مباشرة يأتي ولعه بالحقيقة . يستحيل على القذافي أن يكذب ، حتى لإنقاذ أسرته . وهناك أيضاً تعلقه بالدين وهذا مصدر طهارته ، وهو هادىء التفكير واضح الهدف لا يسامح الهفوات التي ترتكب من حوله . وهو انسان طيب يملك روح النكتة ويحب الضحك .. ولعه بالحرية فوق امكان التصور ، وهو ابن الصحراء القوي الذي لا تغريه وسائل الراحة والبحبوحة » .

– هل لاحظت عليه تغييراً بعد تسلمه السلطة ؟

– لا أظن ، باستثناء دهشتي الكبرى لسرعته في اتخاذ القرارات ولمقاومته التعب ، الأمر الذي يمكنه من العمل عشرين ساعة متواصلة دون أن تظهر عليه علامات الملل . ولا شك في أنه ما يزال يكتسب العلم والمقدرة كلما تعمقت تجربته .

سألت : هل تظن أنه اختار الجندية ليخدم من خلالها مخططاً كان في رأسه ؟

– لا أعرف . لكن ما أعرفه جيداً هو أنه اختار سلك الجندية من أجل القيام بالثورة . سألتني أن أصوره لك .. في استطاعتي أن أقول ، القذافي هو الرجل القادر على انقاذ قافلة تائهة في الصحراء والعودة بها إلى شاطىء الأمان » .

الجزء الثاني

الحلم يتحقق

" ينتهي التمرد حيث تبدأ الثورة "

جيوسيبي ماريني



١

فجر الثورة

في قصة الثورة كما رواها العقيد القذافي أحداث أصبحت معروفة الآن ، تدل على أن فجر الثورة طال أكثر من تلك الساعات الحاسمة التي انهارت خلالها مملكة على أيدي فريق من الضباط الشباب ، قبل أن تشرق شمس الأول من سبتمبر ١٩٦٩ على ليبيا ، مملكة منخورة من داخلها ، وعجوز من قبل أن تولد ، ولكنها قائمة بفضل اتفاقات محددة تضمن لها بريطانيا بموجبها طول البقاء ، بالاضافة إلى كونها محروسة بوجود عشرة آلاف أميركي ، على بعد كيلومترات قليلة من طرابلس . منهمكين في قضايا كثيرة . أقلها التجسس على كل ما يحدث داخل حدود المملكة .

وفي الواقع أن فجر هذه الثورة قد استغرق ستة أشهر ، من مارس إلى أغسطس ١٩٦٩ . ستة أشهر عاشتها اللجنة المركزية للضباط الوحدويين الأحرار في غمرة من الأوامر والأوامر المعاكسة ، وفي توازن بالغ الخطورة على حبال الانتظار .

وهذا ما يرويه العقيد القذافي نفسه عن تلك الأشهر الستة :

« كان موعد الثورة ١٢ مارس عام ١٩٦٩ ثم تأجل إلى ٢٤ من الشهر نفسه . وفي يناير بعثت بتعليمات كتبتها بخط يدي على ورقة حريرية بمعسكر قاريونس ليعرفوني بمدى قوة حركتهم قطاعاً قطاعا . وتجدر الإشارة عرضا هنا إلى أنه إذا استثنينا الضباط الأحرار وبعض المدنيين فانه لا أحد يعلم من الشعب الليبي ولا واحد من الأمة العربية بأن الثورة كنا سنفجرها يوم ١٢ مارس وانها تأجلت إلى ٢٤ منه ... فلم يجر تفجيرها بالفعل إلا بعد ذلك بستة شهور .

« وانه في اجتماع للجنة المركزية لحركة الضباط الوحدويين الأحرار بمعسكر آمرية طرابلس بمناسبة امتحانات ترقية الضباط قررنا بعد استعراض الموقف أن نفجر الثورة في الشهر القادم . ومن ثم أعددت المنشور الذي سبق أن تحدثت عنه وأرسلته إلى جلود والآخرين طالباً منهم أن يزودوني بصورة كاملة عن قوة حركتهم وامكانية سيطرتها على جميع فروع القوات المسلحة .

وإذ تلقينا النتائج التي كانت تتضمن عدد وأسماء الأفراد والعتاد والأسلحة المتوافرة ، فان ذلك سمح لنا بأن نستخلص أن ثمة امكانية فعلية للسيطرة على الموقف ولا ينقص إلا تحديد الموعد .

وعليه أخذت أول أجازة سنوية منذ التحاقي بالجيش وقدرها ٤٥ يوماً حيث عقدنا العديد من الاجتماعات الموسعة إذ ضمت الكثير من الضباط من خارج اللجنة المركزية ومختلف الرتب . وعقد أكثرها في منزل عبد السلام جلود بزاوية الدهماني في طرابلس ومنزل امحمد المقريف ببنغازي . كما أنني تأكدت بنفسي من قوة كل تشكيل في كل وحدة من وحدات الجيش واجتمعت مع ضباط كل كتيبة على انفراد وحددنا يوم ١٢ مارس موعداً للقيام بالعمل العظيم . ولكننا اكتشفنا أنه في هذه الليلة ستقام حفلة تحييها المطربة المصرية أم كلثوم وقد تستمر إلى ساعة متأخرة من الليل وهذا يعوق عملية الاعتقالات حيث يكون المطلوبون عند ساعة الصفر داخل الحفلة وبين آلاف الناس ولأسباب أخلاقية استبعدنا مداهمتهم في السهرة . وفي أعقاب الاجتماع الذي تقرر فيه موعد ١٢ مارس ، رجعت إلى بنغازي في سيارتي الفولكس فاجن وبرفقتي الملازم عبد الحميد شعماش والملازم عبد الحميد زايد ومررت على أهلي في بادية سرت واستأنفنا السفر في وقت متأخر ولكن السماء كانت حالكة إلى حد أننا تهنا في الصحراء . ولم نتمكن من مغادرة المنطقة إلا عند طلوع الفجر وبعد ذلك بقليل نشرت الإذاعة خبر استشهاد المرحوم عبد المنعم رياض فحزنـا لذلـك حزنـاً شديداً وأخذ شعماش يقود السيـارة وفجأة انفجر الإطار واختلت في توازنها وحاول عبد الحميد زايد أن ينقذ الموقف وكنت راكباً في الخلف وما هي إلا لحظات حتى كانت السيارة الصغيرة تتدحرج

خارج الطريق مثل الكرة ونحن بداخلها . وكانت لحظة حرجة إذ يوجد بداخلها ظرف كبير به عدد من المنشور السري السالف الذكر . وكان أول شيء خطر ببالي هو المنشور ولكن بقدرة قادر رحيم تحطمت السيارة دون أن نصاب نحن بأذى وكنا حريصين على جمع الأوراق قبل وصول النجدات .

ومن المفارقات المضحكة ، أذكر أننا اشترينا ماء سيارة مقطر وبالصدفة كانت الزجاجة من النوع الذي يعبأ فيه الخمر . واعتقد أول أناس أقبلوا لمشاهدة الحادث أننا سكارى وسمحوا لأنفسهم بتعليقات فظة إلى أبعد درجة .

وبعدها بأيام قليلة اتصل من طرابلس الملازم مفتاح على القذافي بامحمد المقريف في منزله ببنغازي طالباً منه حضوري إلى طرابلس إذ أن أحداثاً مريبة جدت على الموقف . فسافرت على عجل بالطائرة واستقبلني الملازم خيري نوري وأبلغني أن العقيد الشلحي أصدر أمراً لوحدات من المدرعات وسلحها بالذخيرة الحية ووضعها في معسكر باب العزيزية بعد أن سحبها من ترهونة والخمس ومنع الاتصال بضباط هذه الوحدات ، وأصدر أمراً آخر بسحب جميع الآليات من وحدات طرابلس وارسالها إلى بنغازي بدون ضباط . كما علمنا أن الرائد علي شعبان والمقدم سليمان الفقي وضباط الاستخبارات العسكرية يقومون بمراقبة المعسكرات طيلة الليل والنهار وأن العقيد الركن عون رحومه والعقيد الشلحي وأعوانهما يطوفون الشوارع بسيارات مدنية ... والعقيد الركن حسونه عاشور ينام في مخازن الذخيرة مع بعض أعوانه .

وعليه اجتمعنا بمنزل خيري نوري حيث اتصل بي بعض الضباط الوحدويين الأحرار خفية وقررنا أن تفجر الثورة يوم الأحد القادم أي ٢٤ مارس . وبتّ بمنزل خيري دون أن أقترب من المعسكرات في ذلك الليل حيث كنت مراقبا بكل تأكيد . وقد اعترف ضباط الاستخبارات الآن بأن أمراً بالقبض عليّ قد صدر يوم ١٥ مارس ولكنه لم ينفذ . وقد سافرت في اليوم التالي عائداً إلى بنغازي وكان الحويلدي ينتظرني . وبينما نحن نعد العدة إذا بالأنباء تصل الينا بأن الملك ادريس الذي كان ملكاً وقتئذ سيغادر طرابلس على عجل متوجها إلى مكان يدعيه « حصنه الحصين »

أي إلى طبرق حيث يكون في حماية قوات القاعدة البريطانية . وفعلا أحدث هروب الملك السابق بهذه الصورة المفاجئة ارباكا غير متوقع . لأن الخطة وضعت على أساس وجوده وولي العهد في طرابلس ، وقد انتقل إلى طبرق فالموقف الجديد يتطلب إعادة النظر في الخطة إعادة أساسية .

وقد مررنا بساعات عصيبة لأن كل شيء كان معدا على قدم وساق وفكرنا أن نهاجم الملك السابق في حصنه إلا أننا عدلنا عن هذه الفكرة خشية وقوع ضحايا في شرطة طبرق . وفي ٢٤ مارس تحرك ضباط حامية مصراته حسب الخطة . ولكن في نهاية الأمر تقرر تأجيل الثورة إلى أجل غير مسمى .

وعلى أية حال تأكدنا أن واشيا في صفوفنا نقل إلى بعض الجهات المسؤولة في قيادة الجيش أخبار ترتيباتنا . ومن حسن التوفيق أن الجهات المختصة ما كانت لتصدق أن ما وصل إلى أسماعها هو من المقدرة بحيث يشكل خطراً على النظام الملكي كله بل ذهبت إلى حد التشكك في أهلية مصدر الخبر نفسه ، ومع هذا هرب الملك السابق من طرابلس على عجل قاصداً قصره بطبرق في حماية القاعدة البريطانية . واذ قلت هذا فان الكثيرين من بيننا شعروا بأن ظروف التأجيل ليست في صالحنا بتاتاً وانها فرصة لأول مرة بعد سنوات في التنظيم المحكم لأعدائنا لضربنا بعد هذه السنوات من العمل والترتيب ...

بمناسبة ذكرى جلاء القوات البريطانية عن أراضينا أردت أن أكشف عن صفحة مطوية من جهاد الضباط الوحدويين الاحرار. لقد قررنا بعد انتهاء معركة ٦٧ على ما انتهت اليه أن نبدأ نحن هنا المعركة ضد قواعد الدول التي وقفت مع العدو وقررنا أن يشترك اشتراكا مباشرا في هذا العمل عدد قليل من اللجنة المركزية ومن الضباط الوحدويين الاحرار نظرا لخطورة الخطوة التي كنا نخشى أن تؤدي الى كشف العمل الكبير وربما القضاء عليه ، (وهي الحركة كلها من أجل الثورة والتي اصبحت في عام ٦٧ في مرحلة لا يستهان بها اذ بلغ عمرها أعواماً طويلة) . وعليه تكفل بهذا العمل جلود ، والخروبي ، والمقريف ، ويونس وانا . وانطلقنا نكتشف من يعمل معنا من المدنيين . وكان أول من تفاتحنا معه في العمل هو نوري نجم شقيق محمد نجم الذي رشح لنا بدوره بشير المغيربي

الذي تمكن بالفعل من شراء كميات من المفرقعات وأكد لنا أن مجموعة من الشباب مستعدة للعمل اذا كان الجيش معنا في هذا الميدان .

وقلنا لهم اننا مستعدون لرسم الخطة الكاملة وقيادة العمليات وكذلك استخدام ما نستطيع الحصول عليه من اسلحة وكان جلود والمقريف في سلاح المهندسين وكانت مهمتهما اعداد المفرقعات وعمليات النسف والتخريب . وفي داخل معسكر قاريونس نفسه انهمكنا في رسم خرائط المعسكرات واستطلاعها وضبط حركتها ومواعيدها الخ . .

وبينما نحن نعد العدة ونتطلع لليوم الذي تطلق فيه الشرارة الاولى نحو عمل تحرري جاءت الاوامر بنقلي فورا الى معسكر الفرناج بطرابلس ، ونقلت على عجل ووضعت في منزل فخم به حدائق وأعناب دون أن يسند الى عمل حقيقي وكنت اتأخر عن الجمع الصباحي ، فلم اسأل عن ذلك ، وعلى اي حال فقد عاملني آمر السرية معاملة حسنة . وفي النهاية اوكلوا الى مهمة الاشراف على انشاء بعض محطات المخابرة ومراقبة سير العمل وعندها أدركت أن المسألة كلها عبارة عن « مسخرة » وكنت قد اتفقت قبل نقلي أن أعمل أنا في طرابلس ويعمل بقية الجماعة في بنغازي . .

وفي ١٣ اغسطس عام ١٩٦٩ قررت قيادة الجيش عقد مؤتمر عسكري كبير تحضره كل القيادات الكبيرة وايضا معظم ضباط وحدات الجيش الليبي في منطقة بنغازي حتى لا يبقى في المعسكرات الا ضباط الخفر تقريبا .

وكان الغرض من هذا الاجتماع هوأن يشرح عبد العزيز الشلحي مدير التدريب سابقا بالكلية الحربية لهؤلاء الضباط أهمية الدفاع الجوي ومزايا ذلك المشروع الذي صمم او بالاحرى صممه الانجليز له في هذا المجال . (١) .

وتقرر أن يكون الاجتماع في مسرح الكلية العسكرية ببنغازي وأن يستمر من الصبح حتى مغيب الشمس . ومعلوم أننا في تلك الايام كنا مستعدين للقيام

١) عقد بمبلغ ٣٦ مليون جنيه استرليني وقع بين الحكومة الليبية وشركة بريتش ايركرافت من اجل اقامة شبكة دفاع جوي في ليبيا . وفي اكتوبر عام ١٩٧٠ طلبت الحكومة الثورية اما الغاءه او اعادة التعاقد بشأنه .

بالثورة في اي وقت . ولكننا قررنا في آخر لحظة أن نقوم بمغامرة قد تكون هي الضربة القاضية للحكم الملكي وهي أن نهاجم مكان المؤتمر في وضح النهار ونعتقل كل قادة الجيش هنا وأن نخرج بقية الضباط من المسرح ونكلفهم بواجباتهم ... على أن تتملص مجموعة منا في كل معسكر من الحضور لتسيطر على المعسكرات وتعد مختلف الواجبات وفعلا اتفقنا على هذا الاجراء وصدرت الاوامر بذلك ولكنها لم تصل كل الوحدات لضيق الوقت ولعدم عقد اي اجتماعات للجنة المركزية لحركة الضباط الوحدويين الاحرار قبل هذا القرار. وكنت قد قررت أن أبقى أنا في معسكر قاريونس مع الخروبي والمقريف وكلفنا محمد نجم بالبقاء في الكلية الحربية التي كان معينا بها . وكان يتعين عليه بمساعدة زملاء آخرين أن يسيطر على الكلية من الداخل بينما أتولى أنا مهمة معسكر قاريونس . ونهاجم المؤتمر في الضحى ونخرج ضباطنا للسيطرة على وحداتهم التي تكون خالية الى حد كبير من الرتب الكبيرة في تلك الساعات واذا سيطرنا على الموقف في الكلية نبعث باشارة للوحدات التي في منطقة طرابلس ليكون الضباط الوحدويون الاحرار على علم ثم يهيئون انفسهم للسيطرة أيضا على وحداتهم في الوقت المناسب اعتبارا من نجاح العملية في الكلية حتى نهاية الدوام وانصراف الضباط الآخرين من العمل على أن يبقى كل شئ تحت يدنا حتى المساء لنعلن الثورة أما اذا لم نتمكن من كتمان كل هذا فلا بأس حينئذ من التصرف وفقا للمواقف .

وبينما كان كل شئ قد اعد في هذا الاتجاه ، وبينما كنا نتحدث وقوفا عند باب المربوعة التي كنا مجتمعين فيها ضرب جرس الهاتف فاذا بالمتحدث عبد المنعم من طرابلس يبلغنا ما معناه انهم من وقت استلام الامر حتى الآن لم يتمكنوا في هذا الوقت القصير من تبين صورة الوضع الذي هم فيه من حيث السيطرة وعدمها على وحدات طرابلس خاصة في وضح النهار وعليه فان الجميع يؤكدون هنا أن العملية ستكون محاولة انتحار ليس في طرابلس فحسب بل وايضا في بنغازي .

وحرصا على هذا العمل العظيم قررنا أن ننتظر فرصة أنسب وتأجل تفجير الثورة مرة اخرى .

٢

الاستيلاء على السلطة

ليلة الفاتح من سبتمبر ١٩٧٠ ، وبمناسبة الذكرى الأولى لقيام الثورة ، اشترك القذافي وخمسة من أعضاء اللجنة المركزية لقيادة الثورة — وهذه تسمية جديدة للجنة المركزية للضباط الوحدويين الأحرار — في ندوة تلفزيونية قصوا خلالها بأسلوب ضاحك أكثر الأحيان ، أحداث ليلة الاستيلاء على السلطة .

المشتركون الستة كانوا : القذافي ، أبو بكر يونس ، الخويلدي الحميدي ، عبد المنعم الهوني ، محمد المقريف وعمر المحيشي[1] بدأوا بتذكّر لقائهم الأول ثم تحدثوا عن جهودهم المشتركة لخلق حركة الضباط الوحدويين الأحرار . وأخيراً وصلوا إلى المصاعب والمفاجآت والصدف التي واجهت كلاً منهم فجر الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ، اثناء قيامهم بالمهمات الملقاة على عواتقهم .

وفي اعتقادي أن ذلك اللقاء كان فريداً من نوعه . ولذلك أورد منه مقاطع كبيرة . لقد ساده جو من الصداقة والصراحة التامة حتى تصورت أن القارئ لا بد وأن تصيبه نفس الدهشة التي كانت تظهر جلية في أسئلة المذيع .

كان الثوار يتحدثون بمرح ولا يحاولون في أي لحظة أن يكسبوا الأحداث مظهراً صارماً أو بطولياً ، على الرغم من أنها اكتسبت المظهرين معاً لكونها غيرت

---

١) لكي يتم فهم النص بصورة افضل ، يجب ان نوضح بان القذافي ومحمد المقريف كانا يعملان في بنغازي في حين كان عمر المحيشي وعبد المنعم الهوني وابو بكر يونس والخويلدي الحميدي يعملون في طرابلس .

مجرى مصير بلادهم . وهي لو فشلت لكانت ساقتهم مباشرة إلى الإعدام . وراحوا يقاطعون بعضهم البعض ويسخرون من الذي يأخذ زمام الحديث .

لكن علينا ألا ننسى ما مروا به من آمال وخيبات ومخاطر وألا ننكر ما بذلوه من تضحيات وما تحلى به كل واحد منهم من الشجاعة والجد في العمل ومن الذكاء والحيلة . ولولا ذلك لما تمكن هؤلاء الشبان من خداع جيش منضبط على قلة عدده ، وشرطة مبنية على أسس القمع . وعلينا ألا ننسى أيضاً وجود القواعد الأجنبية التي سبق أن ذكرناها على الأرض الليبية .

وسأورد هنا فكرة عن الوضع العسكري في ليبيا عشية فجر الثورة . عدد الجيش الليبي كان حوالي ستة آلاف جندي يخضعون لقيادة حوالي خمسين ضابطاً ومدرباً بريطانيا . وكانت لليبيا أيضاً قوة بحرية صغيرة ، تدرب أفرادها في بريطانيا وقوة جوية غير هامة ، متمركزة داخل القاعدة الأميركية « ويلس » .

ويبلغ عدد قوى الشرطة والأمن ١٢ ألف رجل بقيادة ثلاث لواءات . وكانت بعض وحداتها مجهزة بالأسلحة الثقيلة .

وقبل ثلاثة أشهر كان قد عهد إلى العقيد عبد العزيز الشلحي باعادة تنظيم الجيش . وفي عام ١٩٦٧ تقررت الخدمة العسكرية الإجبارية . وخصصت ميزانية ضخمة لشراء أسلحة بريطانية الصنع . وكانت بريطانيا قد حصلت في عام ١٩٦٨ ، على اتفاقية تقضي بتسليم ليبيا نظام دفاع جوي كامل وصواريخ « ثندربولت » و « رابيه » وعدداً من دبابات « شيفتين » الحديثة وذلك بمبلغ مئتي مليون جنيه استرليني .

وأخيراً ، إليكم الحوار الهام في رأيي – لأنه يعكس طبيعة العلاقات السائدة بين حكام ليبيا – والذي شاهده الملايين عبر الاذاعة المرئية في طرابلس ليلة الفاتح من سبتمبر ١٩٧٠ :

القذافي : أعترف بأنه من العسير جداً علي أن أصف بدقة مشاعري في تلك الليلة . فمنذ عام وفي نفس الساعة كان كل شيء لا يزال مطوياً في الظل وفي

السر . وكان البركان يبدو خامداً ، إلا أنه كان سينفجر بعد قليل .. أنه عام واحد يفصلنا اليوم عن أول سبتمبر هذا ، ولكن كم حدث من تغيير ، ففي ذلك المساء كانت الجماهير في شوارع ليبيا تعبر عن فرحتها ، ومنذ عام لم يكن أحد يمكنه على الاطلاق أن يفكر في امكانية حدوث ثورة ، هذه الثورة التي اضطررنا إلى فرضها بقوة السلاح ...

المذيع : أخ معمر[1] هل يمكنكم أن تعطونا لمحة عامة عن مرحلة الإعداد للثورة وهي المرحلة التي امتدت – حسب ما نعرفه – عدة سنوات ؟

القذافي : ان بداية التنظيم – أو على وجه الدقة فكرة الثورة نفسها – تجسدت بشكل جاد في عامي ١٩٥٩ – ١٩٦٠ عندما كنا طلبة في المدرسة الثانوية وقد قررنا الالتحاق بالكلية الحربية بعد الانتهاء من دراستنا وهذه الفكرة في رؤوسنا . وبالطبع عندما كنا لا نزال طلبة وكنا نجتمع سراً في فزان أو في مناسبات أخرى في أماكن بعيدة جداً في مصراته أو في طرابلس أو في بنغازي .. كان ذلك يبدو لنا حلمـاً ...

وأياً كان ذلك فلا ريب أن تلك الأفكار التي كانت تلهبنا في تلك الفترة هي على وجه الدقة التي أثمرت بعد عدة سنوات ...

عبد المنعم الهوني : أتذكر أن أول لقاء لي مع القذافي حدث في نفس يوم دخولي إلى الكلية الحربية في أغسطس عام ١٩٦٣ . اذ لم أكن أعرفه إلا بعد بدء الدراسة .. وكان معي في ذلك الوقت الخويلدي ...

عمر المحيشي : أما أنا ، فحينما كان القذافي قد ترك مدرسة سبها ليقيم في مصراته (وتدخل القذافي هنا لايضاح أنه طرد من فزان) فقد كان من حظي أن يجيء إلى حيث كنت موجوداً بالفعل . واذ قلت هذا ، أضيف أنه بمحض الصدفة تعرفت عليه في المدرسة . كان القذافي قد استرعى الانتباه اليه بصراحته

---

١) هكذا ينادون العقيد القذافي في ليبيا .

في الحديث وشجاره مع مفتش اللغة الانجليزية المستر جونسون . فذات يوم وبينما كان جونسون السالف الذكر يسأل تلميذاً في الوقت الذي كان فيه القذافي يهمس للتلميذ بالاجابة غضب المفتش وأمره بأن يسكت . فما كان من معمر إلا أن وقف وأشار اليه بجفاء أن مكانه ليس بيننا وأنه ليس أكثر من ركيزة للاستعمار . وعندما سمعتهم يروون هذا ، تأثرت إلى حد كبير من شجاعته بدرجة أنني رغبت في التقرب منه والتعرف اليه . ولا أستطيع وصف سعادتي عندما وجدت القذافي نفسه يأتي للقائي . ومنذ ذلك الوقت لم نفترق أبداً .

وذات يوم في عام ١٩٦٣ انفرد بي القذافي على جانب وطلب مني أن أجيء للقائه في الليل . واتجهنا إلى خارج المدينة ، وتناقشنا طويلاً حول الوضع في ليبيا وأفضل وسيلة لانقاذ بلادنا . ومنذ ذلك اليوم أخذ معمر يعطيني وثائق لأقرأها ومنشورات وكان يطلب مني مرات اعادة نقلها مستخدما صيغة مختلفة . وكان ذلك بالنسبة لي يشكل تمريناً ثقافياً وسياسياً في آن واحد .

وبعد التحاق القذافي بالكليـة الحربية ، انتهز عطلة نصف السنة ليعـاود الاتصال بي ويطالبني بالانخراط بدوري في السلك العسكري . وقد أدهشني هذا الاقتراح كثيراً وأجبته بأنه حتى لو اقتنعت برأيه فانني أشك كثيراً بسبب صحتي في النجاح في الالتحاق بالكلية الحربية ولكنه أصر ، مكرراً أن هذا واجبي ، وشعرت أنه يستحيل علي الرفض . وبعد ذلك ، وصلتني منه رسالة – أو بالأحرى أمر – قضى على أي تردد من جانبي: تقدم بأوراقك فوراً إلى الكلية الحربية وهكذا وجدت نفسي مرغماً على التقيد بالتنفيذ والاذعان لا أكثر .

وهنا تدخل القذافي مرة أخرى ليذكر بالتشكك العميق الذي كان يداخل « عمر » حيال الأحزاب عموماً وبصفة خاصة حزب البعث ، وكان عمر قد أعرب له صراحة عن مخاوفه من أن ترتبط المنظمة بطريقة أو بأخرى بحزب البعث . واستطرد القذافي قائلاً : « وأضطررت إلى طمأنته مؤكداً له اننا استبعدنا أي اتصال مع أي تشكيل سياسي وفي مقدمتها حزب البعث » .

عمر المحيشي : هذا صحيح . فمنذ البدايـة قررنا ألا نعتمد إلا عـلى

عبد الناصر ، وكان خطنا هو مساندة القومية العربية عبر عبد الناصر وعبر العمل الذي كان يبذله الرئيس من أجل العروبة . وفي هذا الوقت ، على وجه التحديد ، كان عبد الناصر في صراع سافر مع البعث بسبب انفصال سوريا . ومن هنا كانت مخـــاوفي ...

القذافي : في ذلك الوقت لم يكن لحركة القومية العربية من مصدر إلهام سوى عبد الناصر ، وكان من المقيت جداً رؤية البعث – أو أي حزب آخر – يحاول أن يتصدى للناصرية . فالجميع كانوا يدركون كل الإدراك أن الحركة الثورية الوحيدة في العالم العربي هي الحركة الناصرية .

عمر المحيشي : أما قراءاتنا فكانت تتعلق دون استثناء بالثورة الناصرية . وكان القذافي هو الذي يختارها وهو الذي يحصل عليها بوسائله الخاصة . أما حركتنا فلم تكن في الأساس إلا منظمة مدنية لا صلة لها على الاطلاق بالجيش . فالواقع أن القذافي نفسه كان يخشى في ألا ننجح في الالتحاق بالكلية الحربية وهكذا كنا نفكر في استخدام منظمة مدنية من أجل التوصل إلى نقل سلطة التحكم في الحياة السياسية للبلاد إلى أيدينا . ومع ذلك ، يجب الاعتراف بأنه بعد قبولنا في الكلية الحربية فقط شعرنا أخيراً بأنه أصبحت في متناولنا أفضل وسيلة لتحقيق الثورة .

القذافي : وفي هذا الصدد ، أحرص على إيضاح أن جلود وعمر وأنا كنا مدنيين منذ البداية على غرار محمد بلقاسم[1] وما أن حصلنا على الثانوية العامة انخرط البعض في السلك العسكري والتحق البعض الآخر بالجامعة ، ولكننا واصلنا جميعا عملنا السياسي دون أن نفكر في أية لحظة في انشاء حزب . ولقد ظللت دائماً على اتصال بأولئك الذين التحقوا بالجامعة وأولئك الذين عملوا في الحياة المدنية لتأمين التنسيق والسهر على ألا يحدث أي تداخل بين فرعي التنظيم . وبعد دخولنا

---

١) احد زعماء الثورة الجزائرية .

الكلية الحربية خفف العمل المدني قليلاً : فلقد تزايد اعتمادنا على العمل العسكري لا سيما – وحتى لا نتكتم على شيء – أن التنظيم المدني لم يراع الخطة التي حددناها له منذ البداية . وعلى أية حال لم يكن المدنيون يعرفون شيئاً عن التنظيم العسكري ولا يعرفون أي عضو من أعضائه .

أبو بكر يونس : وبخصوصي ، فلقد قضيت دراستي الثانوية في مدينة طرابلس . وكنت أنا بالطبع قومياً ومن أنصار الوحدة العربية . أؤمن بأفكار عبد الناصر ومقتنع بأن الناصرية وحدها هي التي تستطيع أن تحقق الوحدة . ولقد تم لقائي بالقذافي في عام ١٩٦٣ بالكلية الحربية حيث كنا ننام في عنبر واحد مع ثمانية طلبة آخرين . ولم نكن نتحدث بالطبع إلا عن الأحزاب والسياسة ، وكنا جميعاً متفقين في الرأي . هذا إلى أن جاء اليوم الذي تم فيه – خلال لقاء في طلميثة – اجتماع اللجنة المركزية للضباط الوحدويين الأحرار لأول مرة .

وتدخل القذافي لايضاح أن اللجنة المركزية كانت قائمة منذ دخوله الكلية الحربية في عام ١٩٦٣ وهي الفترة التي بدأ فيها ينظم الحركة ، ولكنه لم يحدث بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٤ أية لقاءات جماعية . وفي عام ١٩٦٤ وحده بدأت اللجنة المركزية تعقد اجتماعات بكامل هيئتها ، وفي هذه المناسبة أعيد تنظيم العلاقات بين المدنيين والعسكريين . وقال : « بعد أن أنهينا التدريب المعتاد اضطررنا إلى اجراء مناورات على الطبيعة في طلميثة على وجه التحديد . ولقد انتهزنا الفرصة لنجتمع جميعا » .

أبو بكر يونس : وهكذا اجتمعت اللجنة المركزية أكثر من مرة بكامل هيئتها وبعد تخرجنا والتحاقنا بوحدات مختلفة بدأ كل واحد منا يعمل فردياً على تشكيل خلايا . ولكن في الحقيقة كان القذافي يضطلع وحده بـ ٨٥٪ من أعباء تنظيم كل خلية .

الخويلدي الحميدي : نعم كان نصيب الأسد للقذافي ، لا شك في ذلك .

المذيع : أكان لديكم معايير محددة لاختيار العناصر التي سيجري تجنيدها ؟

القذافي : كلا . لقد كان هذا يقوم على اعتبارات انسانية وردود الأفعال

الشخصية التي كنا نشعرها لدى هذا الشخص أو ذاك والتي كانت تختلف باختلاف الحالة . وما من شك في أن عملية القرب كانت تنطوي أحياناً على صعوبات لا يستهان بها ، وكانت تتطلب على أية حال الكثير من المهارة .

المذيع : هل حدث وأن اتصلتم بأحد ثم اكتشفتم بعد ذلك أنه اختيار سيئ ؟

القذافي : نعم ، لقد حدث ذلك ، ولكن نادراً . لقد كان الله دائماً معنا . لأنه عندما كنا لا نزال مدنيين لم تكن المسألة لتؤدي إلى عواقب لا تحمد عقباها بدرجة كبيرة ولكن ما أن أصبحنا عسكريين وارتدينا الزي العسكري أصبحت الاتصالات من هذا النوع خطيرة .

الخويلدي الحميدي : ومع ذلك عندما كنا نختار الأفراد كنا نراعي بعض المعايير . فلا يجب أن يكونوا ممن يشربون الخمر أو معربدين منحلين وما من شك في أن التعاطف الشخصي كان يلعب دوره كذلك . ثم نبدأ في توجيه الأسئلة ، ونعير « المرشح » بعض الكتب لمحاولة تبين ما إذا كان يحب عبد الناصر أو لا ، وما إذا كان يشعر بنفسه ناصرياً أم لا . وفيما يتعلق بعلاقاتي الشخصية بالقذافي استمرت فترة « جس النبض » هذه حتى نهاية السنة الأولى .

المذيع : أنتم تتحدثون عن عبد الناصر . فهل حدثت اتصالات مباشرة بينكم وبين عبد الناصر ؟ وإذا كان قد حدث فمتى ؟

القذافي : إننا لم نر عبد الناصر إلا بعد الثورة . وبعبارة أخرى حتى أول سبتمبر في العام الماضي لم يكن أحد على الإطلاق – فيما عدا الضباط الوحدويين الأحرار بالطبع – لديه أقل فكرة عن أن انتفاضة تعد نفسها في ليبيا . ولم أذهب أنا إلى مصر إلا بعد الثورة . أما محمد المقريف فقد ذهب اليها مرة واحدة في احدى الاجازات .

أمحمد المقريف : أنا تعرفت على أبو بكر في المدرسة الابتدائية ثم التقينا من جديد في مدرسة بنغازي الثانوية حيث توثقت علاقاتنا وصداقتنا . وعندما دخلت الكلية الحربية في الدفعة الثامنة كان أبو بكر يونس من بين طلبة الدفعة السابعة بالفعل

وهي دفعة القذافي .. وكان أبو بكر هو الذي تبناني . ولقد استقبلت استقبالاً طيباً لأن صديقي كان قد روى الكثير من حكايات سنوات دراستنا معاً . وفيما يتعلق بالتجنيد نفسه فلقد تم الاتصال بي عن طريق جلود .

وتدخل القذافي لايضاح أنهم كانوا يوزعون المهام وأن تجنيد المقريف كان من نصيب جلود .

امحمد المقريف : بالنسبة للتجنيد كنا نتبع الطريقة التالية ، ما أن تقبل دفعة في الكلية حتي نحصل على قائمة بالوافدين الجدد ويبدأ كل واحد منا في التحقق مما إذا كان يعرف أحداً من بينهم . وفي حالة الايجاب ، يكلف هو بإجراء الاتصال معه وفقاً لترتيبات دقيقة جداً وضعتها اللجنة المركزية . وكانت هذه القواعد واحدة بالنسبة للجميع فيما عدا القذافي الذي كان حراً في الاتصال بمن يريد لأن ثقتنا فيه كانت ثقة كاملة .

المذيع : أعتقد أننا وضحنا بقدر كاف مرحلة الإعداد . فلننتقل الآن إلى التنفيذ . ماذا جرى في ليلة الفاتح من سبتمبر ؟

القذافي : أنتظر أود أن أوضح أنه ليس وليد الصدفة أن دخل عدد كبير من بيننا إلى الكلية الحربية ولكن ذلك تم وفقاً لخطة موضوعة مسبقا . فلقد كنا نعرفهم قبل التحاقهم ولقد انخرطوا في السلك العسكري من أجل هدف محدد تماماً . وفضلاً عن ذلك لا يزال عدد من الضباط الوحدويين الأحرار في الجيش . وفيما يتعلق بالعمل السري وتنظيمه فلقد بدأ كل شيء بدفعتنا التي كانت الدفعة السابعة ولذلك لم تكن اللجنة المركزية تضم سوى أعضاء من هذه الدفعة . وعلى التوالي شكلنا لجاناً أخرى لكل دفعة : الثامنة ، التاسعة ، العاشرة ، ا لحادية عشرة ، الثانية عشرة ... وقد حدثت الثورة مع التحاق الدفعة الثانية عشرة .

عمر المحيشي : ان الضباط الأحرار التابعين لمختلف اللجان كانوا مكلفين باجراء اتصالات مع ضباط آخرين ... وبعبارة أخرى بنفس الطريقة التي قامت بها اللجنة المركزية – المشكلة من أعضاء من الدفعة السابعة – بتشكيل لجنة الدفعة

الثامنة ... وقامت الدفعة الثامنة بتشكيل لجنة الدفعة التاسعة وهلم جرا .

المذيع : حسناً فلننتقل إلى ليلة الفاتح من سبتمبر .

القذافي : دعني أضيف أنه إذا كنت حتى ساعة الصفر قد لعبت دور التوجيه والقيادة في الحركة ، وإذا كنت قد لعبت بعد ذلك دوراً مماثلاً ، فإنه من ساعة الصفر حتى نجاح الثورة كنت موضوعاً على نفس مستوى أي ضابط حر عضو في الحركة وكنت في قاريونس في بنغازي . وكانت ساعة الصفر في جميع أرجاء ليبيا قد حددت في الساعة الثانية والنصف فيما عدا بالنسبة للوحدات البعيدة عن أغراضها فقد صرح لها بأن تقدم ساعة الصفر ساعة أو ساعة ونصف أي في الواحدة أو الواحدة والنصف صباحاً . وكان مفهوماً أن تكون كل الأهداف قد حوصرت وأستولي عليها في الساعة الرابعة والنصف صباحا .

وفي قاريونس كان معي المقريف والخروبي والملازمان أحمد عون وأحمد أبو ليفه وكذلك محمد الصادق وعبد الفتاح يونس . وكان عبد الفتاح والمقريف وأنا مكلفين باحتلال مبنى إذاعة بنغازي وتوجيه العمليات منها . وكان عليّ أن أذيع البيانات واتخاذ – إذا ما دعت الضرورة – كل قرار بشأن أي خفايا قد تحدث بعد إعلان الثورة مثل تدخل أجنبي أو مقاومة خطيرة داخل البلاد .

المذيع : أخ معمر ، لقد وضعتم بالتأكيد تقديرات لمختلف جوانب عملية الاستيلاء على السلطة . فهل ثمة تغييرات بدت ضرورية ؟ وهل تم احتمال بعض العوامل ؟

القذافي : اجمالاً حدثت العملية كما كانت مقررة ، ومع ذلك فقد حدثت بعض الظروف التي اضطرتنا لتعديل خططنا . وسوف أقص عليك ما حدث لي ، وكل واحد منكم يروي قصته هو .

فلقد كانت هناك في البداية حالة ضابط مكلف بالاعتقالات ولم يكن معي في قاريونس رغم أن مركزه كان في بنغازي . فلم تعهد اليه مهمته إلا في آخر دقيقة لاننا لم نكن واثقين تماماً منه (وهذا المسكين موجود في السجن) . لأنه قد تبين

أنه جاسوس . ومن ثم فان هذا الضابط أخطر في آخر دقيقة وذلك لأن ثقتنا فيه لم تكن تزيد على خمسين في المائة .

المذيع : استميحك عذراً فان هذه الملاحظة تدفعني إلى أن أطرح عليك سؤالاً : هل صدرت التعليمات لجميع الوحدات في الدقيقة الأخيرة ؟

القذافي : أن العملية نفسها تقررت في الدقيقة الأخيرة ، وكان عدد من الضباط الأحرار على وشك السفر إلى انجلترا في بعثة وهذا ما عجل الأمور . ولذلك فان التعليمات قد أرسلت بالفعل متأخرة .

ومن ناحية أخرى ، كنا نعرف أنه أبان المحاولة الأولى التي حددت في مارس والتي أرجئت عدة مرات تسربت أخبار لم نتمكن أو لم نعرف مصدرها . ولذلك تقرر منذ ذلك الوقت أن تتقرر ساعة الصفر سراً من جانب القيادة ولا تبلغ للجميع إلا في الدقيقة الأخيرة . وفي نهاية الأمر حصلت مختلف الوحدات على أوامرها ونفذتها في خلال ساعة .

ولنعد إلى هذا الضابط الذي كان يتعين أن يتولى عمليات الاعتقالات والذي كنا نعتمد عليه رغم كل شيء (فقد كان يرأس الشرطة الحربية في بنغازي ووفقاً لمخططات كانت الشرطة الحربية هي التي ينبغي أن تتولى عمليات الاعتقالات) . ولكن هذا الضابط لم يفعل شيئاً . لقد كان قذراً . وهذا ما ينتظر من شخص غير متزن ولكننا استطعنا علاج الأمر فوراً بفضل الدور الأساسي الذي اضطلع به مصطفى الخروبي . ولم أبلغ بهذه الثغرة في وقتها ولكن علمتها في اليوم التالي ولكن الخروبي ما أن أدرك أن الضابط المذكور قد تأخر في تنفيذ مهمته حتى تولاها بنفسه بسرعة بديهة رائعة . وكانت النتيجة أننا قمنا بعدد من الاعتقالات أقل مما كان مقرراً فالناس كانوا يأتون ويسلمون بخاطرهم . أما جزء الخطة التي كنت مكلفا به فلم أغير فيه إلا تفصيلاً واحدا . فلقد اتبعت مساراً مختلفاً لأن الضابط الجبان الذي سبق لي الحديث عنه كان قد نقل لنا قبل عشر دقائق من العملية معلومات خاطئة فحواها أنهم علموا بمبادرتنا وضاعفوا من عدد القوات في الثكنات ولغموا الطرق المؤدية اليها . وعلى أساس هذه المعلومات طلبت من محمد وعبد الفتاح أن

يتوجها لاحتلال ثكنات البركة . وحتى لا أتكتم شيئاً فانني كنت على وشك التصديق بأن العملية كلها قد كشفت . ولكن كان الوقت قد تجاوز مرحلة التراجع على أي حال ولذلك قلت لنفسي أنه يجب مواجهة الموقف مهما كان الثمن . وقمت أنا وجنديين بملء سيارتي الجيب بالذخائر والمدافع الرشاشة الخفيفة لأنني كنت مقتنعاً بأننا سنواجه مقاومة على الطريق أو في الموقع وأن الأمور ستتأزم . وتولى الحروبي رئاسة المجموعة المقرر أن تحتل معسكر البركة وأنطلق بها . أما أنا فقد صعدت إلى السيارة الجيب وأصبحت في مقدمة طابوري ، ودرت إلى اليسار عند مفترق أحد الطرق . وفي تلك اللحظة واصلت السيارات التي كانت تتبعني – والمفروض أن تأتي معي لاحتلال الإذاعة – طريقها أي واصلت اتجاهها إلى معسكر البركة . وكنت قد توقفت أنتظر بقية الطابور ، عندما شاهدت السيارات تتدفق نحو الطريق الرئيسي ، وفجأة أدركت أن معسكر قار يونس بأكمله يتحرك على محور واحد وأن السائقين في غمرة حماسهم أخذوا يتبعون بعضهم البعض دون أن يسألوا كثيراً عن المكان الذي ينبغي أن يتجهوا اليه . وبالطبع ، اضطررت إلى السير خلفاً والعودة إلى الانضمام إلى الطابور . واضطررت لاعادة تنظيمه سيارة سيارة واذ أتممت ذلك كنا قد وصلنا إلى البركة (وفي هذه النقطة توجه عدد من السيارات يساراً ولم يصبح أمامنا إلا التوجه إلى الإذاعة انطلاقاً من البركة) . والواقع أن الحروبي بعد أن احتل ثكنات البركة قرر التوجه إلى مدرسة الشرطة (حيث كانت مقاومة غير منتظرة يجري الترتيب لها) . وكان عليه أن يحمل منها بعض الضباط الأحرار من قواتها . وعلى أية حال عندما اتجهت إلى اليسار في طريقي إلى الإذاعة وجدت نفسي مرة أخرى بمفردي في سيارتي الجيب أتحرك على طريق بنغازي ... لا طابور ولا أضواء ... لا شيء .

عبد المنعم الهوني : وكانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحاً بالفعل .

القذافي : وعلى هذا قلت لنفسي لنذهب إلى الإذاعة حسب ما هو مقرر لنشهد ما جرى بالفعل . وقد دهشت تماماً عندما شاهدت عدداً كبيراً من السيارات الممتلئة بالجنود تتدفق من ناحية الميناء ، وكانت هذه السيارات قد دخلت إلى بنغازي بعد

أن دارت حولها وجاءت لتصل إلى الإذاعة من هذه الناحية .

المذيع : منذ متى كنتم قد أعددت البيان رقم (١) الذي أذيع ؟

القذافي : حتى لا أخفي شيئاً فلقد أعددته في اللحظة نفسها ، ففي العشية في قار يونس كنا قد قررنا إعداد مجموعة من البيانات والتصريحات لقراءتها في الإذاعة ، ولكن لم يتوفر لنا الوقت إذ كنا مشغولين جداً بعملية ابلاغ التعليمات للجميع . فقد كان يتعين توزيع هذه التعليمات الموضوعة في ظروف مختومة بالشمع الأحمر على جميع الثكنات . ولقد ذهبت شخصياً مع المقريف إلى معسكر الأبيار حيث قابلنا الضباط ، كما اتصلنا بضباط كتيبة المرج الذين أبلغوا بالمخطط العام للعملية في جميع الأراضي الليبية وكذلك بالمهام الأكثر تحديداً التي تقع على عاتق كل واحد منهم . ومجمل القول لم يواتيني الوقت الفعلي للتفكير في شيء آخر . وعليه أخذت رزمة ورق أبيض وفي نيتي صياغة البيان بعد احتلال الإذاعة . ثم بعد أن وصل المذيعون ، تعين علي أن أهتم بالتحقق من هويتهم ، ولكي نجعل الوقت يمضي أذعنا أسطوانات موسيقى عسكرية ومارشات ... الخ .. وعندئذ عكفت على صياغة البيان . وفي لحظة قراءة البيان تذكرت أن ثمة أجانب يقيمون في ليبيا وأنه من المناسب طمأنتهم على أمنهم وأن القوات المسلحة مسئولة عن حمايتهم . وهكذا ارتجلت « على الهواء » الفقرات التي تخصهم والتي سجلت بالطبع .

عمر المحيشي : في رأيي أنه تجاوز للحقيقة القول أنه لم تحدث تغييرات على الخطط الموضوعة أو أنه لم يحدث سوي ذلك...ففي ٣١ أغسطس كنت في بنغازي وجاء (مصطفى الخروبي) لمقابلتي في معسكر البركة وكنت قبلها بلحظات قد قابلت امحمد المقريف في بيته وكان قد أبلغني برحيل القذافي إلى طرابلس واننا سنشن الثورة غداً . وكنا قد اجتمعنا قبل ذلك بوقت قليل في طرابلس على وجه التحديد وكنا نعتزم الاجتماع مرة أخرى في ٢٧ أغسطس في سرت ولكن هذا الاجتماع الأخير أرجئ لأسباب غير متوقعة .

الحويلدي الحميدي : نعم كانت الأحوال الجوية سيئة جداً ...

عمر المحيشي : لنقل بالأحرى أن واحداً أدين بالاهمال . ذلك ليس بالمهم

وبعد ذلك عدت أنا وعبد السلام على أعقابنا . وقرر الآخرون أن يبقوا في ترهونة وكان سبب قرارهم بصفة خاصة هو شعور غريب بالريبة حيال أبو بكر . والسبب في ذلك هو أنه كان مقرراً أن يلتقي كل ضباط المدرعات في المعسكر في تلك الأيام لحضور حصص في اللغة الانجليزية نظراً لأن السفر إلى انجلترا كان قد تحدد أن يتم في ٣ سبتمبر . ولا نفهم كيف استطاع أبو بكر دعوة بعض منا لقضاء السهرة لديه في حين كان ينبغي أن يكون من حيث المبدأ مشغولاً بدروسه الانجليزية.

الخويلدي الحميدي : هذا ما حدث ، لقد دعانا أبو بكر لتناول العشاء لديه وقبلنا الدعوة .. بالتأكيد .. وبعد العشاء حبسناه في إحدى الغرف حتى نتأكد من حقيقة الأمر .

عبد المنعم الهوني : يا له من مسكين ؛ لقد اشتم شيئاً ما بالتأكيد ولكنه لم يكن واثقاً من شيء . ولكي نخدعه لم نكف عن الضحك ورواية الحكايات وكررنا مراراً أنه يجب أن نزور الضباط المقرر سفرهم إلى انجلترا حتى نبرر ذهابنا وإيابنا . وباختصار حتى نعود إلى موضوعنا .. كانت مهمتي أنا وعبد السلام جلود هي تولي مهمة الدفاع الجوي الذي كان يتكون من ستمائة جندي .. ولهؤلاء الجنود الستمائة لم يكن متوفر لنا سوى ألف وخمسين طلقة ! وبالصدفة في ذلك الوقت كانت كتيبة « الربحة » تقوم بمناورات ليلية ، ومن ثم استطعنا أن نخطر عدداً كبيراً من صف الضباط من أعضاء الحركة الموثوق بهم بقرب العملية وأبلغناهم بأنه قد تحددت الساعة الثانية والنصف لبدء العملية . وبعد عودتهم من مناوراتهم الليلية في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف نجحنا في تجميعهم كلهم في قاعات الخيالة لنوزع عليهم الذخيرة بواقع ما بين طلقة وخمس طلقات لكل فرد . وبعد ذلك قررنا القيام بجولة في المدينة لتفقد النقاط الحيوية والتحقق ما إذا كانت الحراسة قد عززت أم في حالتها الطبيعية . وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل ولم يكن ثمة شيء خاص يسترعي النظر بل على العكس اكتشفنا أن الشرطة قد وضعت في حالة تأهب في الليلة السابقة ولكن في هذا اليوم على وجه التحديد رفعت حالة التأهب وعندما عدنا إلى الثكنات أدركنا فجأة اننا لم نكن قد تناولنا أي

طعام طوال المساء . وكنا نتضور جوعاً .. ولم نكن لنشن ثورة وبطوننا خاوية أليس كذلك ؟ ومن ثم توقفنا في أحد المقاهي التي كانت لا تزال فاتحة وتفضل صاحبها – وهو إيطالي بالتحديد – بأن قدم لنا بعض الفطائر والحليب . وبعد ذلك توجهنا لالقاء نظرة على النادي ، فوجدنا فيه حوالي عشرين ضابطا من بينهم اثني عشر أعضاء في الحركة وثمانية غير أعضاء . ولما كنا في حاجة لكل شخص متوفر في هذه الليلة نظراً لأنه لم يتسن لنا الاتصال ببعض منا لأسباب مختلفة لذلك قررنا أن نجندهم بلا تمهيد أو استعداد وانتهزوا الفرصة التي أتيحت لهم فهجموا هجمة رجل واحد . وكنا نعرفهم جيداً بالطبع ومن ثم كنا نستطيع أن نثق بهم . وبالنسبة للتسليح الفردي كان معنا خمسة مسدسات رسمية .. كان معي اثنين وعبدالسلام جلود معه اثنين أيضاً وعبدالسلام بوقيلة مسدس وواحد آخر يتحرك من هنا وهناك ولم أعد أتذكر لمن كان . وسلحنا مجندينا الجدد بهذه المسدسات الستة وضربنا لهم موعداً في الساعة الثانية بالتحديد . أما ضابط الحراسة الذي لم يكن لديه هو الآخر أقل فكرة عن كل هذه العملية فلقد ذهبنا لانتزاعه من فراشه وفي تفكيرنا أن نجنده بدوره ولكنه رفض قائلاً أنه لا يرغب في عملية على هذه الشاكلة . ومن ثم حبسناه وأمرناه بالتزام الصمت حتى الصباح . وبعد ذلك انطلقنا إلى عملنا . وكان أول شيء ينبغي القيام به هو إيقاظ الجنود . وهنا وقع حادث مضحك فقد كان هناك جندي من سلاح الطيران برتبة رقيب مخموراً تماماً رغم أنه عاد منذ بضع دقائق من تدريب دفاع جوي . وأنضم إلى الضباط الآخرين في عملية إيقاظ الجنود الآخرين الذين لم نستطع أن نقول لهم الهدف من العملية واكتفينا باعطائهم الأمر بالقيام وارتداء زي القتال بالخوذات وخلافه ... وعندما تجمع الجنود وعدد من ضباط سلاح الطيران بدأنا نشرح لهم الوضع ولكن ها هوذا سكيرنا يرفض التحرك إلا إذا عرف كل التفاصيل وحاولنا اقناعه بكل الوسائل ولكنه كان يكرر : « لا أسئلة أنا لست إنسان آلي . يجب أن نتفاهم .. إلى أين تريدون أن تدفعونا ؟ » وبدأ يصيح بأعلى صوته . وكانت الساعة الثالثة صباحاً .. وفي صمت الليل كان لفعل صياحه ضوضاء الشياطين . ولكي ننهي الأمر جذبه الملازم خليفة جانباً . وكان قد قرر أن يعطيه ضربة على رأسه ولكن لم يحتج الأمر إلى ذلك فقد نجح في تهدئته

وفي نهاية المطاف حمل الرقيب المتمرد سلاحه واشترك بدوره في العملية .

وفي حوالي الساعة الرابعة وصل الخويلدي - الذي كان مكلفا بالقبض على ولي العهد - كالاعصار قائلاً أنه لم ينجح في معرفة مبنى الإذاعة فقفزنا في السيارة وقدتهم إلى المبنى .

المذيع : ولكن هذا شيء لا يعقل تقريباً ! كيف لم يفكر في التأكد مسبقاً من مكان الإذاعة ؟

عبد المنعم الهوني : الامر بسيط فلم يكن الخويلدى مكلفا باحتلال مبنى الاذاعة ولكن كان مكلفا بولى العهد .

الخويلدي الحميدي : نعم .. ولكن وقعت أشياء غامضة لدى ولي العهد بحيث كان يتعين على حتما أن أذهب الى الاذاعة .

عبد المنعم الهوني : على اية حال وصلنا الى المكان سريعا مع بعض الجنود وأمام مبنى الاذاعة ، كان يقف خمسة أو ستة من جنود الحراسة من غير أفراد الفرقة المتحركة . وعندما شاهدونا نهبط فتحوا النيران . وبعد ذلك استطعت أن أسألهم عن سبب فزعهم فأجابوا أنهم ظنوا أننا اسرائيليين يحاولون تكرار عملية بيروت . واصيب البعض بجراح وتوفي أحدهم فيما بعد ... ثم احتللنا الاذاعة وانتظرنا وصول التعزيزات ولم يتأخر الحاراتي - وهو واحد من الضباط الوحدويين الاحرار - في اللحاق بنا بسيارة مدرعة . وقد خفف وصوله عبئا كبيرا علينا إذ كان من الاستحالة - في حالة الهجوم المضاد - الدفاع عن الاذاعة بالمشاة فقط .

القذافي : ومع ذلك حدثت محاولة من الشرطة لاستعادة السيطرة على الاذاعة .

المذيع : هنا اريد أن افتح قوسين لكي اسألكم ... عندما شرعتم في هذه العملية هل كنتم تشعرون بالخطر الحقيقي الذي يحدق بكم ونسبة نجاحكم في العملية . وما هي اللحظة التي شعرتم فيها بأنكم فزتم بالفعل ؟

القذافي : إن شعورنا جميعا في تلك اللحظات هو أنه يتعين علينا أن تؤدي

واجبنا مهما كان الثمن وكنا قد حللنا امكانات النجاح والفشل ووزناها قبل العملية ووضعنا أقصى قدر من الفرص الى جانبنا . وبعبارة اخرى في لحظة العملية نفسها لم نكن نفكر في الخطر فلقد كان علينا أن نذهب الى آخر مدى . واستطيع أن أقول لك كذلك أنه قبل العملية قدرنا فرص نجاحنا في العملية بستين في المائة تقريبا : ولكن لو كنا قد أولينا اهتماما مبالغا فيه بهذا النوع من الحسابات لما خضنا معركتنا أبداً .

المذيع : هل صحيح أن السيارات التي كانت قادمة من ترهونة كانت تسير بسرعة الى درجة أنه وقعت حوادث ؟

ابو بكر يونس : نعم هذا صحيح . ولكن في الحقيقة كانت السيارة مدنية قادمة بالعكس هي التي دخلت في الطابور. والآن لنتحدث عن ترهونه حيث كنت موجودا مع مجموعة من زملاء الثورة ومن بينهم الخويلدى ، وعمر الحريري ، ومحمد شعبان وسواهم . في ذلك الوقت كانت بعض وحدات المدرعات والمشاة ترابط في ترهونة رغم عدم إتساع الثكنات فلم يكن العهد السابق يهتم بمثل هذه السفاسف . والمحصلة أن هذا التفصيل لعب في صالحنا إذ بتوفر المدرعات والمشاة لدينا أمكننا تنويع تحركاتنا على الاهداف المختلفة . وفضلا عن ذلك ، فان مجموعتنا كانت قد تدعمت بأربعة ضباط من الدفاع المدني كان عليهم أن يساعدونا بأمر من القذافي نفسه . وكانوا قد نقلوا الينا في سيارة ، ولكن لم يكن هناك محل لايوائهم في الثكنات اذ كان ذلك سيثير الشبهات والشكوك . ولذلك البسناهم لباسا مدنيا وأرسلنا كل واحد مع حقيبته الصغيرة الى فندق حيث سجلوا أنفسهم كطلبة .

وبعد ذلك حدث اللقاء الشهير في المعسكر الصغير الذي يشرف على الطريق ، وحيث اعطيت التعليمات ووزعت الواجبات .. وبعد ذلك عاد الجميع الى الثكنات وهكذا – كما روى الهوني – بدأوا يشكون فيَّ . فوضعوني في غرفة بمفردي بينما كانوا هم يتخمون بالثمرات .

المذيع : وهكذا ظللت محبوسا حتى يبيضوا صفحتك !

الخويلدى الحميدي : لا داعي للمبالغة . فلم يكن محبوسا بالمعنى الحقيقي !

ابو بكر يونس : لندع هذا .. لقد اجتمعنا من جديد لاعادة بحث الخطة ودراستها بالتفصيل الى أن جاء (عمر المحيشي) . فوزعنا الاسلحة والذخائر وفي حوالي الواحدة الا عشرة صباحا تجمعنا في مجموعات من ثلاثة او اربعة ..

المذيع : أشعر بأن مشكلتكم الاساسية كانت تكمن في عدم كفاية الذخائر ..

الخويلدي الحميدي : ليس الى هذا الحد لأنه منذ بداية العملية كان علينا أن نولي وجهتنا مباشرة الى مستودعات الذخيرة .

ابو بكر يونس : وواضح أنه ليس في مقدورنا فتح المستودعات قبل بدء العملية . فقد كان يتولى رئاستها ضباط أعلى رتبة منا ، وفي هذه الحالة كان يتطلب الأمر منا أن نعتقلهم ، وهو الأمر الذي استبعدناه لانه كان يعرضنا للحبس بتهمة العصيان أو شيء من هذا القبيل .. وباختصار بعد أن احتجزنا عددا من الضباط – الذين جمعناهم في احدى الغرف – وزعنا الواجبات فيما بيننا . فكلفت بايقاظ الضباط مع الهادي والرماح . وعندما اصبح الجميع مستعدين اقتحمنا أبواب المستودعات وبدأ كل جندي يموّن نفسه بالسلاح والذخيرة ، ثم صعدت الى أول عربة مدرعة قادمة وحشوتها حشوا بالاسلحة والذخائر وخاصة المدافع الرشاشة وكان القذافي قد أوصانا كثيرا بعدم التجمع أو أن نتجمع ونبقى الواحد بعيدا عن الآخر لتجنب أية عملية قبض جماعية ولكي نتحكم في الموقف بشكل أفضل . ولذلك انتصبت واقفا فوق العربة المدرعة بحيث أتمكن من السيطرة على كل العملية . وكان مدفعي الرشاش مستعدا للعمل ...

القذافي : يجب الاعتراف بأن خططك لم تكن مريحة للغاية !

ابو بكر يونس : فما كدت آخذ مكاني في العربة حتى وصل جندي مسرع وهو يصيح أن نيرانا تخرج من احدى الدبابات . فهبطت على وجه السرعة وسارعت نحو الدبابة المذكورة والتي كانت مليئة الى حد السطح بالاسلحة والذخائر وأدركت بسرعة أن ثمة مسا كهربائيا ...

القذافي : لو كانت هذه الذخائر انفجرت لتطاير المعسكر كله في الهواء !

ابو بكر يونس : نعم ، وكان ذلك جدير بأن يحدث ضربة في معنويات الجنود ... هذا مؤكد ولذلك سارعت بالدخول الى الدبابة حيث كان جندي يحاول اصلاح العطب وفصلت دائرة الاتصال .

القذافي : وهنا جازفت بنفسك .. هذا شيء لا ينكر .

ابو بكر يونس : وتحركنا أنا والخويلدي الذي كان قد استعد بدوره . وكانت الساعة حوالي الثالثة والنصف ، عندما تركنا ترهونة ووصلنا الى منزل الشلحي في حوالي الساعة الرابعة والنصف حيث لم يكن هناك إلا جندي حراسة واحد . وفجأة اطلق عيارا ناريا . وخدشتني الرصاصة ولكن الحقيقة انني لم الحظ ذلك . ودخلنا الى القصر وبدأنا في تفتيش الاروقة والغرف ، ومن الخارج كانت تأتينا أصوات أعيرة نارية اخرى . وحين لم نجد الشلحي أخذنا عائلته كرهينة وبعد ذلك توجهنا الى الاذاعة حيث استمعنا في حدود الساعة السابعة الى اذاعة البيان رقم « ١ » .

الخويلدي الحميدي: بالنسبة لي يجب أن أبدأ قصتي من يوم السبت .. أي منذ اللحظة التي جاء فيها عبد المنعم وجلود الى ترهونة لابلاغي بتاريخ العملية . فغادرنا المعسكر مباشرة وتوجهنا الى حقل على حافة الطريق بين ترهونة وطرابلس وفي هذا المكان أبلغوني بالخطوط العريضة للخطة والاهداف التي يجب الوصول اليها . وفور عودتي الى المعسكر بدأت استعداداتي وأول شيء هو استدعاء ضابط المهمات واعطيته امرا باعداد كل السيارات (كنت مساعد قائد الكتيبة) . وقلت له أن ثمة اهمالا غير مقبول في النقل وأن عددا كبيرا من السيارات في حالة سيئة . وكان عليه أن يجعل اكبر عدد من السيارات في حالة صالحة بأسرع وقت ممكن . وفضلا عن ذلك ، طلبت من الضابط المسؤول عن المستودعات أن يكفل نقل المعدات والذخائر الى قطاع الجبل الاخضر . وفي يوم الاحد ٣١ طلبت تصريحا بالخروج بحجة أن لدى جولة عاجلة في طرابلس . وهناك في حوالي الساعة العاشرة قابلت جلود وعبد المنعم في معسكر جادو . وبعد ذلك توجهت برفقة

عبد المنعم لتفقد قصر ولي العهد الذي كنت مكلفا بالقبض عليه . وراقبنا القصر وكل مداخله ومن النظرة الاولى كانت البوابتان الكبيرتان تبعدان الواحدة عن الاخرى بحوالي كيلومتر ، وكان القصر محاطا بجدار مرتفع ويحرسه عدد كبير من المخبرين وكنت في زيي العسكري ، وخطر ببالنا أنه لو لاحظنا أحد لسارع باخطار الأمير أو المسئولين عن الأمن فلقد كان الكثيرون يرتجفون من مجرد التفكير في فقد الرشاوى التي أغرقوا بها البلاد وقت صفقة الدفاع الجوي الشهيرة ! وهكذا غادرنا المكان . وانتهزت الفرصة لأمر على والدتي التي أنحت على باللوم وقالت في شكوى « ألا ترى أنني مريضة وطريحة الفراش . ولا تفكر في زيارتي . » . فهمهمت قائلا أن بلادنا أكثر مرضا منها . ولما كانت تنظر الى دون أن تفهم ما أقول وعدتها أنني قريبا سآخذ تصريحا باجازة طويلة لأرعاها . وحاولت بكل جهدي أن أقوي من عزمها . وعندما قررت أخيرا أن أعود الى المعسكر مررت أولا بالزاوية حيث كنت آمل في مقابلة الملازم الرماح وللاسف لم أنجح في ذلك لأنه كان يتناول غذاءه في « الظهرة » وعلى العكس قابلت في الطريق قافلة لسيارات بدفورد في حراسة الشرطة الحربية وكانت هذه السيارات الخاوية قادمة من جهة الزاوية وداخلني الشك في التوّ لأن عملية « ٢٣ مارس » أرجئت على وجه التحديد بسبب أنه تم نقل كل السيارات وكل وسائل النقل وخشيت أن يتكرر الشيء نفسه .

ومررت بأحد المعسكرات حيث وجدت الوضع طبيعيا تماما وهذا أراحني . وإذ هدأت استأنفت طريقي متوجها الى ترهونة . وبالصدفة شاهدت الرماح في عربة أجرة فأوقفت السيارة وحملته معي واتجهنا نحو الحقل الصغير الذي سبق لنا الحديث عنه . وفي هذا الحقل كلفت مع الحريري بالتوجه الى قصر ولي العهد والقبض عليه .

القذافي : وبالطبع اخفقت في عمليتك !

الخويلدي : لنرى انني لم أخفق على أية حال . دعني اروي ما حدث بالفعل . ولكي ابدأ ، كان بعض زملائنا المشتركين في التدبير قد تلقوا في هذا المساء دعوة

للعشاء لدى بعض كبار الضباط ، وكنا متحيرين جدا لا نعرف ما إذا كان ينبغي أن يلبوا الأمر أم لا . وفي النهاية قررنا أن يذهبوا وكأن ليس هناك شيئ . أما أنا فكان على أن أذهب في الساعة الحادية عشرة الى اجتماع مع صف الضباط لانقل اليهم التعليمات . وأخذ أحدهم الكلمة لاثارة مشكلة القاعدة البحرية والقاعدة البريطانية ويجب القول أن الغالبية لم تسانده بل العكس اتهمته بالانهزامية ...

القذافي : لا تلف حول الموضوع ولنعد الى رواية دورك في العملية !

الخويلدي الحميدي : أنا عائد ... عائد ...

« اولا شرعنا في القبض على مسئولي البريد والبوليس بما فيهم الذين كانوا يحرسون معسكرنا . ولم يتم ذلك دون عقبات كثيرة ، فعلى سبيل المثال كان الضابط المسئول عن المخازن في دار الخيالة وتعين علينا أن نذهب لاحضاره من هناك ، ولما وصلنا الى دار الخيالة وجدنا أن بعض كبار الضباط هناك بدورهم . ولأستحالة التصرف داخل القاعة تعين علينا أن نترك اثنين من بيننا أمام الباب لانتظاره . وبعد ذلك وبينما كنا نتحرك على طريق بئر ميجي انعطفت بسيارتي في منحنى خطير بسرعة فائقة ودخلت السيارة التي كانت تليني والتي كان يقودها الملازم موسى عبد السلام في سيارتي . وأصيب موسى وكذلك الجندي الذي كان معه . واضطررنا الى ترك السيارتين في مكانهما وواصلنا طريقنا مع الملازم الحريري الذي كان يقود المدرعات وفضلا عن ذلك ، فأن قصة موسى غريبة جدا رغم كل شيئ . فما كدنا نتحرك حتى مر من المكان بعض رجال البوليس وشاهدوا السيارتين على حافة الطريق وطالبوا برؤية اوراق الضباط والسيارات .. ومن المرجح انهم اشتبهوا أن في الامر تهريب للسلاح أوسرقة معدات . وبعد أن أجروا المطلوب طلب موسى منهم أن يصحبوه الى المعسكر ليعالج وما أن وصلوا الى المعسكر حتى القي القبض عليهم . وبهذه الطريقة تم استبعاد أي خطر محتمل من هذا الجانب ...

وخلال ذلك الوقت كنا قد وصلنا الى قصر ولي العهد . وهكذا بدأت الامور تأخذ مجرى مغايرا . كان برفقتي عشرون جنديا . وعند مشارف القصر نزلت من

سيارتي ورفعني جنديان على اكتافهما بحيث أتمكن من القاء نظرة خلف الجدار. ولحسن حظي كانت بندقيتي معي ، واذ لاحظني الحارس سارع بالفرار ثم اختفى وسط مجموعة من أشجار الزيتون . فقفزت وسارعت بمطاردته وحاولت سدى الامساك به . وعليه دخلنا الى الحديقة مع القوة الأصلية وتركنا في الخارج السيارات وبعض الجنود لتولي المراقبة . وفتحنا المزاليج عنوة وها نحن داخل القصر. كان الظلام الكامل يسوده ولا حركة فيه على الاطلاق . وداخلنا الشعور بأن القصر خاو ومع ذلك كان الامير في القصر وهذا ما علمناه فيما بعد . ولكن في ذلك الوقت لم نواصل التفتيش اذ اعتقدنا أن الأمير لا بد وأن يكون في أحد المقار الملكية الاخرى ثم في نهاية الامر ما الذي كان يمكن أن يشكله ولي العهد من خطر بالنسبة لنا ؟

القذافي : حسنا انك لم ترغب في تبديد وقتك في البحث عن الامير أليس كذلك ؟

الخويلدي الحميدي : نعم تقريبا ذلك ... لقد قلت لنفسي لنذهب لنتعارك من اجل هدف أكثر أهمية (كنت افكر في الاذاعة بصفة خاصة) . وخلال ذلك الوقت كانت القوات المدرعة التي وصلت الى المكان بعدي مع عمر الحريري قد دخلت الى القصر بدورها وبعد أن شرعت في تفتيش سريع دون أن تعثر على شيئ بدأت تستعد للرحيل تاركة جندياً في المكان . ولكن هذا الجندي ، وبمبادرة شخصية منه بدأ يعاود تفتيش القصر وانتهى الامر به باخراج ولي العهد فهبط الدرج مسرعا وهو يصيح على الملازم الحريري بأنه عثر على ما نبحث عنه . والتفت عمر نصف لفته وأمسك الامير . أما نحن ، فما أن وصلنا الى الاذاعة حتى جلسنا ننتظر أحد المذيعين ، وأوصلنا عامل المقسم الهاتفي «بالمطماطي » . [1]

عبد المنعم الهوني : هذا اذن .. وهذا السيد كان يرغب في أن نذهب لاحضاره في سيارة .

---

١) نفس المذيع المشترك في هذه المائدة المستديرة .

الخويلدي الحميدي : بالطبع قلنا له أنه من الافضل أن يأتي في سيارته وباختصار في كل عملية ولي العهد لم يحدث اي جبن من جانبي ... وتزعمون اني خفت !

امحمد المقريف : بعد أن أنتهت نوبة العمل الدائم لدى في الخامسة كان الجميع قد رحلوا .. وكنا قد اتفقنا على أن يتم توزيع المهام في معسكر قاريونس . وبرفقة الملازم عبد الفتاح ذهبنا للقاء مصطفى الخروبي وأحمد عون ومعمر القذافي وكانوا ثلاثتهم في حجرة معمر مشغولين في اعداد الرسائل والاوراق المتضمنة للمهام الموكلة لضباط وجنود معسكر قاريونس . وتلقيت مظروفي وعلمت أنني مكلف مع معمر وعبد الفتاح وضباط الدفعة التاسعة باحتلال اذاعة بنغازي .

وبعد أن خرجنا من معسكر قاريونس مع الخروبي والضباط الآخرين اتجهنا الى البركة حيث استولينا على المعسكرات والنقاط الاستراتيجية الاخرى ، وكانت مهمتي الشخصية وضع المدخل الرئيسي للمعسكرات تحت سيطرتي للتصدي لاي هجوم محتمل من جانب البوليس او أية وحدة معارضة أخرى . ويجب أن أكفل هذه الحماية الى أن يتم توزيع الذخائر والمعدات على الجميع . واذا قلت هذا كان من نصيبنا بدورنا قبل أن نبدأ العمل في حادث صغير غير منتظر كان يمكن أن تترتب عليه نتائج خطيرة . في حوالي الساعة الواحدة صباحا شاهدنا حافلة لاندروفر تابعة للشرطة الحربية تدخل المعسكر. وهبط منها جندي من الشرطة الحربية وجاء للقائي قائلا : « وقع حادث على الطريق على بعد عدة كيلومترات من هنا وقد نقل المصاب الى المستشفى ولكن ناقلته ظلت في موضعها . وينبغي على أحد منكم أن يأتي معنا لرفع ناقلته فهذا المسكين معرض لان يسرق كذلك وبالطبع لم نصدق شيئا ، واعتقدنا في التو ، أن رجال البوليس هؤلاء جاءوا لالقاء نظرة داخل المعسكر. ومع ذلك توجهت دون تردد الى الحافلة اللاندروفر قائلا انني مستعد لمرافقتهم . وعندما وصلنا الى مكان الحادث وجدت وقد داخلني الارتياح ناقلة معطبة على حافة الطريق . وهبطت بسرعة من السيارة وبحجة أنني سأشترك في تدريبات ليلية رجعت مرة اخرى الى المعسكر. وللاسف

لم يكن الامر قد انتهى بعد فقبل أن ينصرف رجلا الشرطة الحربية أصرا طويلا على أن نفعل شيئا . وكرر معمر عليهم عبثا : « حسنا حسنا لندع هذا الامر الآن سوف نتولى الأمر في الغد » فلم يرجعا . وكانت قصة طويلة من اجل التخلص منهما .

وفي ساعة الصفر تركت القافلة . وعندما وصلنا الى أحد المنعطفات شاهدت سيارة جيب قادمة في الاتجاه المعاكس . وفي لحظة داخلتني فكرة أن كل شئ قد فشل وظللت غير مطمئن مترددا في القرار الذي أتخذه ، غير أن الجنود في حماسهم واصلوا السير بأقصى سرعة وهكذا بعد أن درنا حول بنغازي دخلنا المدينة واتجهنا الى الاذاعة حيث لم يكن هناك سوى جندي يتولى الحراسة . وجردناه من سلاحه في التو ، وكانت الساعة في حدود الرابعة صباحا وكنا قد بلغنا هدفنا . وتبينا في تلك اللحظة أننا لا نعرف لا المذيعين ولا عناوينهم . ولما كانت كل الطرق المؤدية الى الاذاعة قد سدت بالحواجز ، امرنا بأن يسمح بمرور كل من يعمل بالاذاعة ووصلوا أخيرا فيما بين السادسة والسادسة والنصف ولم يفهم مهندسو ولا مذيعو اذاعة بنغازي شيئا مما يحدث وكانوا في حالة اضطراب الى حد أن معمر فضل أن يتحدث هو بنفسه . الى أن تحقق الاتصال مع طرابلس ، وما ان سمعنا اذاعتها تذيع الموسيقى العسكرية حتى عمتنا الفرحة والبهجة . وفي تلك اللحظة بدأ معمر يذيع البيان رقم « ١ » .

المذيع : سؤال أخير.. لقد دهش كثيرون من قراركم تحديد ساعة الصفر في الثانية والنصف صباحا . فالواقع أنه في هذه الساعة يوجد عدد لا بأس به من الساهرين في الشوارع . . .

القذافي : الثانية والنصف كانت ساعة الصفر داخل المعسكرات ولكن التحرك كان مقررا له الساعة الرابعة والنصف . فالواقع أنه في هذه الساعة بدأت الاعتقالات

واحتلال الاذاعة وكذلك النقاط الاستراتجية الاخرى . وبعبارة اخرى . كنا قد تركنا لانفسنا ساعتين لكي نرتب أنفسنا داخل المعسكرات قبل أن ننتقل للعمل .

وبهذه الكلمات وبعد عبارات الشكر المعتادة من جانب المذيع انتهت هذه المائدة المستديرة التي استطاع الاف الليبين أن يتابعوها على شاشات الاذاعة المرئية بعد عام بالتحديد من استيلاء الضباط الوحدويين الاحرار على السلطة .

٣

البلاغات الاولى

ومواقف مجلس قيادة الثورة

في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ، يوم تسلّم الضباط الوحدويون الأحرار زمام السلطة افتتحت الاذاعة الليبية براجها كالعادة في الساعة السادسة والنصف صباحا. وفوجئ الليبيون بسماع الموسيقى العسكرية بدلا من البرامج التقليدية. أدهشهم ذلك بلا شك ، ولكنهم لم يفكّروا بالطبع في أنه بينما تدعوهم الصنوج والطبول الى بدء نشاطهم اليومي ، كان في مبنى الاذاعة ضابط شاب في السابعة والعشرين من عمره. جالسا أمام رزمة أوراق بيضاء ، وعاكفا على كتابة البلاغ رقم (١) باسم الفريق الثوري الذي تسلّم السلطة خلال الليل.. وتم اعداد البيان وسمع الليبيون صوتا مجهولا ، وبقي مجهولا طوال اسبوع ، يعلن عليهم ما يلي[١] :

« أيها الشعب الليبي العظيم.

تنفيذا لارادتك الحرة ، وتحقيقاً لأمانيك الغالية ، واستجابة صادقة لندائك المتكرر ، الذي يطالب بالتغيير والتطهير ويحث على العمل والمبادرة ويحرّض

---

١) كما لاحظنا فان القذافي هو الذي قرأ بنفسه البيان رقم (١) في الاذاعة وقد أكد لي عدد كبير من معارفه في سبها على وجه الخصوص انهم عرفوا صوته رغم أنهم كانوا يجهلون تماما ما يدبره القذافي.

على الثورة والانقضاض ، قامت قواتك المسلحة بالاطاحة بالنظام الرجعي المتخلف المتعفن الذي أزكمت رائحته النتنة الأنوف واقشعّرت من رؤية معالمه الأبدان ، وبضربة واحدة من جيشك البطل تهاوت الأصنام وتحطمت الأوثان فانقشع في لحظة واحدة من لحظات القدر الرهيبة ظلام العصور ، من حكم الأتراك الى جور الطليان الى عهد الرجعية والرشوة والوساطة والمحسوبية والخيانة والغدر ، وهكذا منذ الآن تعتبر ليبيا جمهورية حرة ذات سيادة تحت اسم « الجمهورية العربية الليبية » صاعدة بعون الله الى العمل الى العلا ، سائرة في طريق الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية ، كافلة لأبنائها حق المساواة فاتحة أمامهم أبواب العمل الشريف ، لا مهضوم ولا مغبون ولا مظلوم ولا سيد ولا مسود بل أخوة احرار في ظل مجتمع ترفرف عليه انشاء الله راية الرخاء والمساواة فهاتوا أيديكم وافتحوا قلوبكم وانسوا أحقادكم وقفوا صفا واحدا ضد عدو الأمة العربية عدو الاسلام عدو الانسانية الذي أحرق مقدساتنا وحطم شرفنا ، وهكذا سنبني مجدا ونحيي تراثا ونثأر لكرامة جرحت وحق اغتصب ، يا من شهدتم لعمر المختار جهادا مقدسا من أجل ليبيا والعروبة والاسلام ويا من قاتلتم مع احمد الشريف قتالا حقا ، يا أبناء البادية يا أبناء الصحراء ، يا أبناء المدن العريقة ، يا أبناء الارياف الطاهرة ، يا أبناء القرى ، قرانا الجميلة الحبيبة ، ها قد دقت ساعة العمل فالى الامام . وانه يسرنا في هذه اللحظة[1] أن نطمئن اخواننا الاجانب بأن ممتلكاتهم وارواحهم سوف تكون في حماية القوات المسلحة وانها بالفعل غير موجهة ضد دولة أجنبية او معاهدات دولية او قانون دولي معترف به . وانما هو عمل داخلي بحت يخص ليبيا ومشاكلها المزمنة والى الامام والسلام عليكم ورحمة الله .

ظهر اليوم نفسه ، أعلن ولى العهد تنازله عن سلطاته الدستورية ودعا الشعب

١) يرجع التغيير في اللهجة الى أن القذافي – كما روى بنفسه – ارتجل هذه الفقرة عندما تنبه في نهاية البيان الى أنه لم يقل شيئا بشأن الاجانب الكثيرين المقيمين في ليبيا .

الى التعاون مع النظام الثوري . أما الملك المخلوع ادريس ، فلم يتراجع بهذه السهولة . . كان يستشفي في تركيا وظن أنه يستطيع الاعتماد على قبائل برقه المعروفة بولائها التقليدي للسنوسيين . . وكان يجهل ان هذه القبائل تؤيد الضباط الوحدويين الاحرار منذ زمن بعيد .. وكان يعلق الآمال ايضا على البوليس الليبي وقوامه إثنا عشر ألف رجل ، لكن هذا الآخر كانت قد تمت السيطرة عليه .. ثم أمل أخيرا في « بنود المساعدة » التي تضمنتها المعاهدة الانجليزية – الليبية المعقودة عام ١٩٥٣ ، وتوقع ان يهرع البريطانيون الى مساعدته ، وأرسل اليهم مستشاره عمر الشلحي ، لكن هارولد ويلسون بعد استشارة « أبناء عمه » في حلف الاطلنطي ، أعلن ان التدخل سيعتبر « تدخلا في شؤون ليبيا » خاصة بعد أن أعترف بالحكم الجديد كل من العراق وسوريا والسودان والجمهورية العربية المتحدة ، وكانت الاتفاقية الشهيرة الممتدة عبر عشرين عاما تقضى بالتدخل في حالة وقوع عدوان خارجي على ليبيا .

وكان الحكم الجديد قد تلقى بالاضافة الى اعتراف العراق وسوريا والسودان والجمهورية العربية المتحدة ، رسالة تأييد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . واستقبل سفراء الدول الاربع الكبرى في طرابلس ، ليعلمهم بقيام ثورة بيضاء لا تعادي أي بلد ، وتتعهد بحماية الجاليات الاجنبية المقيمة في ليبيا وضمان ممتلكاتها . وبعد أيام اعترف بالنظام الجديد كل من الاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، وتتابعت بقية الدول .

وقد حددت قيادة الثورة أهدافها في أول بيان على النحو التالي :

١ – تصفية كل المجالس التشريعية لنظام الحكم السابق وسحب كل سلطاتها اعتبارا من الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ، وأية محاولة من جانب المسئولين القدامى ضد الثورة ستضرب بشدة .

٢ – مجلس الثورة هو الهيئة الوحيدة ذات الصلاحية لتسيير شئون الجمهورية العربية الليبية . وعليه فان كل الإدارات الحكومية والموظفين وقوات الأمن أصبحت من الآن تحت امرة الثورة وأي مخالف سيحول إلى التحقيق .

٣ – يحرص مجلس قيادة الثورة على اعلام الاهالي بعزمه على بناء ليبيا ثورية ليبيا اشتراكية مستمدة من واقع ظروفها وبعيدة عن أية مذاهب وواثقة في حقيقة التطور التاريخي الذي سيجعل من ليبيا تلك البلدة المتخلفة بلدة تقدمية ستناضل ضد الاستعمار والعنصرية وستساعد الدول المستعمرة.

٤ – يولي مجلس الثورة اهتماما كبيرا لاتحاد بلدان العالم الثالث والجهود من اجل دحر التخلف الاجتماعي والاقتصادي.

٥ – ويؤمن ايمانا عميقا بحرية الدين والقيم الاخلاقية المتضمنة في القرآن الكريم ويلتزم بالعمل من اجل الدفاع عنها والمحافظة عليها.

وجدير بالملاحظة أنه منذ البلاغات الأولى والمواقف الصادرة عن مجلس قيادة الثورة، برز تأثر الضباط الوحدويين الأحرار بالناصرية واهتمامهم بالقضية الفلسطينية. ويشكل هذا الالتزام عنصراً أساسياً لكل من يود دراسة وتحليل السياسة الليبية الحالية. فقد اتخذت قرارات هامة فيما بعد ونفذت انجازات على صعيدي السياسة الداخلية والخارجية، كانت كلها واضحة منذ البداية.

وقد حرص القذافي على تحديد المبادىء الثلاثة الأساسية للثورة الليبية بأنها (الحرية والاشتراكية والوحدة).

« ان الحرية التي نقصدها هي حرية الفرد والوطن.. هي الحرية التي تقضي على الفقر والاستعمار ووجود قواعد وقوات أجنبية على أرضنا.. والوحدة التي نفكر فيها هي وحدة جميع الشعوب العربية سواء في ظل حكومة عربية واحدة « كبيرة » أو في ظل اتحاد من حكومات « صغيرة » وكل شئ رهن بالظروف.. وان اشتراكيتنا هي اولا وقبل كل شئ اشتراكية الاسلام. فنحن أمة مسلمة ومن ثم سنحافظ كما يدعو القرآن على مبدأ الملكية الخاصة والميراث. ولكن الرأسمال الوطني سيكرس في المساعدة على تطوير البلاد وتنميتها ».

وسوف يوضح فيما بعد وفي مناسبات مختلفة فكر الثورة وفلسفتها والدور الذي

على الشعب الليبي أن يقوم به ، والأسس التي ترتكز عليها في معاركها المقبلة . وأورد هنا بعض الامثلة :

١ – فكر الثورة (مختارات من حديث للقذافي مع الاذاعة المرئية المصرية في ١٤ أكتوبر ١٩٦٨) .

« أسباب الثورة عديدة ، فعوامل الثورة هي عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية وكلها عوامل تاريخية بالرغم من أن هناك أسباباً أتت حديثاً فعجلت بقيام الثورة ، فمن مثل هذه الأحداث الطارئة التي عجلت بخطى الثورة ، النكسة المدبرة التي ألمت بالامة العربية في يونيو ١٩٦٧ ، وحريق المسجد الأقصى الذي هزّ الأمة العربية هزاً قوياً حيث ان الأمة العربية تمثل الثقل الإسلامي وانطلقت منها دعوة الاسلام الى العالم كله . بالاضافة الى أسباب اخرى داخلية في القوات المسلحة الليبية وفي الشعب الليبي .. انما أسباب الثورة الأساسية تكمن في الحياة العربية المتأخرة ، الحياة العربية التي جعلت من الإنسان العربي انساناً متأخراً يكاد يفقد الأحساس بالانتماء إلى عالم القرن العشرين .

ان حياة المجتمع الليبي قبل الثورة تشبه الى حد ما حياة المجتمع في مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ فالمعروف ان المجتمع الليبي كانت تحكمه الوساطة والمحسوبية والرشوة وكانت سيطرة الأجنبي على كل مواطن وكان الاستعمار الفكري والاستعمار الثقافي . كان الرجل الأجنبي هو كل شيء ... حتى كتابته هي الكتابة التي لا بد منها وحتى البطاقة الشخصية لا بد من نسخة بالعربي .. ونسخة بالافرنجي ، طبعاً هذا كله اذلال وامتهان لكرامتنا وهذا استعمار ثقافي واستعمار فكري وحالة التخلف البشع هي السمة الواضحة ، كذلك الفرد في ليبيا لم يصل الى الحد الأدنى من حياة الإنسان التي يجب أن يحياها .. فالناس بتعيش في الأكواخ وتعيش في الخيام بالرغم من الثروات الهائلة والزيت الخام الذي يتدفق على أوروبا .. »

٢ – عن فلسفة الثورة (مقتطفات من خطاب القاه العقيد القذافي في طرابلس) .

« لا بد ان نرفع الشعارات الآتية وأن نزحف من ورائها للتنفيذ والتطبيق

لا بد أن نرفع شعار الجلاء الكامل ، ولا بد أن نرفع شعار الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، ولا بد ان نرفع شعار نعادي من يعادينا ونصادق من يصادقنا ونقاتل من يريد قتالنا . ولا بد ان نرفع شعار الوحدة الوطنية كخطوة أولى على طريق الوحدة الوطنية الشاملة . وعلى المواطن الليبي ان يحقق تحرره السياسي والاجتماعي على أحسن وجه وعليه أن يتخلص من قوى الفقر والقهر والوجود الاجنبي والرجعية والاستغلال ، لكن يجب الا يغيب عن بالنا أن الحرية هي في تحرير الانسان العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، في ليبيا وفي كل الاجزاء الاخرى من العالم العربي لان الحرية لا تتجزأ ، ولذلك يجب أن تلتحم الثورة الليبية بالثورات العربية الأخرى لتخليص كل عربي اينما كان . . »

٣ – عن الدور الموكل الى الشعب (مقتطفات من خطاب القاه العقيد في الاحتفال بذكرى الشهيد عمر المختار بمدينة بنغازي في ١٦ سبتمبر ١٩٦٩)

« ان الثورة لا يمكن ان تكون قيادتها محتكرة لدى مجلس قيادة الثورة أو الوزراء .. ان القيادة لهذا الشعب والسيادة لهذا الشعب والكلمة العليا لهذا الشعب واننا نحمل هذا الشعب مسؤولية الحكم .. نحمله مسؤولية فلسفة الثورة ومقومات الثورة وحكمة الثورة ومبررات الثورة ، وان الاجابة عنها عند الشعب ... الإجابة عنها لدى رجل الشارع لدى الطالب لدى الفلاح لدى العامل لدى الموظف الصغير لدى التاجر .. إذا قلنا لكم أن كل شيء قد تحقق فنحن كاذبون إذا قلنا لكم أبقوا في أماكنكم وسوف نعمل لكم كل شيء فنحن مخادعون .. إذا قلنا لكم سنحقق لكم ما تصبون اليه فنحن دجالون ، ولكننا نقول لكم لا يمكن أن يتحقق أي شيء إلا بكم بأيديكم بعرقكم بكفاحكم .

ان الثورة أيها الأخوة تضع عليكم مسئوليات خطيرة ، مسئوليات حمايتها ، والاستمرار بها ، مسئوليات دعمها ، ان الثورة لا بد أن تكون مستمرة لا بد أن تكون ثورة في كل مجال وثورة في كل يوم وإلا تعتبر إنقلابا ... ان ما حدث في

الفاتح من سبتمبر أبعد ما يكون عن الانقلابات العسكرية ، انه استجابة طبيعية صادقة لمرحلة التحول التاريخي العظيم التي يمرّ بها هذا الشعب العظيم .

ومنذ الآن فان الثورة تحملكم مسئولية القيادة ومسئولية البناء .. نحمّلكم قدسية الاستمرار في الثورة وتعميقها وتدعيمها إذ لا يمكن أن تكون حدثاً طارئاً وعيداً نفرح به فحسب ... »

٤ – عن فلسطين : (مقتطفات من خطاب العقيد القذافي في مؤتمر طلبة الجامعة الليبية بمدينة بنغازي في ٦ نوفمبر ١٩٦٩) .

« أقول أن الذي حدث في الفاتح من سبتمبر كان بداية لثورة شعبية عارمة لا زالت معاركها على الطريق ولكن جنود المعارك القادمة لا بد أن يكونوا قوة الشعب العاملة ولا بد أن يدخل الشعب كله في معركة المصير التي ستخوضها ليبيا الثورة مع الأمة العربية من محيطها إلى خليجها وصولاً إلى تحرير فلسطين العزيزة ولذلك فان تبعات المستقبل ومسئوليات الغد مسئوليات خطيرة وصعبة وثقيلة ، وعليه لا بد أن نكون من الشجاعة بمكان لنتحملها جميعا ، لتخطو الثورة خطواتها القوية على الطريق القويم الذي عاهدت نفسها على ألا تحيد عنه أبداً بأي حال من الأحوال ومهما كان الثمن » .

٥ – عن الوحدة (من حوار مفتوح مع طلبة الجامعة الليبية في طرابلس ٢ يناير ١٩٧٠) .

« من الواضح منذ الأيام الأولى أن حكومة الثورة في طريقها إلى الوحدة . يعني نحن أناس وحدويون ليس منذ الآن فقط بل نحن وحدويون منذ عام ١٩٥٩ .. منذ تشكيل حركتنا .. فالوحدة هدف ومصير وضرورة حتمية أيضا » .

وكانت القرارات الأولى التي أصدرها مجلس قيادة الثورة ابتداء من شهر سبتمبر ، سلسلة اجراءات تستهدف تطهير الحكومة والمجتمع الليبي من العناصر الفاسدة ، وارساء قواعد العدالة الاجتماعية ، والانطلاق في عملية « اللبينة » التي لا غنى عنها .

وفي البداية أصدر مجلس قيادة الثورة تشريعا استثنائيا في نص قانوني مقسم إلى عشرين مادة ، يتهم فيها أفراد الأسرة المالكة وأعضاء الحكومة بالجرم واساءة استخدام السلطة ويعدد جميع المآخذ التي تؤخذ عليهم[1] . وبعد ذلك جرى اعتقال الساسة الفاسدين بشكل ملحوظ لسؤالهم عن المصادر المشبوهة لثرواتهم الخيالية مما كشف عن فضائح لا تعقل بلغت ذروتها باكتشاف أن المسئولين عن ابرام وتوقيع عقد مع بريطانيا في عام ١٩٦٨ ، قد حصلوا على رشوة قدرها أربعين مليون جنيه استرليني .

وهكذا بعد تطهير الجو تم اتخاذ أول قرارات ذات طابع اجتماعي ، فقد تمت مضاعفة الحد الأدنى للأجور . وخفضت الايجارات ما بين ٣٠ إلى ٤٠٪ ، وطبقت سياسة تجميد الأسعار لمواجهة غلاء المعيشة المتزايد ، وفي الوقت نفسه تم منع الوكلاء التجاريين الأجانب الذين يمثلون مؤسسات أجنبية من العمل في البلاد ، وتقرر أن لا يزيد ما يحوله المقيمون الأجانب من مرتباتهم إلى الخارج على ٦٠٪ وأخضعت المصارف للاشراف المباشر للحكومة .

وفي مجال « التعريب » اتخذت قرارات عديدة تتناول جميع القطاعات ، ابتداء بقطاع التعليم حيث أصبح الطلبة لا يستخدمون سوى الأبجدية العربية ، ولا يمنع هذا من دراسة اللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية ، على أن تخفض ساعات تدريسها ، ومنع بيع جميع المشروبات الكحولية تمشياً مع تعاليم القرآن الذي تستلهم منه الثورة أحكامها . وفيما يختص بالجيش ، تقرر التجنيد الاجباري .

وليست هذه سوى بدايات الإجراءات المتخذة ، ولكنها في خطوطها العامة تشكل عناصر ذات مدلول هام .

---

١) في ١٧ نوفبر ١٩٧١ ، أصدرت محكمة الشعب أحكامها في قضية افساد الحياة السياسية في العهد البائد ، وقد حكم على الملك السابق ادريس بالاعدام غيابيا وحكم على زوجته بالسجن لمدة خمس سنوات وعلى عمر الشلحي محظى الملك بالسجن المؤبد وعلى ولي العهد بالسجن ثلاث سنوات .

٤

ردود الفعل الخارجية

كان استلام السلطة من قبل الضباط الوحدويين الأحرار ، كأي « عملية » ناجحة ، أمراً مثيراً لاهتمام الصحافة العالمية التي نشرت فيضاً من المقالات التي تتضمن النسبة المعهودة من الافتراضات والأخطاء والتوقعات المضحكة أحياناً .

على أن في هذه المقالات المختلفة قاسم مشترك هـو الاعجاب بتقنيـة العملية الدقيقة ، بالاضافة إلى الفرحة الساخرة التي يولدها تغلب الضعيف على القوي ، فعلى مسمع ومراى من المخابرات المركزية الأمريكية ، والاستخبارات البريطانية ، ينبري فريق من الشبان المتخرجين حديثاً من المدارس الثانوية ليستولوا على قطعة الحلوى المغرية : ليبيا النفط .. لا شك في أنها ضربة معلم .

وبالطبع بدأت اللهجة تتغير تدريجياً كلما وعت الصحافة — مع مرور الوقت — ما تحدثه « ثورة الشباب » من تحولات على مسرح اللعبة الدولية ، وفي الواقع لو كانوا قد كلفوا أنفسهم زيارة ليبيا أو حتى تحليل الخطب والتصريحات والإجراءات التي تمخضت عنها الأسابيع الأولى للثورة ، لكانت صور كثيرة خاطئة ما رأت النور أبداً . أما الدبلوماسيون والمراقبون الأكثر جدية ووعياً فقد أظهروا اهتماما وصل في بعض الأحيان إلى درجة القلق .

في لندن	: غمرتهم الدهشة من تمكن بعض الضباط – الذين أهلوا في الكليات العسكرية البريطانية[1] – من القيام بمثل هذا الانقلاب (ضد بريطانيا بالطبع) واعتبروا الفراغ الذي سيتركه في ليبيا ابعاد الغربيين أمراً بالغ الخطورة . وتضيف « التايمز » مشيرة إلى تزايد القوة البحرية السوفياتية في البحر الأبيض المتوسط مذكرة « ان الشاطىء الليبي الطويل في شمال أفريقيا ذو أهمية بالغة في نظر السوفيات الذين سبق لهم أن طالبوا بالوصاية على هذا البلد[2] .
في واشنطن	: ساد القلق بصفة خاصة تجاه مستقبل قاعدة « ويلس » التي تضم ستة آلاف جندي وأربعة آلاف من أفراد أسرهم ، علاوة على العدد الهائل من طائرات الفانتوم ، وحيث تعتبر هذه القاعدة من أهم قواعدهم في البحر الأبيض المتوسط ، ولقد اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بأن التراجع الأمريكى في المنطقة أمر لا يمكن تفاديه .
في بون	: حيث كان « الانفتاح » على الشرق الذي وقع في عام ١٩٧٢ ، يبدو وقتئذ جريمة ، ساد الاعتقاد بامكانية اقدام حكومة الثورة على الاعتراف بحكومة والتر أولبريخت . وكانت ليبيا احدى الدول العربية الثلاث

١) أمضي القذافي نفسه في عام ١٩٦٦ دورة تدريبية قصيرة في « سلاح اشارة المدرعات في بوفنجتون (بورت سموث) وقد تحدث عن تلك الفترة بطريقة ساخرة في حديث له نشرته مجلة نيويورك تايمز في ١٩٧٢/٢/٦ ، وبصدد هذه الفترة التي أثارت روايات خيالية كثيرة التزمت السلطات البريطانية – التي حاولت الحصول منها على بعض التفصيلات – بالسرية البالغة .

٢) حدث ذلك في عام ١٩٤٩ خلال معركة بين الدول الاربع الكبرى في الامم المتحدة من اجل ضمان نفوذ لهم في المستعمرة الايطالية السابقة .

– مع تونس والمغرب – التي لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بون أبان الأزمة العربية الألمانية عام ١٩٦٥، لكن ذلك كان على عهد الملك البائس فما الذي سوف يحدث الآن ؟

في روما : أعلنت وزارة الخارجية « أن الايطاليين مندهشون وقلقون بسبب المصالح الضخمة التي زرعتها المؤسسات الخاصة ومؤسسات الدولة في ليبيا منذ عام ١٩٤٧ ، فضلاً عن أن ثلاثة وثلاثين ألف مواطن ايطالي يعيشون في ليبيا وأكثرهم من عمال ورش الأشغال العامة الذين يشقون الطرق ويبنون الموانئ ويعملون في استصلاح الأراضي » .

في باريس : أبدت الحكومة تحفظا وحذراً كاملين ، لكن اتحاد الديجوليين اليساريين –عن طريق المرحوم رينيه كابيتان – حيا قيام حكم جمهوري في ليبيا .. وأعرب عن تمنياته في أن يساهم في توثيق العلاقات مع الجمهورية الفتية وذلك عن طريق لجنة فرنسية – ليبية وأكّد هذه المحاولة فيما بعد ، ما اكتسبته العلاقات الفرنسية الليبية من تميّز .

في الاتحاد السوفيتي : اتسمت التعليقات الأولى بالارتياح (قلب النظام الملكي متعلق بالاحتياجات الداخلية للبلاد ، والقضايا السياسية المعلقة ، وبفقر الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب ، والاستياء من العلاقات الخارجية) وفي الاسبوع التالي تم الاعتراف الرسمي بالنظام الجديد وانطبعت التعليقات بتفهم أدق للأوضاع . فلاحظت « البرافدا »

أن جبهة الأنظمة التقدمية والوطنية التي تعادي الاحتلال الاسرائيلي والدوائر الأمبريالية التي تدعمه ، سوف تزداد قوة » .

في اسرائيل : ساد الحزن . لقد كان الملك العجوز أدريس لا يبخل بالمساعدات على مصر والأردن ، ولكنه كان يبذل ما في وسعه لعرقلة النشاطات الثورية أياً كانت ومن ضمنها المقاومة الفلسطينية . أما القادمون الجدد فيبدو بوضوح انهم سوف ينتهجون سياسة معاكسة .

وفي العالم العربي ... كانت الفرحة الكبرى في الجمهورية العربية المتحدة والدول التقدمية ، بينما ظهر فتور لدى الأنظمة الملكية المحافظة ، وقد خسرت واحداً منها ، ففي الرباط تأوه وأسف على ضياع ملكية أخرى ، وفي تونس حيرة وارتباك وخشية من أن تجد نفسها بين نظامين ثوريين وأسف لضياع مشروع المغرب الكبير الذي دعا اليه الملك السابق ادريس .

* * *

٥

دعم الثورة واعلان الدستور المؤقت

كانت حركة الضباط الوحدويين الاحرار ووصولها الى السلطة عملاً خارقاً للعادة ، له ردود فعل مختلفة ، ولذلك لم تُعف ليبيا من محاولة الثورة المضادة .

وقد وقعت محاولتان في فترة وجيزة : الأولى في بداية ديسمبر ١٩٦٩ ، والثانية بعد سبعة أشهر في يوليو ١٩٧٠ . وفشلت المحاولتان لكن هذا لم يمنع العقيد القذافي من أن يعلق بمرارة ظاهرة :

« الحقيقة أن النقطة السوداء الوحيدة (بعد الفاتح من سبتمبر) هي المحاولة الساذجة ، الشخصية ، المحدودة ، الحاقدة التي قامت بها فئة معينة على رأسهم الجماعة المعروفة ... والواحد يتأسف لهؤلاء الناس ويتأسف لهذه المجموعة التي اخترناها وسلمناها مناصب معنا لخدمة الثورة وخدمة الشعب هؤلاء الناس الذين لم يكونوا من حركة الضباط الوحدويين الأحرار أبدا ... استغلوا مراكزهم ليقوموا بهذه المحاولة .. »

بهذه التعابير أشار القذافي الى المحاولة الأولى التي أوقف على أثرها ثلاثون ضابطا بينهم وزير الدفاع آدم الحواز ، والمقدم موسى أحمد ، وتم تحديد اقامة محمود المغربي رئيس الوزراء وعدد كبير من وزرائه .. وبعد تحقيق طويل – تمكنوا خلاله من تبرئة أنفسهم واثبات عدم وجود أي تواطؤ بينهم وبين المتآمرين – أعيدوا الى وظائفهم لفترة قصيرة . ذلك أنهم أبعدوا نهائياً في شهر يناير ١٩٧٠ . واثر هذه المحاولة الفاشلة اتخذ مجلس قيادة الثورة الاجراءات التالية :

١ – انشاء محكمة عسكريّة لمحاكمة المتهمين .

٢ – اصدار قانون جديد لحماية « الثورة الليبية » .

٣ – اعلان دستور مؤقت جديد .

أما المحاولة الثانية الفاشلة فقد أعلن عنها القذافي بنفسه في ٢٤ يوليو ١٩٧٠ وقال في هذا الصدد « أنها مؤامرة رجعية استعمارية حاكها في فزان بعض أناس النظام السابق بمساندة أجنبية » .

وأوضح القذافي أن المتآمرين كانوا يعتزمون اقامة حكومة جديدة تحت قيادة الأمير عبدالله عابد السنوسي ابن عم الملك السابق ادريس . وكشفت الصحافة الليبية عن أن جيشا مؤلفاً من خمسة آلاف مرتزق – من كاتنجا وسواها – كان على استعداد لمساندة المتآمرين .

وألقي القبض على أحد عشر شخصا بينهم وزيران سابقان ، وكانت ردة الفعل عند الشعب عنيفة ، فطالب بعقوبة تكون رادعة للمتآمرين وتشكيل محكمة عسكرية لمحاكمتهم .

وهكذا دفعت الثورة الليبية « ضريبتها » للتقاليد . واستفادت من المؤامرة الأولى لتمنح ذاتها دستورا مؤقتا أورد عناصره الرئيسية : يؤكد الدستور المؤقت في مقدمته :« ان الشعب العربي في ليبيا قد آلى على نفسه أن يحطم كل القيود التي كانت تحد من حركته وانطلاقه وأن يقف في الصف مع اخوانه في جميع أجزاء الوطن العربي مناضلاً لاسترداد كل شبر من الأرض التي دنسها الاستعمار وأن يزيل العوائق التي تقف حائلا دون وحدته من الخليج الى المحيط .
وهو يؤمن (الشعب العربي في ليبيا) بأن السلام لا يقوم إلا على العدل ، ويقدر أهمية تدعيم العلاقات التي تربطه بجميع شعوب العالم المناضلة ضد الاستعمار» .

وتؤكد المقدمة في خاتمتها أن هذا الاعلان الدستوري قد صدر « حماية لها « الثورة » وتدعيما لها حتى تسير نحو تحقيق أهدافها في الحرية والاشتراكية والوحدة » .

ومن المدهش حقا أن المادة الأولى لا تنص فقط على أن ليبيا جزء من الأمة

العربية وأن هدفها هو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، بل تنص أيضا على أن « الأرض الليبية جزء من أفريقيا » .

وأعلن – بالطبع – أن الاسلام هو دين الدولة (المادة – ٢) وتهدف الدولة الى تحقيق الاشتراكية وذلك بتطبيق العدالة الاجتماعية (المادة – ٦) . والاشتراكية التي يدعو اليها الاعلان الدستوري هي اشتراكية تحافظ على الملكية الخاصة غير المستغله ، وينسحب نفس الشيء على الارث وهو حق تحكمه الشريعة الاسلامية (المادة ٨) .

وفي صدد نظام الحكم فان « مجلس قيادة الثورة هو أعلى سلطة في الجمهورية العربية الليبية ، ويباشر أعمال السيادة العليا والتشريع ووضع السياسة العامة بالنيابة عن الشعب وله بهذه الصفة أن يتخذ كافة التدابير التي يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها (المادة – ١٨) .

يعين مجلس قيادة الثورة رئيس الوزراء والوزراء وهم المسؤولون مسئولية تضامنية أمامه (المادة – ١٩) .

وهو الذي يصدر الميزانية العامة للدولة (المادة – ٢١) وهو الذي يعلن الحرب (مادة – ٢٣) وهو الذي يعين الممثلين السياسيين في الخارج وهو الذي يقبل اعتماد رؤساء البعثات السياسية الأجنبية (المادة – ٢٤) .

* * *

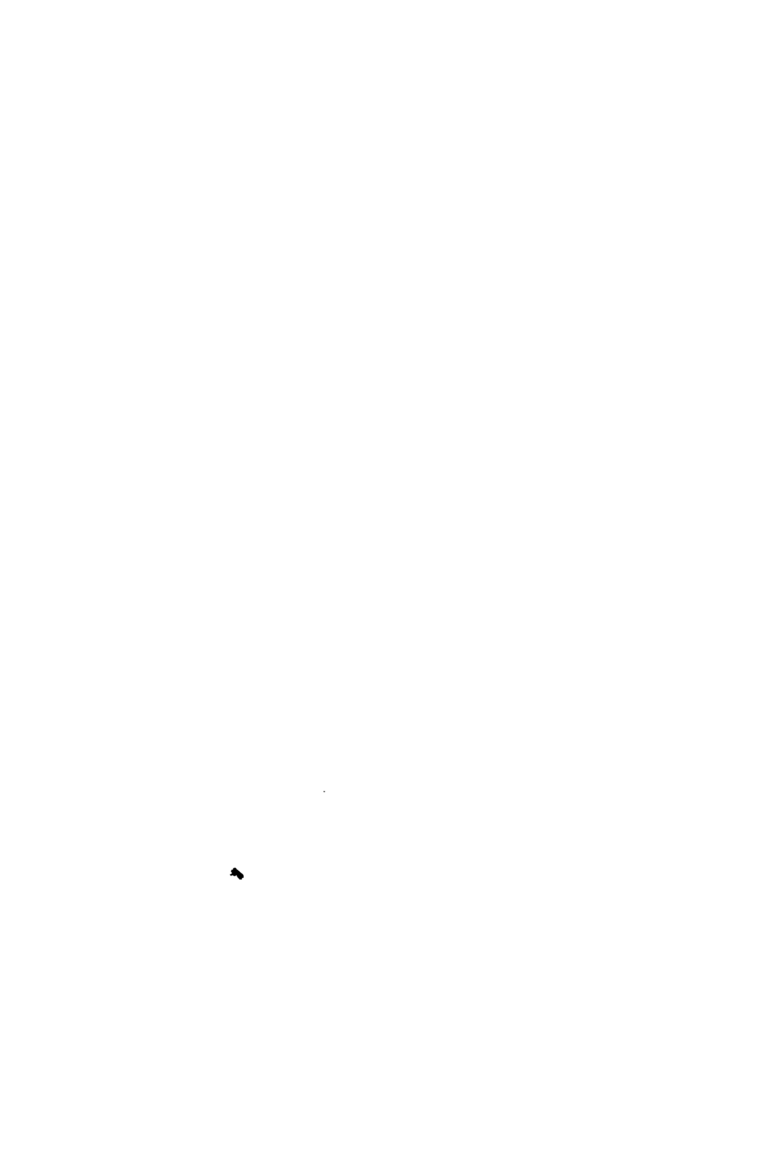


الجزء الثالث

الوَقائِع

" ان تقومَ بنصف ثورة .. كمَن
يَحفر قبره بيَديه "

ل. دي سانت جوست



١

السباق ...

الكل صامت داخل السيارة ... فقد كان الغروب يقترب .

وبينما كنا نجتاز شوارع طرابلس .. كان المؤذن يدعو الى الصلاة . يعلو الصوت وينخفض .. غني .. دافئ ، وتهبط الكلمات المقدسة في موجات رخيمة تلامس رؤوس الأشجار المصطفة على جانبي الطريق .

والتفت ابراهيم البشاري نحوي مبتسما :

– أنت عصبيه ؟

– بعض الشيئ ..

– لا داعي لذلك .. انه البساطة بعينها .. وسوف ترين .

– على أي حال ...

منذ أشهر وأنا أتجول في ليبيا .. أحاول التقاط حقيقة ذلك الرجل ... معمر القذافي .. كنت قد رأيته عدة مرات .. حين ألقى احدى خطبه وسط الجماهير .. وخلال مؤتمر صحفي ، ثم خلال جلسة عمل محدودة تسنى لي حضورها . ثم أنني تبادلت معه بعض الكلمات خلال نزهة دعا اليها المشتركين في المؤتمر الدولي للشباب في مايو ١٩٧٣ ، وكان يعلم أنني بصدد تأليف هذا الكتاب ، ورحب بمقابلتي منذ زمن ... ورغم كل هذا .. !

كان وجود ابراهيم يدخل الطمأنينة الى نفسي .. فهو أحد المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي العربي .. وهو واسطتي لدى القذافي .. وأعرف أنه مقرب من العقيد .. وأنه أحد أولئك الشباب الذين يعتمد عليهم رئيس الدولة الليبية .. وأعرف ايضا أن القذافي سيقابلني مع ابراهيم في جلسة ودية لا كلفة فيها .. لكن رغم لطفه المعروف وسحره الأكيد . ورغم كوني جمعت معلومات وتفاصيل

كثيرة عن حياته حتى بات أليفا في شعوري .. الا أن لقاء رجل كهذا .. كان حريا بإرباكي .

« أشهد أن لا اله الا الله » .

يرتفع الصوت مرة أخيرة ثم ينخفض ويسود الصمت .. ونترك البحر وراءنا ... وتتباعد البيوت وتقل .. وتلوح لنا ثكنة « العزيزية » حيث ما يزال القذافي محتفظا بسكنه داخلها . وقفت السيارة وسرنا في طريق ضيق بعيد ينتهي في حديقة صغيرة خضراء ، في وسطها طاولة مستديرة ، وبضع مقاعد .. وخيال العقيد الذي ينتظرنا .

في الاتجاه المعاكس .. كانت فتاة صغيرة تتنزه وهي تدفع أمامها عربة في داخلها طفل جميل أجعد الشعر يرفع نحونا عينين لامعتين .

قال ابراهيم مبتسما « هذا سيف الاسلام .. ابن العقيد » .

ذكرني الاسم بذلك التقليد القاضي بأن يتسلح المؤذن بسيف خشبي قبل أن يصعد الى المئذنة داعيا للصلاة في البلدان التي دخلها الاسلام عن طريق الغزو .. وسيف الاسلام اسم شائع ومألوف في الدول الاسلامية .. لكن أي اسم آخر لم يكن لينسجم أكثر منه ، مع ما عرفته عن تفكير العقيد وعمق مشاعره الدينية .

وكنا قد وصلنا قرب العشب الأخضر حينما لاحظنا رجلين يرتديان « الحولي » ويسيران ببطء عبر الممشي . وتعرفت بسرعة على والد القذافي .. وما أن شاهدني بدوره حتى أقبل نحوي :

- كيف حالك ؟ كم يسرني أن أراك مرة أخرى .

- وأنت كيف حالك ؟ وخديجة ؟ وخميس ؟

- الحمد لله .. الجميع بخير .. كنت أظنك في فرنسا ! !

- وأنا .. كنت أظنك في سرت !

- انا هنا لبضعة ايام فقط .

واستمر الحديث وكنا سعيدين بهذا اللقاء غير المنتظر . وقد تفاءلت برؤية ابن القذافي وأبيه ، وشعرت وأنا جالسة الى القرب منه براحة نفسية كاملة .

سيدي الرئيس .. أعرف أنك لا تحب التحدث عن نفسك ولذلك حاولت أن أكتب الجزأين الأولين من كتابي دون الرجوع اليك .. وقد تناولا سيرتك بالاضافة الى الاعداد للثورة والاستيلاء على السلطة .. ولذلك سوف تدور أسئلتي حول العمل السياسي داخل ليبيا وخارجها ليكون ذلك موضوع الجزء الثالث .. لكني لم أصل الى تثبيت بعض النقاط في الجزأين الأولين وأود أن اعرضها عليك .

ابتسم قائلا : حسنا .. هاتي ما عندك ..

على المائدة المستديرة المنخفضة .. مسجل بدأ يدور .. جيء الينا بالشاي مع النعناع .. وبينما كان المترجم ينقل سؤالي الأول .. أخذت أتأمل هذا الشاب النحيل الوقور ، والشديد الأناقة .. كان يبدو أكبر مما توحي به سنوات عمره الاثنين والثلاثين – وهو لا يختلف في ذلك عن كل الليبيين تقريبا – وذلك رغم ابتسامته المتألقة . يتحدث ببطء ...وبصوت هادئ موزون ، وغالبا ما ينفجر ضاحكا ، وفي تلك اللحظات تكتشف شبابه ، وتزيل خفة الروح ، ما تبقى من معالم الرسميات .. ولم أشعر بالبعد الغريب الذي يفصله عن محدثه بمساحة يستحيل اجتيازها ، الا بعد فترة زمنية غير قصيرة من بداية لقائي به . لقد شعرت بتركيز داخلي عميق يحيط هذا الرجل بدوائر مكثفة من العزلة .

– أتعتقد سيدي الرئيس ، أن ولادتك ونشأتك في الصحراء ، تركتا تأثيرا حاسما في شخصيتك ، وما نوع ذلك التأثير؟

– أعتقد أن معيشتي في الصحراء ، كانت ذات تأثير هام على مجرى حياتي . . ولا شك في أنني متأثر بجذوري .. وأن نظرتي التي أطل بها على العالم الخارجي هي نظرة انسان ولد وعاش في بيئة صحراوية .

– هل تصورت ماذا كان يمكنك أن تفعل لو لم تكرس حياتك للثورة ؟
– هذا شيئ لم يخطر لي البتة . حتى الافتراض غير ممكن .

– سيدي الرئيس ، الصورة التي رسمتها لك من خلال أقوال شهود كثيرين ، يبرز فيها عنصر أساسي في طباعك وهو كرهك للعداوات .. وأعتقد أن هذه الحاجة الى السكينة .. والمحبة المتبادلة طبيعية نظرا لجذور تربيتك .. لكن بصفتك رجل دولة .. ورجل ثورة فأنت تخوض نضالا وتواجه تناقضات كثيرة ، ولقد واجهت وسوف تواجه معارك وخلافات وعليك بأن تغلّب أراءك .. ألا يضطرك هذا الأمر الى كبت ميولك الطبيعية ؟ ألا تتمزق بين الحياة المفروضة عليك والمتناقضة مع ميولك العميقة ؟

يطلب توضيحا حول علاقة المقدمة بالسؤال نفسه .. ثم يسألني بدوره مبتسما :

– ألا تعتقدين أن هذه الميول – وهي حقيقية – اضطرتني منذ زمن طويل الى القسوة مع نفسي وضبط عواطفي الطبيعية ؟

– بالتأكيد .. ولكن الصعوبات تزداد كونك زعيما سياسيا .

– بالفعل .. وهذا يسبب لي ألما في أكثر الأحيان .. لكنه أمر حتمي .. وما الحيلة اذا كانت الأمور على ما هي عليه ؟

–كان الرئيس عبد الناصر يحب أن يصف نفسه بأنه « عملي » . فلو سئلت أن تصف نفسك فهل تقول بأنك « منظّر » ؟

–لا أعتقد أنه يمكن تصنيف الناس بسهولة في هذه الفئة أوتلك...تجاه ظروف معينة يضطر الانسان احيانا الى اتخاذ موقف قد يوصف « بالتنظير » ...والموقف نفسه قد يتحول الى عمل .. وبعكس ذلك قد يؤدي المسلك الى ولادة نظرية ما .

–ما هو عيبك الكبير في رأيك ؟

يغرق الرئيس في الضحك .. ويتبادل بعض الكلمات العربية مع ابراهيم وهو يواصل ضحكه . ثم يقول :

–أعتقد أن المحيطين بنا هم أدرى منا بسيئاتنا .. ولو عرف الانسان أخطاءه فسوف يبذل ما في وسعه ليغير ما في نفسه .

–هذا جواب دبلوماسي .. لكنني في الواقع طرحت هذا السؤال مرات

عديدة على المحيطين بك ، ولم يجد لك أي منهم عيبا .

– ومع ذلك فلا شك أن لي عيوبا .

وأصر بقولي :

– أيا كان الأمر.. فلا اعتقد أن فيك عيوبا بارزة .. كانوا يقولون ببساطة أنهم لا يجدون فيك شيئا يستحق الانتقاد ..

يقطب ما بين حاجبيه ويبدو غير مرتاح ثم يقول باللغة الانكليزية .

– حتى النبي كانت له هفواته .. لا أحد معصوم من الخطأ .

– سيدي الرئيس ، سننتقل اذا سمحت الى الأسئلة المتعلقة بالاعداد للثورة . هناك نقاط أود أن استوضحها منك مباشرة . فقد جمعت من أصدقائك ومعاونيك تفاصيل كثيرة عن تكوينك العقائدي وعن مسيرتك الثورية . وعرض أحدهم افتراضا أدهشني بشكل خاص ، فبينما اتفق الجميع على ارجاع بداية اهتماماتك السياسية الى عهد الدراسة الثانوية بسبها . قال زميلك القديم الملازم مفتاح علي ، أن السنوات الاسبق – سنوات سرت – هي التي عمقّت احساسك بالظلم الواقع عليك كونك بدويا ، وهي أيضا التي عمقت في نفسك الاعتزاز بانتمائك هذا ، ودفعتك الى إتخاذ قرار بالعمل ذات يوم على تحسين أوضاع الذين يعيشون حولك .. وهو يعتقد باختصار أن بذور الثورة في نفسك بدأت تخصب في تلك الفترة . فهل توافق على هذا الرأي ؟ .

– ربما كان في رأيه بعض الصواب .. على مستوى اللاوعي بالطبع . هذا ممكن لكننا لم نبدأ نشاطنا السياسي بالمعنى الحقيقي الاّ خلال المرحلة الثانوية في سبها . لكن لا شك في أننا ذقنا طعم الظلم منذ عهد الدراسة الابتدائية .. ولا شك في أن ذلك قد أسهم في دفعنا الى الطريق الذي سلكناه بعد ذلك .

– ومتى وقع الانتقال من مرحلة « الحلم » الثوري الى مرحلة العمل أو على الاقل التخطيط لعمل يهدف الى الاطاحة بنظام الحكم في بلدك ؟

– بدأنا نفكر جديا في القيام بعمل ثوري في بداية الدراسة الثانوية .. في

تلك الفترة تبلورت الفكرة في رؤوسنا ، لكننا لم نكن نعرف كم يستلزم ذلك من الوقت .. فبدأنا نخطط دون أن نحدد لأنفسنا فترة زمنية معينة .

– علمت أن تكوينك السياسي – أقصد اتجاهك نحو موقف عقائدي أو آخر – قد تم عبر تلامس تدريجي لاتجاهات مختلفة ، تخليت عنها فيما بعد ، وأذكر منها بصفة خاصة ، البعث والاخوان المسلمين وحركة جورج حبش وثورة كاسترو ، والثورة الناصرية بالطبع . غير أن سؤالي هو : أي تأثير تركته هذه الأفكار والعقائد فيكم ؟

ومن ناحية أخرى ، لاحظت ، أنك تستشهد أحيانا بالفيلسوف الجزائري مالك بن نبي ، صاحب المؤلف الشهير عن الحركة الافرو–آسيوية : الى أي حد تأثرت بهذا الفيلسوف وسواه من فلاسفة الاسلام ، من أمثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والكواكبي ؟

– لم أقرأ مؤلفات الشيخ محمد عبده ولا كتب جمال الدين الأفغاني . على أنني طالعت مؤلفات الكواكبي . وبعض الكتب التي ألمحت اليها . لكن لا بد من القول بأن الحديث عن التأثير في غير محله .. فلم تكن تلك الكتب هي التي دفعتنا الى القيام بالثورة .. كنا واثقين تماما من الأهداف التي نريد الوصول اليها .. ولم تكن القراءات والمطالعات إلا وسيلة تنير أفكارنا وتساعدنا على صياغة هذه الأفكار بشكل أفضل . ولكنها لم تكن – بأي حال – لتغير أو تبدل في هذا الفكر . لأننا كنا نعرف دائما الهدف الذي ستبلغه الثورة التي كنا نحلم بها .

– لكني ، سيدي الرئيس ، لم أكن أقصد « المنبع » الثوري إذا صح التعبير .. كنت أبحث عن منهجية تفكيرك ، التي كان يمكنها أن تتطور تدريجيا عبر احتكاكها بالتيارات الثورية والفلسفية ... عرفت مثلا أنك تعمقت في دراسة فلسفة الثورة لجمال عبد الناصر ، وكذلك ثورة كاسترو.

– هذا صحيح : لكن الكتب التي عالجت الثورة الكوبية قرأتها حين كنت مدنيا وأفكر في أن ثورتنا ستكون ثورة شعبية ... ومن هذه الزاوية فان أي تجربة ثورية كانت تفيدنا وتستحق أن ندرسها . لم نكن نهتم بمضمونها

العقائدي ، وانما بالوسائل العملية والفنية التي لجأت اليها . وهكذا فقد قرأت الكثير عن ثورة صن – يات – صن أب الصين الحديثة . لكن في هذه الحالة وفي كل الحالات كنا نبحث عن الأساليب التي يمكننا استخدامها وليس عن العقائد .

– سمعت من معاونيك روايتين متناقضتين عن العلاقة القائمة بين الجناح المدني والجناح العسكري للحركة الثورية . قيل لي من جهة ، أنه بعد دخولك الكلية العسكرية حصل انفصال بين الجناحين . وقيل لي من جهة اخرى أن شيئا من هذا لم يحدث وأن العلاقات ظلت وثيقة حتى ليلة الفاتح من سبتمبر . فما الذي حدث في الواقع ؟

سألني بمزيج من الدهشة والغضب :

– من الذي حدثك عن الانفصال ؟

– أحاديثي مع بعض المسؤولين الليبيين وبعض المنشورات الرسمية ، جعلتني أستنتج أن الحركة عانت من أزمة في احدى الفترات وأن بعض المدنيين لم يوافقوا على خلق نواة في الجيش لضمان نجاح الثورة ...

– بالطبع لم يكن المدنيون ليعرفوا بعضهم البعض . لم يكن هناك « جناح » مدني بالمعنى الحقيقي . كانوا أفرادا أو خلايا .. بعضهم التحق بكليات الجامعة . وتابع بالانكليزية :

« أكثرهم كانوا أصدقاء لي » . وكنت أنا الذي يؤمن الاتصال فالعسكريين لم يكونوا على علاقة بهم . لكن لا مجال للتحدث عن الانفصال . ما حدث كان نوعا من تقسيم العمل .

– افترض بعض المراقبين الغربيين أن الثورة الليبية حظيت بمساندة الطائفة السنوسية وأنكم ما تزالون على علاقة وثيقة بها . وحجة هذا الافتراض أن تقشف هذه الطائفة ينسجم مع مثلكم العليا ، وأن التفاهم لم يكن مستبعدا .. هل تتفضل فتوضح لي هذه النقطة وتبدي رأيك الخاص في هذه الطائفة .

ضحك من سؤالي ثم قال :

- إن السنوسيين غير متقشفين. إنهم في الاساس ارستقراطيون. وعند البدو مثل شعبي يستعملونه لوصف وليمة فاجرة فيقولون « يأكلون كالسنوسية ».

- مثل هذه الافتراضات تلقي تجاوبا في الغرب، خاصة وأنه يصعب التصديق بأن ثورتكم قد نجحت دون أي تحالفات .. هذا يبدو ببساطة مستحيلا.

- ربما كانوا يرفضون تصديق الواقع!

- الواقع أنه لا توجد سوى معلومات ومصادر قليلة جدا عن الثورة الليبية .. لنأخذ مثلا مقالة نشرت في « النوفيل أوبزرفاتور» بقلم جي سيبتون. يقول هذا الصحفي، بعد عودته من زيارة ليبيا، أن الاميركيين الموجودين في قاعدة « ويلس » لم يقلقوا ولم يتدخلوا ليلة استيلاء الضباط الوحدويين الاحرار على السلطة، لانهم توقعوا أن تكون الثورة القائمة بقيادة العقيد الشلحي، الذي كان يستعد بالتعاون مع الاستخبارات المركزية الاميركية لانقلاب يطيح بالملك. وذلك برضى الولايات المتحدة الاميركية بالطبع. أنا شخصيا أرى هذه الرواية تافهة، لكن هذا هو ما يكتب ..

- من الممكن أن يكون الشلحي بصفته الشخصية، على علاقة طيبة بالاستخبارات الاميركية. لكننا لا نملك أي برهان على محاولته القيام بانقلاب عسكري بمساعدتهم.

- ويقول « سيبتون » أنه استقى أخباره هذه من ليبيا. ويؤكد بأنه قد فهم أخيرا كيف تم الاستيلاء على السلطة على مرأى ومسمع من رجال مخابرات « ويلس ».

- أود أن ألفت النظر الى أن هذه الرواية لا تخضع للتحليل المنطقي. في الواقع، كان الضباط الوحدويون الاحرار قد اكتسبوا الى جانب قضيتهم الجيش بكامله .. كانوا متشعبين في كل مكان، لدرجة أنه لم يكن بامكان أي مجموعة أخرى أن تقوم ولو جزئيا بأي حركة ولم يكن فى استطاعة أحد سوانا، أن يحرك الجيش.

- على سيرة التحالفات لي سؤال قد يبدو لك غريبا: من المعروف أنكم منذ البداية أصررتم على أن تكون حركتكم ليبية صرفة دون أي علاقة أو مساعدة

من قبل التيارات السياسية أو الدول العربية وغير العربية . على أنني أعرف من مصدر موثوق ، أن ليبيين ثلاثة قابلوا سامي شرف أمين سرّ الرئيس عبد الناصر لشؤون المعلومات عام ١٩٦٣ ، ليطلبوا منه أن يساعدهم في محاولة تهدف الى قلب النظام الليبي . وقد قيل لهم أن مصر لن تقدم أية مساعدة مسبقة ولكنها تمدهم بكل معونة بعد اندلاع الثورة . هل وصلتك هذه الرواية ؟ وهل كان هؤلاء الليبيون من جماعتكم أم أنهم ينتمون الى تنظيم آخر؟

وأبدى اهتماما خاصا بهذا السؤال وجرى حوار حوله :

– هل بامكانك أن تذكرى لي اسم أحد هؤلاء الليبيين ؟

– كلا .. ولكني متأكدة من صحة الرواية ... فالشخص الذي نقلها الى ، كان في مكتب سامي شرف حين زاره الليبيون الثلاثة .

سأل بالانكليزية :

– متى ؟

– في عام ١٩٦٣ . أشار هؤلاء الشبان الى امكان القيام بثورة في ليبيا . وقال لهم سامي شرف أن « خط » عبد الناصر يقضي بأن لا تتدخل مصر قبل اندلاع الثورة ، ولكنها ستقدم كل معونة لازمة بعد اندلاعها . وبما أن حركتكم كانت ليبية فقد تساءلت عما اذا كان أحد رفاقكم قد قام بهذه المبادرة دون علم منكم ، أو ما اذا كانت هناك استعدادات موازية لاستعداداتكم ...

– في أي عام حدث هذا ؟

– ١٩٦٣ ...

– هذا التاريخ يبدولي غير صحيح .. هل كان ذلك عام ١٩٦٣ ام ١٩٦٧ ؟

– كلا بالتأكيد كان ذلك في ١٩٦٣ ، والشخص الذي أخبرني غادر مصر في العام ١٩٦٤ ولم يعد اليها بعد ذلك .

– استغرب هذا الأمر... في العام ١٩٦٣ لم يكن في ليبيا أي حركة ... الا اذا كان هؤلاء بعثيون ...

– أو عملاء ...

– ربما كانوا منفيين ... لاجئين الى مصر. وفي هذه الحالة كانوا لا يفكرون في القيام بثورة ، بل باستيراد الثورة المصرية الى ليبيا ...

– ربما... خاصة وأن مجرى الحديث مع سامي شرف كان يوحي بهذا الاتجاه.

– في ذلك الوقت كان الكثيرون يأخذون على مصر كونها لا تنشر ثورتها في ليبيا ! .

– سيدي الرئيس في الحلقات الاثنى عشر التي تروي فيها ، بأدق التفاصيل الاعداد للاستيلاء على السلطة تقول أنكم في وقت ما فكرتم بتخريب القواعد العسكرية الاجنبية القائمة على الارض الليبية . وقد حدث ذلك بعد الحرب العربية – الاسرائيلية عام ١٩٦٧ . هل اتخذتم هذا القرار وأنتم تحت تأثير خطاب عبد الناصر الذي كشف فيه أن القواعد الاجنبية استخدمت في الهجوم على مصر ؟ وأي قاعدة كنتم تنوون مهاجمتها : القاعدة البريطانية أم « ويليس » ؟ ومن جهة ثانية ألا تذكر لماذا لم تنفذ هذه المحاولة ؟ وماذا حدث للمتفجرات التي تمكنتم من الحصول عليها . هل تسمح بأن توضح لي هذه القضية ؟

– غير صحيح ارجاع قرارنا هذا الى تأثير خطاب عبد الناصر ولكن الصحيح هو أننا استخدمنا هذا الخطاب كفرصة ممتازة للضغط على الجماهير ودفعها الى مساندة خطوتنا ... وبالطبع جاء اتهام عبد الناصر ليثبت حجتنا الاولى والاساسية في مهاجمة القواعد الاجنبية باعتبارها – لمجرد وجودها على أرضنا – هجوما مستمرا علينا . أما القاعدة التي كنا ننوي مهاجمتها فكانت القاعدة البريطانية التي حصلنا على خريطة لها ومعلومات عن تحركاتها .. الخ .. وبعدها كان سيأتي دور القاعدة الاميركية .

– وماذا فعلتم بالمتفجرات ؟ فقد قلت « سأروي لكم البقية في مرة مقبلة » ولكنك لم تعد الى تلك الرواية ...

انفجر ضاحكا :

« أود أنا نفسي أن أعرف ماذا حدث لتلك المتفجرات ... نسيت أن أسأل الذين اشتروها ماذا فعلوا بها . عليك بسؤال سفيرنا في أبوظبي فقد كان هو المكلف بهذا الجزء من العملية ...

– في حلقة أخرى تقول أنك قصدت طرابلس إثر محادثة هاتفية مع الملازم مفتاح علي . وبعد أن التقيت برفاقك ، قضيت الليل في منزل خيري نوري ، حتى لا تتعرض للقبض عليك فيما لو ذهبت الى الثكنة . وتضيف أن أحد ضباط استخبارات الجيش أعترف بأن أمرا بالقبض عليك كان قد صدر فعلا في ١٥ مارس ، ١٩٦٩ ، ولكنه لم ينفذ . هل تقول لي لأي سبب لم ينفذ الأمر وفيما لو نفذ كيف كان انعكس تنفيذه على الاوضاع ؟

– الله وحده أنقذنا .. فحسبما علمت كان الأمر قد صدر بالفعل ولم يكن يطالني وحدي . كان هناك ضباط آخرون على القائمة بينهم المصري ، الموجود هنا حاليا وبامكانك أن تقابليه إذا شئت . وفي الواقع حصل خلاف في الرأي على مستوى القيادة فقد قال البعض أن هذا العلاج اسوأ من الداء . وحجتهم أن القبض على بعض ضباط الجيش يعني الاعتراف بوجود حركة سياسية معارضة في داخله ، ولم يكونوا يريدون أن تثار الشكوك حول الجيش . ونصحوا باللجوء إلى أساليب اخرى . ثم تخوفوا من رد فعل الضباط تجاه القبض على زملائهم . وكانوا على حق . فالرائد بشير هوادي بسلاح المدفعية ، كان قد أعطى تعليمات بأن توقيفي أو على الأصح توقيف الملازم القذافي (ضاحكا) هو بداية إعلان الثورة .

– اذن لو تم القبض عليك كانت الثورة ستندلع تلقائيا .

– نعم .. سيكون ذلك بداية العمليات .

– سيدي الرئيس ، قلت مرة أن أحداثا وقعت أثناء العمليات منها أن الضابط المكلف بعمليات القبض حاول أن يشّل الحركة . وقلت بأنك لم تكن قد أوليته ثقة كاملة وأنك لم تطلعه على التعليمات الا قبيل منتصف الليل . ولمعرفتي

بحذرك الاسطوري ، اسمح لي أن اسألك كيف عهدت اليه بهذا الدور الهام وأنت تشك فيه ؟

يضحك ويقول :

– لم يكن مكلفا بجميع عمليات إلقاء القبض وإنما ببعضها فقط !

– ورغم ذلك !

– اليك ما حدث . كان ضابطا في الشرطة العسكرية . وتعرفين أن الشرطة العسكرية هي التي تتولى عمليات الاعتقال . وحين تقوم الثورة يؤدي أي واحد أي عمل يسند اليه . كان كل منا يقوم بمهام جد مختلفة . وكان علينا أن نضمن مراقبة وحدات الشرطة العسكرية ...

– كان عليكم أن تغامروا رغم قلة ثقتكم بذلك الضابط ؟ كانت إذن مغامرة محسوبة سلفا ؟

– لاحظي أننا لم نكن نملك أي حجة أو برهان على أنه عنصر مشكوك في أمره كان على العكس يظهر حماسة بالغة ويبذل ما في وسعه ليبرهن لنا عن صدقه . لكننا ، المقريف وأنا ، شعرنا أن هذا الرجل لا يوحي تماما بالاطمئنان . كانت مسألة إحساس لا أكثر. وأخيراً حين لم نتمكن من تكوين رأي نهائي معه أو ضده قررنا أن نطلعه على الأمر في اللحظة الاخيرة . وفكرنا أنه لو كان صادقا فسوف يؤدي لنا خدمة وإن لم يكن فلن يتسنى له الوقت للتسبب في أي ضرر جدّي . وكما تعلمين ، تبين أن إحساسنا كان صادقا ...

– سيدي الرئيس أنت الذي أعددت للقيام بالثورة بدقة متناهية ، ووزعت التعليمات ضمن مغلفات مقفلة ، كيف حدث أن وصلت اذاعة بنغازي وليس في جيبك نص البيان الأول الذي يعلن عن نجاح الثورة وأسبابها وبرنامجها ؟

ضحك بلطف وود وقال :

كان همنا الأول هو إنجاح الثورة . كل استعداداتنا كانت تصب في هذا الهدف .. لم نكن نهتم إلا لوضع الخطط وضمان تنفيذها دون أي هفوة .

أما كتابة نص البيان رقم واحد فلم يكن سوى إعطاء العلم بأمر واقع ...

– لكنه مهم ! والبرهان هو أنك حين كتبته في آخر لحظة نسيت الأجانب المقيمين في ليبيا واضطررت لان ترتجل « مباشرة » المقطع المتعلق بهم .

ابتسم لذكرى تلك اللحظة وقال :

– هذا صحيح . وفي الواقع حوالي ثلث البلاغ كان مرتجلا أو مكتوبا بسرعة قبل موعد البث .

– لذلك أستغرب هذا الأمر الذي لا ينسجم مع عملية أعد لها بدقة فائقة ..

– لم تكن كتابة النص مسألة صعبة . في ساعة التحدي حين يغامر المرء بكل شيئ يكون متمتعا بوعي كامل وبقدرة هائلة على تركيز تفكيره ، في تلك اللحظات يحصل تركيز كامل لجميع المعطيات الذهنية . ويتمكن المرء من إتخاذ قراراته بسرعة أكثر وهذا هو ما حدث .

– سيدي الرئيس ، ذكرت في خطاب ألقيته في الزاوية يوم ٢٤ يناير ١٩٧١ ، أنك لم تكن تنوي تحمل مسؤولية الحكم بعد الثورة ، ولهذا السبب رفضت أن يذاع اسمك أو ينشر في الصحف أو يذكر أحد أنك رقيت الى رتبة عقيد حتى الثامن من سبتمبر . ثم كشفت عن أنك عدلت موقفك بناء على إصرار عبد الناصر والنميري ولوجود « خطر يتهدد الثورة » . هل تكشف لي عن مصدر ذلك الخطر ونوعيته ؟

– السبب الاساسي لتخوفنا من الخطر على الثورة هو أننا لم نكن نملك بعد ، أي نظام أمن أو حماية . وكان في وسع أي كان أن يدعى الانتماء الى ثورتنا أو ينسب لنفسه المبادرة ... فحين كنا نجتمع مثلا ، كان من السهل على أي سفارة أجنبية أو أي عدو للثورة ، أن يقبض علينا جميعا ، أو حتى أن يقضي علينا .. وبعد ذلك لم يكن من الصعب خداع الجماهير ... بالطبع كان الجيش يعرف هويتنا ، وهذا عنصر ضمانة بشكل ما . لكن فيما يتعلق بالشعب ، ظل الخطر قائما واضطررنا لأن نعلن عن أنفسنا .

– أفهم ذلك ... من جهة ثانية تعرضت الثورة الليبية – ويبدو أن هذا تقليد مألوف – الى محاولتين انقلابيتين ، الأولى في ديسمبر ١٩٦٩ والثانية في يوليو ١٩٧٠ . وقد تحدثت أنت نفسك بالتفصيل عن المحاولة الاولى إلا أن الثانية بقيت في الظل . وقيل أن وراءها جماعة محمود المغربي المتطرفة يسارا في نظرك . هل هذا صحيح ؟

– اولا ... لم تواجه ثورتنا محاولات جدية للاطاحة بها . ولا بد من التفريق بين الثورة المضادة بالمعنى الحقيقي ، وبين محاولة يقوم بها حفنة من العناصر المعزولة يدفعهم الحسد او التطلّع ...

– لا أنكر أن المحاولة كانت محدودة لكن سكوت الاعلام عن المحاولة الاولى كان غذاء لاشاعات كثيرة ركزت كلها على الميول اليسارية للمغربي .

– ليس في هذه الاشاعات أي شيئ من الحقيقة .

– هل حصل اتفاق بين أعضاء اللجنة المركزية للضباط الاحرار ، – كما حصل في مصر – على أنه لو وقع خلاف بعد الثورة حول مواقف سياسية أساسية ، ينسحب المعترضون على هذه المواقف ؟ أم هل تجاهلتم هذا الافتراض تاركين البت فيه للظروف مع ما ينطوي عليه ذلك من مخاطر؟

– كانت أوضاع الثوار المصريين مختلفة عن أوضاعنا . كانوا ينتمون الى افاق متنوعة ، واحيانا متناقضة . بينهم الشيوعيون – كخالد محي الدين مثلا – والاخوان المسلمون . الخ .. وتسبب هذا التنوع او التناقض ، في مشاكل كثيرة وصلت الى حد تهديد الثورة نفسها بالخطر ، كما حدث في شهر مارس ١٩٥٤ . ومن الطبيعي إذن أن يكونوا قد اتخذوا التدابير الوقائية ... علَى أن وضعنا كان شديد الاختلاف عن وضعهم . كنا نعرف بعضنا البعض منذ الصغر وكبرنا معا ، وحصل تكويننا الذهني والعقائدي في الوقت نفسه وطبقا لنفس المبادئ . وبالتالي لم نتخوف على الاطلاق من إمكان حدوث خلافات جذرية فيما بيننا ..

الليل يقترب ونتوقف عن حديثنا .. وبعد أن عدنا الى السيارة ، سألني ابراهيم :

– «ألم أكن على حق ؟»

– نعم ولا . فليس من السهل على أي حال أن ينفذ المرء الى أعماق معمر القذافي .

* * *



٢

البنيان السياسي والعقائدي لليبيا

الاتحاد الاشتراكي العربي

الثورة الشعبية والثورة الثقافية

الاسلام و« النظرية الثالثة »

« أي دوافع وراء تلك « الثورة الثقافية » التي أثارت كل هذه الضجة ؟ ولماذا هذه التسمية التي تذكر بافكار ولدت في مكان آخر والتي لا بد وأن تخلّف بلبلة ؟ »

قد يبدو السؤال غريبا .. ولكن طرحه له مبررات عديدة ، إذ أن الثورة الشعبية التي أعلنها العقيد القذافي فجأةً في خطاب ألقاه في زواره يوم ١٥ ابريل عام ١٩٧٣ ، بدت غير مفهومة ، ليس في الخارج فقط حيث كان برنامج القذافي ورفاقه مجهولا ، بل في داخل ليبيا نفسها ، رغم أن هذه الثورة تندرج في الخط الذي أعلنته الثورة منذ البداية ، حين دُعي الشعب الليبي الى تسلم زمام الثورة التي فجرها الجيش وادارة السلطة عمليا .

فالواقع ، أن المبادئ الخمسة للحكم الثوري التي أعلنها القذافي خلال اجتماع شعبي يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦٩ ، كانت تتعلق بالجلاء الكامل للقواعد

الأجنبية ، والحياد الايجابي المطلق ، والوحدة الوطنية ، والوحدة العربية الشاملة ، والغاء الاحزاب السياسية .. وقد تم تنفيذ هذه المبادئ في أقل من سنة باستثناء الوحدة العربية الشاملة التي لا تزال محور السياسة الخارجية للحكومة .

وفي أول سبتمبر ۱۹۷۰ ، قدم القذافي للشعب الليبي أهم منجزات الحكم الثوري :

* مضاعفة الحد الأدنى للأجور.
* البدء في تنفيذ المشاريع الانمائية في مجالي الصناعة والزراعة .
* إعادة تنظيم الجهاز الاداري .
* إصدار تشريع اقتصادي واجتماعي يهدف إلى تحسين الأوضاع العامة ، ويكفل توزيعا عادلا لثروات البلاد .
* توزيع سندات الملكية .
* جلاء القواعد الاجنبية .
* تأميم المصارف وشركات بيع المنتجات النفطية .
* ترحيل الجالية الايطالية .
* رفع أسعار النفط .

وبعد أشهر قليلة في ١١ يونيو ١٩٧١ ، أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بتكوين وتنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي ، وحدده بأنه (التنظيم السياسي الشعبي للجمهورية العربية الليبية) .

وعلى غرار التنظيم المصري – وان كان أكثر فعالية منه بسبب قلة عدد السكان وامكانية تحقيق الاتصال المباشر بين الشعب وحكامه – فان الاتحاد الاشتراكي تمكن من إقامة نظام الديمقراطية المباشرة ، رغم كونها محدودة ضمن إطار المبادئ الثمانية التي تحدد أهدافه وواجباته . وهي :

١ – تحريك كل الطاقات الخلاقة لتبدع وتنتج .

٢ – التعريف برواسب الماضي البعيدة ومحاربتها .

٣ – التمسك بأهداف الفضيلة ، وجوهر الدين ، والخصال العربية النبيلة .

٤ – مقاومة محاولات التسلل الأجنبي والرجعي .

٥ – إسقاط أفكار اليمين المتزمت ، واليسار المتطفل ، الرجعيين ، وإنارة الفكر بنور الحق والمعرفة الصحيحة للكون والحياة . على هدى رسالات السماء . وسنن الأنبياء ، ذلك هو الفكر الحق .

٦ – مقاومة السلبية ، والانتهازية ، والانحراف ، والارتجال .

٧ – التعريف بضرورة الوحدة العربية ، والدعوة لها .

٨ – التعريف بالاشتراكية ، والدعوة لها .

وفي ٧ اكتوبر ١٩٧١ ، ألقى الرئيس القذافي خطابا في صبراته . حمل فيه على إتكالية الناس ، وسلبيتهم ، فقال « هناك أشخاص مش ماشين مع الثورة .. وإذا كان هذا شخص واحد أو عشرة ، أو عشرين ، الأمر بسيط ، ممكن فصلهم ، وممكن إحالتهم الى التقاعد ، لكن المسألة خطيرة ، لأنها نفسيات مئات الناس إن لم أقل آلاف الناس الذين يتولون مسؤليات كثيرة .. ونحن نعتمد عليهم في مجلس قيادة الثورة أن ينفذوا قراراتنا ، فوجدت أن كل واحد لا يعمل شيئا في عهد الثورة كما كان العهد البائد بالضبط إلا مقابل الفلوس ... والله ما نعطيك حصة زيادة الا بفلوس ... والله لن تنفذ مهمة أو مأمورية إلا بفلوس ... وعليه أصبح الانتاج إنتاجا حكوميا ، أصبح الفكر فكرا حكوميا .. نحن لا نريد للشعب الليبي أن يصبح مستعبداً للفلوس ، ولا للحاكم ، ولا للقمة عيش ، ولا لفقر ، ولا لمرض ، ولا لأجنبي . نحن لا نستطيع بجرة قلم أن نحرر النفوس لأن هذه أشياء لازم كل واحد يعمل جهده . ويجاهد مع نفسه ليحررها إن الجهاد الاكبر هو الجهاد مع النفس ، ومعناه أن الثورة الكبرى هي الثورة التي يجب أن تحدث في نفوس الليبيين .. وأن الثورة الصغرى هي ثورة الفاتح من سبتمبر .. أما الثورة الكبرى فهي الثورة في نفس كل ليبي » .

بعد ذلك بوقت قصير في ١٩ نوفمبر ١٩٧١ أمّ القذافي المسلمين في مسجد

طرابلس وعاود الحديث في نفس الموضوع .. وفي هذه المناسبة استخدم لأول مرة تعبير « الثورة الثقافية » .

« الثورة الثقافية لم تجئ من الصين .. لقد نادى بها الاسلام من مئات السنين ويجب أن نتجه إلى أن نخلق ثورة فكرية وثقافية ، وثورة في النفس حتى تستقيم الناس .. وهذا هو المعنى الحقيقي للآية القرآنية : « ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ورغم هذه الحملات ، والتأنيب المتكرر فقد تناول خطاب زواره الليبيين ككل ، ولم يأت على ذكر المسئولين عن الاتحاد الاشتراكي ، الذي كان سيعقد مؤتمره الثاني في ٢٨ مارس ١٩٧٣ ، فالغى انعقاده في اللحظة الاخيرة ، واستعيض عنه بعد أيام باعلان « الثورة الثقافية » .

وأياً كانت الأسباب ، فلماذا تُربط إعادة النظر في المرافق الحيوية ، وفي أرفع تنظيم سياسي مع ما يبدو وكأنه .. « فكرة مستوردة » ؟ ؟

يتولى القذافي شرح هذه النقطة مطولا وباهتمام ، وبروح النكتة ، خاصة فيما يتعلق بتسمية هذا المنعطف الثوري الجديد .. يقول : « لا يوجد أي استيراد فيما يتعلق بهذه القضية ، وبشكل خاص لا توجد نية الاستيراد .. لكننا لن نخترع كلمات جديدة ، كلما قمنا بعمل جديد ! حين نقول « ثورة » فنحن نستعمل الكلمة المستعملة في كل البلدان . وكذلك نسمي الموت موتا في الشرق كما في الغرب . أما الفوضى فتبقى فوضى أينما كانت . هذا فيما يتعلق بالتسمية . أما من حيث المضمون ، فأن ما يجري في ليبيا حاليا ، يذهب الى أبعد مما ذهبت اليه الثورة الثقافية الصينية التي كانت في رأيي أكثر من ثورة ثقافية ... كانت ثورة شعبية هي الأخرى . وهذا ما يحدث في بلادنا ، ثورة شعبية تشق طريقها عبر الدهاليز الادارية ، والتيارات المناوئه .. ومن هنا كانت تسمية « الثورة الثقافية » تسمية تبنيناها تسهيلا للأمور ، وقد ترضى هذه التسمية بعض الماركسيين ، ومع ذلك فهناك فروق جوهرية بين الثورتين . فعلى الصعيد السياسي اندلعت الثورة الثقافية الصينية ، لتضع حدا لنفوذ أعداء الماوية . لقد أعلن الرئيس ماو

بنفسه عن وجود تيار برجوازي مضاد للثورة ، وحث على سحقه بواسطة الحرس الأحمر. أما عندنا فلا يوجد أي تيار معارض . لقد أعلنا منذ البداية أن ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ ما هي الا بداية تفاعلات ثورية طويلة المدى فجرها الجيش وبعد ذلك على الشعب أن يتولى التغيير بنفسه ، وعلى الجماهير أن تمسك بزمام السلطة دون أية وساطة أيا كان نوعها . واذا كنا لم نطلب من الاتحاد الاشتراكي العربي أن يضطلع بهذه الثورة ، فذلك لأنه تنظيم أوجدناه نحن ، أي مجلس قيادة الثورة وعلى الشعب الآن أن يحكم على فعالية الاتحاد الاشتراكي نفسه ، وأن يجري عملية تطهير إذا ما دعت الحاجة » .

– سمعت أنه على اثر « حادثة البوينغ » – الطائرة الليبية التي أسقطها الاسرائيليون في سيناء عام ١٩٧٣ – أنفجر غضب عارم في صفوف الشعب الليبي ، وأن الثورة الثقافية فجرت وقتئذ ، بقصد تلهية الناس .

– هكذا بكل بساطة ؟ ! على كل حال لا توجد أية علاقة على الاطلاق بين الحدثين . فالاجتماعات التي انبثقت عنها تلك المرحلة الثورية الجديدة كانت قد بدأت قبل حادث الطائرة بفترة طويلة ، واستمرت بعده ، ولا شك في أن حادث الطائرة جاء ليؤكد لنا – إذا كان هناك حاجة للتأكيد – أن التغيير يفرض نفسه ، وأن المؤسسات القائمة بما فيها الاتحاد الاشتراكي العربي ، ليس في مقدورها اجراء هذا التغيير .

– على أي حال ألا تعتقد أن هذه الثورة الثقافية والشعبية كانت تتطلب وقتا أطول لتنظيمها ؟ ألم يكن على الشعب أن يأخذ السلطة عن طريق الانتخابات ، فيتفادى الفوضى ؟

لقد قيل لي ان الجماهير الشعبية ، لم تنجح في استيعاب هذه التجربة الثورية ، وأنها مهددة حتى بالنكسة ، اذ يبدو أن بعض اللجان كانت تتساءل عن كيفية الاستيلاء على السلطة !

– صحيح ان الثورة الثقافية قد اندلعت باسلوب معين ، لكن ذلك كان

مقصودا . فالذي كنا نريده هو أن نصل الى هدفنا ، أي الى استيلاء الجماهير على السلطة . لقد اكتفينا باعلان النقاط الخمس [1] التي تستند اليها الثورة ، وتركنا للجماهير حرية تنفيذ هذه التجربة الثورية ، باسلوبها ، وعلى طريقتها . والدافع الى ذلك ليس عاطفيا ، وانما هو إيمان بجماهيرنا وحتى الآن لم ينتج عن الثورة سوى سلبيات تافهة ، لو قيست باتساع وشمول نجاحها .. فالجماهير تحتل المؤسسات ، وتختار داخل كل مؤسسة لجنة شعبية تتولى تحديد وبرمجة العمل الذي اتفقوا عليه بشكل جماعي ، والجميع يعمل على قدم المساواة ، من المدير العام الى العامل البسيط . وبالطبع لا بد من الحكم على هذه التجربة ككل ، ولا ينبغي التركيز على ابراز الجوانب السلبية ، والهفوات فحسب ، إذا أن الحكم يجب أن يبدأ من تقييم شمولي .

– سيدي الرئيس ، بين يدي كتيب أصدرته وزارة الاعلام عن مسؤولية الجماهير ، ويمكن أن نقرأ فيه : « ان السلطة .. كل السلطة للشعب : وعلى اللجان الشعبية أن تنظم عملية الاستيلاء على السلطة وممارستها ... » ويقول أيضا « على هذه اللجان أن تنظم مساندة الشعب لمجلس قيادة الثورة . وهذان المقطعان متناقضان في نظري . فأنا لا أفهم العلاقة التي ستقوم ، بعد اندلاع الثورة الشعبية ، بين الجماهير ومجلس قيادة الثورة ، وبين الجماهير وبينك أنت نفسك ، مثلا .

– لاحظي أن حوالي ٩٠ ٪ من قرارات اللجان الشعبية هي قابلة للتنفيذ دون تدخل أحد . بالنسبة للعشرة الباقية ، فسيكون لمجلس قيادة الثورة صلاحية ابداء رأيه فيها ... وما أتطلع اليه فوق كل شئ آخر ، هو أن لا تأتي قرارات اللجان الشعبية بدافع المعارضة القاطعة للقرارات والقوانين القائمة حاليا ، وأن

---

١) تعطيل كافة القوانين المعمول بها في ليبيا . الاجراءات والعقوبات التي ستتخذ تكون حسب الحالة التي تقع ولا يرجع فيها الى النصوص القانونية القائمة . وهذا لا يعني على الاطلاق أن ثمة ما يخشاه الناس على حياتهم أو أمنهم ذلك أننا مسلمون ونحكم وفقا للشريعة الاسلامية ولا يمكن في ظل شريعة الله أن يساء الى أي كان سواء في شخصه أو ممتلكاته .

لا يتم تبنيها بشكل جزئي . ومن ناحية ثانية لا أريدها على شكل مطالب ، بل على العكس عليها أن تحمل طابع اختيار نهائي تتحمل اللجنة مسؤوليته واذا كان ذلك واضحا فان ما يجري في ليبيا يصبح قلبا شاملا وكاملا للوضع التقليدي. فمنذ أن يتحمل الشعب مسؤولية نفسه يصبح هو حاكم نفسه : وعندئذ أصبح أنا في صفوف المعارضة ، بمعنى أنه يحق لي مثلا ، أن أقول للجان الشعبية المنتخبة ، بأنها لم تحسن التعبير عن الارادة العامة ، أو أنها لم تتصرف كما كان يجب .. هنا تأتي المعارضة من جهة مختلفة : تأتي من « الزعامة » لماذا ؟ لأننا نطالب سلطة حقيقية فعالة ، اقامة نظام ثوري .. ولقد أعطينا الجماهير وسائل تحقيق هذا النظام وكل خطأ ترتكبه هي مسؤولة عنه .. وهذا ما يشكل تحولا في مفهوم الحكم نفسه .

— في خطاب زواره ، حين تحدثت عن « الامراض السياسية » وحظر الأحزاب ، فقد أقفلت الباب دون أي امكان للحوار... وهذا يشكل في رأيي إنتقاصاً للحرية التي نحرص عليها كل هذا الحرص ... ألا تتخوف من الوقوع في الحكم الفردي ؟ ومن جهة ثانية ، قبل خطاب زواره كنت قد وضعت على نفس المستوى ، الشيوعيين والرأسماليين والاخوان المسلمين لتناقضهم جميعا مع الاسلام ، فهل تشرح لي هذه النقطة ؟

---

٢) تطهير البلاد من جميع المرضى أو المعوقين السياسيين . الحرية للشعب ولا حرية لاعداء الشعب . والحرية يجب أن تعطي للجميع وليس لواحد من بين كل عشرة على حساب التسعة الاخرين . وكل شخص يتحدث عن الشيوعية أو الماركسية أو الالحاد سيبعد ويسجن . كذلك اذا اكتشفنا أن أحد أعضاء « الاخوان المسلمين » أو أحد أعضاء حزب التحرير الاسلامي قد شرع في عمل سري سيكون ذلك بمثابة نشاط سري ومبادرة هدامة مضادة للثورة ولسوف نسجنه .

٣) يجب أن يوزع السلاح على الجماهير حتى الذين ليسوا من افراد القوات المسلحة . ويجب الا يعطي السلاح لاعداء الثورة بل يجب توجيه السلاح نحو صدورهم .

٤) يجب القيام بثورة ادارية ضد اولئك الذين يعزلون الجماهير عن الثورة وضد الذين يزوغون من عملهم ما أن يلفت رئيسهم ظهره ، ضد أولئك الذين يغلقون مكاتبهم في وجه المواطنين أو يهملون مصالح المواطنين . ان هذه الطبقة البورجوازية . هذه الطبقة البيروقراطية التي لا تنشط الا بدافع الخوف يجب أن تكون هدف ثورة ادارية يشنها الشعب .

٥) تطبيق تعاليم النبي وشن ثورة ثقافية في المكتبات والجامعات للتصدي لأي فكر غوغائي ديماجوجي

– بالنسبة للحزبيين وأعداء الثورة ، أعلنت فعلا في خطاب زواره بأننا أغلقنا باب الحوار معهم لكن بعد أن بذلنا معهم مجهودا جبارا طوال أربع سنوات ، بلا جدوى . من ناحية أخرى ، تأكد لي أن الثوريين في جميع بلدان العالم ، حين يتصورون – عن حسن أو سوء نية – أنهم يحكمون بدلا عن الشعب ، فلا بد أنهم يصلون الى حكم الاستبداد أو حكم القلة . وهذا ما حدث دائما في وطننا العربي .. فحين كانت تندلع ثورة في احدى بلادنا العربية كان الشعب يساندها ، لكن مع مرور الزمن ، ولمناسبة بعض الاحداث ، يتضح أن الزعيم لم يعد قادرا على التعبير عن ارادة الشعب . وعلى اثر ذلك كانت تبرز تجمعات صغيرة تلفت الانتباه ، لأنها تحاول أن تعيد الأمور الى أحجامها الطبيعية ، وتبين الانحرافات التي وقعت على مستوى القيادة . وبالطبع كانت القيادة تتهم هؤلاء بمعاداة الثورة وهلم جرا ... وكل هذا لم يكن يؤدي إلا الى شيئ واحد فقط هو أن تتحول الثورة الى معاداة الناس الذين قامت من أجلهم . ولنأخذ « البورقيبية » في تونس كمثل . لقد بدأت بواسطة شخص وفكرة جمدتا كل شيئ بعدهما والآن ... هناك آراء معارضة ومحاولات تغيير ، لكن تونس مهددة بالشلل لمرحلة طويلة ، لوقوعها تحت سيطرة تلك الفكرة نفسها التي ألهبت الشعب في البداية . لأن نمو الفكرة وتطورها من خلال شخص واحد أدى الى إصابة الجماهير بالجدب والجمود . وهذا خطر لا يمكن تفاديه الا بتحالف قوى الشعب العاملة . ولهذا السبب لا يمكنني أن أسمح بوجود أي حزب لا بد وأن ينتهي به الأمر الى السيطرة على الشعب بعد تطويقه واخضاعه . وبتعبير آخر لا يمكن أن أسمح لأي طبقة أو حزب أو فرد يحكم الشعب الليبي ، ولو برضاه ، ذلك لأن مثل هذا الحكم سيؤدي حتما الى الدكتاتورية ... وفي اللحظة التي بدأنا فيها نعي أنفسنا ، وصار علينا أن نقمع بالقوة أي معارضة للثورة . في تلك اللحظة أقدمنا على عمل ايجابي : فبدلا من أن نتحول الى طغاة فضلنا اعادة زمام السلطة للشعب بحيث نتفادى أي سبب لوجود معارضة ... وباستثناء مجلس قيادة الثورة والوزارات ، فان كل الادارات والمؤسسات الليبية معرضة للاحتلال من قبل الجماهير التي تقرر قلبها أو تثبيت دعائمها . وتجري الآن غربلة عامة يتسنى للشعب بعدها أن

يتسلم زمام الحكم . وبفضل هذه الديمقراطية الشعبية ، لا يعود للشيوعية مكان ولا مبرر لوجودها بيننا . هنا في ليبيا لا يسع الشيوعي الا أن يكون مخاتلا يسعي الى خداع الشعب . وفي مثل هذه الظروف التي نعيشها تكون الرسمالية والشيوعية مجرد واجهات لتغطية الانتهازية ... وطالما أن الشيوعيين والرأسماليين لا يسمحون لنا بأن ننشط على أرضهم فلماذا نسمح لهم نحن بالتحرك على أرضنا ؟ ... ولو قبلنا بالاحتلال الثقافي لكان من الأفضل لنا أن نقبل بالاحتلال الكامل ولا تعود هناك ضرورة لمحاربة اسرائيل ، لتحرير الاراضي المحتلة ... ان ما وقع في بلادنا اخيرا انتهى الى التخلص من هذه العناصر ، سواء كانت شيوعية أو من الاخوان المسلمين . وقد تولت اللجان الشعبية نفسها عمليات التطهير . اؤكد لك ، أنه لو كانت الشيوعية هي السبيل الى تحرير الانسان ، لكنت أنا نفسي شيوعيا ، ذلك أنني أبحث عن هذا السبيل بكل صدق ... وأنا متأكد من كون الشيوعيين العرب لا فكرة لديهم عما يجري في موسكو : أو بالاحرى لديهم فكرة رائعة كونوها من خلال النظريات التي لا توجد الا في الكتب .

– حسنا ... لكن ماذا عن الاخوان المسلمين وحالتهم تختلف تماما !

– الواقع هو أننا لو سمحنا للاخوان المسلمين بالعودة ، لبادروا الى تنظيم حزب . وكما سبق وذكرت لك ، لا يمكن ان نسمح بحزب لن يلبث أن يسيطر على الشعب .. ثم أني لا أرى أن الاخوان المسلمين يمثلون الفلسفة الاسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة هم في نظرنا عملاء للاستعمار ، ولذلك نحن نرفضهم . هم اعداء الاشتراكية والوحدة العربية والقومية العربية . وطالما أنهم من دعاة الوحدة الاسلامية فهم حتما ضد الوحدة العربية ، ان الاسلام دين عالمي ولا نسمح بأي شكل أن يتحول الى خلية حزبية ، أو أن ينطوي على نفسه وينسحب الى الظل لأن ذلك يشكل جريمة حقيقية ضد الدين نفسه . ومن هنا كان الاخوان المسلمون يسيئون الى الدين الاسلامي . وبعد كل هذا ، ان الاخوان المسلمين ومثلهم حزب التحرير الاسلامي ليسوا سوى عملاء للغرب ... فالامبريالية لا توفر جهدا لتقف بوجه الوحدة العربية أو هي وراء كل من يعمل على تخريب

مساعي هذه الوحدة ، وقد بات معروفا أن وكالة المخابرات المركزية الاميركية تمول الاخوان المسلمين ورئيسهم سعيد رمضان ، أحد العملاء المفضوحين . ويتلقى هؤلاء الناس بانتظام منشورات من الخارج ، وخصوصا من اوروبا . هل تتصورين الاسلام قادما الينا من اوروبا ؟ الدعوة الى الاسلام مطبوعة في لندن وتحت رعاية الاستخبارات الاميركية .. من يستطيع ان يقبل هذا ؟ ! ان لدينا تراثنا وانطلاقا منه ، نستطيع نشر صوت الاسلام في كل مكان . ومنذ زمن بعيد ونحن نطلب الى الاخوان المسلمين أن يتركوا خلاياهم ويخرجوا الى النور. ندعوهم الى نشر الدين الاسلامي علنا وجهارا والى مساعدتنا ... هكذا نفهم الإسلام . وكل من يرفض الخضوع للمبادىء فهو يتطلع إلى الاستيلاء على السلطة واقامة حكم مضاد للثورة . وهذا ما لن نسمح به ، والا عمت الفوضى ... وهكذا فان الابواب موصدة بالفعل في وجه أي تنظيم يستهدف - سرا أو علنا - السيطرة على المجتمع ، وهي مشرعة باستمرار أمام تحالف قوى الشعب العاملة ... وهذا لا يمنع أيا كان من التعبير عن فكرة بحرية ، لكن لا مجال مطلقا لا يجاد حزب أو خلايا أو تنظيم من أي نوع كان يطمح على المدى البعيد الى الاستئثار بالسلطة .

- سيدي الرئيس ، النقطة الخامسة في اعلان زواره ، أثارت ردود فعل عنيفة في الغرب كما تعرف . وللوهلة الاولى لم يلفتهم فيها سوى الاجراءات الثقافية البحته ... وبالطبع اتهموك بمحاولة تجهيل الناس . وفي الواقع ان احراق الكتب أمر خطير وكذلك عرقلة التطور العلمي ...

- لكننا نفرق جيدا بين العلم والثقافة ! فبينما نحن منفتحون على العلم ومستعدون لتقبله والافادة منه ، نتحفظ كثيرا في كل ما يختص بالثقافة التي نعتبرها أسلوباً حياتياً . أليس من العبث أن نستقبل الهيبيين مثلا ، (وهم ظاهرة اعتراض على مجتمع معين وثقافة معينة) هنا في قلب الصحراء ؟ ثم أنهم قد بالغوا كثيرا فيما يتعلق بالكتب . فما هي علاقة ما جرى هنا مع ما حدث في بغداد ، والاسكندرية والاندلس ؟ لا أحد ينكر أن تلك كانت أعمالا همجية .

أما ما جرى في ليبيا فلم يكن سوى تعبير عن رفضنا الوقوع تحت تأثير الدعاية المعادية لايماننا ومبادئنا . نحن أحرار في اختيار ما نريد ان نقرأه . ويجب التفريق بين كتب الدعاية والدراسات الموضوعية التي لا نعترض عليها ، بل على العكس نقدرها حق قدرها . لكننا نرفض ان نتحول الى بلد تتقبل دون تمييز أي نوع من الدعاية السياسية والعقائدية . حتى الاسلام قد يساء فهمه في دول كثيرة لان عددا كبيرا من المسلمين ينهلون ثقافتهم من كتب المستشرقين أو من الترجمات التي يحمل أكثرها تحريفا أو تحويرا في المعاني ... والخلاصة أن كل هذه الكتب التي لا يحجبها سوى ستار من الدخان ، تهدف الى تفتيت وحدتنا القومية . ولهذه الاسباب كان لزاما على الثورة الثقافية أن تحلل كل كتب المستشرقين ، الجيد منها والسيئ ، لتتوصل الى فضح ما تحويه من تزوير أو سوء تفسير . ولهذه الاسباب أيضا قررنا اعادة النظر في مجمل الانتاج الادبي والفني وفي الكتب المدرسية والكتب المتوفرة في المراكز الثقافية ، لكي نجنب الجيل الصاعد الوقوع في التضليل والخطأ . وبعد كل هذا أؤكد لك أننا هنا في ليبيا لم نحرق كتابا واحدا . كل ما فعلناه هو أننا سحبنا بعض الكتب من المكتبات الخاصة والعامة ووضعناها تحت تصرف الاتحاد الاشتراكي . واكرر أن الاحتلال الأكثر خطرا هو احتلال العقول ، ففي ذلك يكمن خطر أعظم من أي خطر آخر قد يهدد الإنسان من الخارج . انه كمن يضع قنبلة في أحشاء انسان ، حتى اذا ما انفجرت قضت عليه قضاء تاما . بينما لو هوجمت مثلا بسكين ، فيبقى أمامي على الأقل أن أواجه الهجوم وأدافع عن نفسي .

— قضية الدفاع عن الشخصية وعن التميّز العربي هي من الموضوعات التي تتردد دائما في خطبك . وهناك مبادرات اتخذتها في هذا المجال ، غير مسألة الكتب ، أحدثت في الغرب ضجة كبرى . منها مثلا الزام كل أجنبي يريد دخول ليبيا بحمل جواز سفر مكتوب باللغة العربيـة !

— لم نطلب الى الاجانب أن يحملوا جوازات سفر مكتوبة بالعربية فقط . كل ما فعلناه كان أن أعلنا أن اللغة العربية لغة دولية وهي متداولة في الأمم

المتحدة بهذه الصفة . وقد تقرر ابتداء من أول يناير ١٩٧٣ أنه على الداخلين الى ليبيا من أصحاب الجوازات المكتوبة بلغات مختلفة أن يدونوا المعلومات على جوازاتهم باللغة العربية أيضا . اما اذا كان الجواز مكتوبا بلغة واحدة هي لغة الدولة التي أصدرته فاننا نحترم تلك اللغة في هذه الحالة ولا نطلب أن تضاف اليها اللغة العربية . بتعبير آخر ، لا نطلب أن يكتب الجواز بالعربية الا اذا كان يحمل لغة ثانية بالاضافة الى لغته الاصلية . وذلك لان اللغة العربية ليست أقل اهمية من لغة الدول التي فرضتها على سكان دول أخرى ، ومن بينها عدة دول عربية .

— هذا واضح جدا .. سيدي الرئيس ... بالنسبة للثورة الثقافية ، هناك أسئلة تتعلق بتعطيل القوانين القائمة واستبدالها بالشريعة الاسلامية . أعترف لك بانني لم أفهم هذا الاجراء . ثم أنني كمحامية أتحفظ تجاه كل ما يمس القوانين ... وكل مبادرة في هذا الاتجاه ، في رأيي ، تنطوي على خطر تشتت جوهر الدولة ذاتها ، مما يهدد بنتائج خطيرة ، ويفتح المجال لسوء التفسير واستعمال الصلاحيات ... ثم أنه يخلق فراغا ...

— فيما يتعلق بالقوانين ، من البديهي أنه لا يمكن الاستغناء عنها ، على أننا ضد أي قانون يمنع الناس من الوصول الى السلطة ، وكل قانون يحمي المكتبية أو الجماعات الضاغطة . وضمن هذه الحدود عملنا على تعطيل بعض القوانين وبعد ذلك سنشّرع تباعا بديلا عن كل قانون تعطل وعنئذ تسود القوانين الجديدة وتستعيد كل قوتها . وقبل أن نبدأ بالتشريع علينا بالرجوع الى مصدر قوانيننا ، ولا بد أن يكون الجميع متفقون على ذلك المصدر . والمهم هو أن لا يشعر الحاكم بأنه متفوق على الشعب لمجرد أن المجتمع قد وزع الأدوار على هذا الشكل . في فلسفة السلطة اتفاق معقود بين مختلف أعضاء المجتمع . وهذا الاتفاق يجب أن يحترم . وحين يطالب بعض الفلاحين بفتح مكتب ما في منطقة ما ، فيجب أن ينفذ مطلبهم ، وأن يفتح ذلك المكتب ..

— حتى في مصر يتعجبون من اقدامك على تطبيق الشريعة الاسلامية . فبعض مقتضيات تلك الشريعة تبدو في الواقع غريبة .. أذكر مثلا جزاء السارق...

– بالنسبة الى الشريعة الاسلامية اود أن أشير الى أننا لن نكتفي بتفسير حرفي للنصوص القرآنية . وأتمنى أن يصلني ، ممن يريد ويكون مؤهلاً ، تفسير لروح النص القرآني المتعلق بالسرقة وبجزاء السارق (أي قطع يده) وأنا مستعد لمناقشة هذا الموضوع ضمن اطار الاجتهاد . لكنني أرفض أن تستبعد الشريعة الاسلامية عن محاولات استحداث نص قانوني جديد . الواقع هو أننا نحكم بالقوانين الفرنسية والانجليزية والايطالية الخ . ومن حقي أن أرفض هذه المصادر. وألفت انتباهك الى أننا حين قررنا تطبيق الشريعة الاسلامية ، لم نكن ننوي أبدا قطع يد الذي سرق ليأكل . الذي تدفعه الحاجة الى السرقة ، ليس مذنبا ، وانما الذنب على المجتمع الذي عليه أن يؤمن لأعضائه جميعا ما يسد حاجاتهم . على أن الذي يسرق بهدف السرقة ودونما حاجة ، فهو معرّض لهذه العقوبة ومع ذلك.. فنحن على استعداد لتقبل تفسير للنص القرآني يقول أن تعبير « قطع اليد » يجب أن لا يؤخذ بحرفيته ، شرط أن يخضع هذا التفسير لقواعد الاجتهاد ... ولنأخذ « الزنا » كمثل آخر فالاسلام لا يدعو الى رجم الزاني كما يدعى البعض . بل نصّ على « الجلد » وبالتحديد نصّ على جلد الزاني مائة جلدة . وهنا تبدو القضية واضحة ، فمائة جلدة تعني مائة جلدة . ولا مجال للنقاش في ذلك فالخطأ من الخطورة الى حد يجعل المخطئ يستحق هذا القصاص !

هذا الكلام يتركني حائرة الى حد ما ! صحيح أن تهمة الزنا تبعا للشريعة الاسلامية ، لا تثبت الا بشهادة أربع شهود عيان . وهؤلاء يتعرضون لجزاء الزاني نفسه ان هم كذبوا . لكن مهما يكن من أمر ، فبعد أن تتبعت نقاش القذافي مع طلاب كلية الحقوق في جامعة بنغازي ، حول تطبيق الشريعة الاسلامية ، صار بوسعي أن أؤكد أن هذا التطبيق محاط بالحذر وأنه سيأتي بعد أبحاث كثيرة وعميقة . لقد قال رئيس الدولة الليبية للطلاب :

« انا عاوز لو تخصصوا خمسين او مائة او مائتين منكم ويعتبر هذا في مجال الثورة الثقافية . خذوا القرآن وطلعوا لي منه التشريعات .. طلعوا منه الحاجات اللي القرآن يعتبرها مصدرا للقوانين . مصادر نقدر احنا نحولها الى قوانين ...

إلى مواد . ويكون عملكم في ميدان مراجعة القوانين ومقارنتها بالشريعة الاسلامية . هذا عمل حيكون مستمر لغاية ما ينجز ... تنجزوه في شهر في عام ليس هذا بالمهم ... »

ومن جهة تطبيق الشريعة الاسلامية في المجالات الاقتصادية ، فقد شكلت لجنة من الخبراء أوكل اليها دراسة القوانين الاقتصادية القائمة ومدى انسجامها مع تعاليم الاسلام . وهذه ناحية دقيقة جدا ، في حال تطبيق الشريعة الاسلامية دون دراسة عميقة فسوف تتأثر بها جميع المرافق الاقتصادية في البلاد . ومن أكثر المشكلات حدة في هذا المجال هي محاولة التوفيق بين قوانين الاقراض المصرفي المقبول في القوانين التجارية وبين الشريعة الاسلامية التي تحرم الاقراض بالفائدة . ولاحظت اتجاها بدأ جلياً منذ الآن داخل اللجنة . يميل الى التمييز بين الفائدة والربا . وتشير اللجنة الى أن القرآن ذكر كلمة « ربا » التي تعني « الابتزاز » وتعني هذه الكلمة الذين يقرضون أموالا لاشخاص محتاجين ويستغلون حاجتهم ليفرضوا عليهم فوائد فاحشة . وأن النصوص القرآنية لم تذكر « الفائدة » . وفي حال قبول هذا التمييز فسوف ينتج عنه ، من جملة ما ينتج . أن الفوائد التي تجنيها الحكومة الليبية من ودائعها في مختلف المصارف هي أموال شرعية وغير قابلة لاعادة النظر . وتجدر الملاحظة بأن العودة الى الشريعة الاسلامية كما أعلن في نقاط زواره الخمسة ، لم يكن شيئا جديدا على الجماهير الليبية . ففي خطابه بمسجد طرابلس في ١٩ نوفمبر ١٩٧١ ، أعلن القذافي عن إتباع تشريع مستمد من النصوص القرآنية في مجال الزكاة .

« .. صدر تشريع جديد بأن تتولى الدولة مسئولية جمع الزكاة .. ان هذا التشريع لم يأت بجديد ولكنه أقر حقا فرضه الله . »

وينص القانون الذي أقره مجلس قيادة الثورة على « أن الزكاة بجميع أشكالها المنظورة وغير المنظورة ، يجب أن تنظم وتوضع في خزينة الدولة . بحيث تتولى المراجع المختصة صرفها حيث يجب . فقد يحدث أن لا يجد القائم بواجب الزكاة الشخص الذي يستحقها . وبعضهم لا يقومون بهذا الواجب لانهم لا

يرون من حولهم من يحتاج الزكاة ... والبعض الآخر يتبادل الزكاة حتى لا يخالفون واجبا دينيا . ومن الواضح ان هذا التصرف غير صحيح . فقد ذهب بعضهم الى حد رمي القمح او الشعير في الوادي او في الصحراء مقتنعين بأنهم يقدمون صدقة للطيور ! ... ونحن كدولة لا نقبل أن تصب هذه الاموال في العراء أو أن تذهب لغير مستحقيها ... ولذلك أنشأنا ادارة عامة تتولى أمر الزكاة ... هذا التشريع فرضه الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، ولم تجد المجتمعات العصرية سوى أسلوب مشابه له أسموه « الضمان الاجتماعي » وفي الواقع أن نظام الزكاة هو الضمان الاجتماعي بمعناه الأمثل . فالقرآن نفسه يعطي الدولة حق الأخذ من الرساميل وتوزيع ما يجمع على الفقراء وفقا لما جاء في الآية الكريمة :

« وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . »

والجماهير؟ يعتقد القذافي انه ليس باستطاعة الجماهير أن تشارك بوعي في الثورة اذا هي لم تنزل الى الشارع . فوسائل الاعلام الحديثة من اذاعة مسموعة ومرئية . ليست كافية لايقاظ الجماهير . وقد قال أثناء مناقشته لطلاب كلية الحقوق :

« عندما تسمع الجماهير في الاذاعة من حين لآخر أن نظاما جديدا قد انبثق فانهم يسارعون بالتصفيق . وأعترف لكم بصراحة وبصفتي عربيا أنني خجل حقا حيال أمة تتصرف على هذا النحو أمام كل ما تسمعه في الاذاعة أو أن تترك نفسها العوبة بهذا الشكل . »

ولكنه واثق من أن « ثورته » الشعبية والثقافية سوف تبلغ أهدافها لأنها تتجاوب مع الأماني الحقيقية ليس للشعب الليبي فحسب ، بل وللامة العربية باسرها . فهو يردد باستمرار « ان الجماهير العربية متعطشة للعودة الى المنابع الأصلية » أي أن يعودوا الى أصالة تراثهم ونقاء الاسلام ، الذي يعتبره القذافي الوسيلة الوحيدة لبناء مجتمع كريم وعادل .

الاسلام : انه العنصر الاساسي ، أو النقطة التي يتمحور عليها نشاط القذافي السياسي ، داخل ليبيا وفي مجال العلاقات الدولية . ولا يدهشنا أن يحكم الدين سياسة رئيس دولة عربية فكل زعماء وحكام البلاد الاسلامية اضطروا وسيضطرون لفترة طويلة لاتخاذ موقف واضح من المكانة المخصصة للاسلام في حياة وأعمال الدولة . وذلك لأن الاسلام أكثر من كونه معتقد ، فهو يمثل ويلخص ثقافة ونمط حياة وحضارة . وهومتداخل في التشريع والتقاليد والحياة اليومية للمسلمين.

وهو قائم في نظرتهم الى الثقافة والأسرة وتحديد موقعهم تجاه البشرية .. وهو عنصر ذو تأثير بالغ العمق ، يصعب فهمه على غير المسلمين . فغير المسلمين ينظرون الى الاسلام من زاوية دينية بحتة ، وهذا ما يجرهم الى أخطاء في تقدير الأمور تزداد خطورتها في كون موقف أي رئيس مسلم من الاسلام هو موقف متطرف أيا كان اتجاهه . وهكذا لو حددنا نظرتنا في اطار العالم العربي المعاصر فان المراقبين لا يأخذون بعين الاعتبار مواقف الزعماء من الاسلام حين يحللون السياسة الداخلية التي يطبقونها في بلادهم أو ضمن المجال الواسع للأوضاع العربية بشكل عام . أما حين تؤخذ مواقف الزعماء من الاسلام بعين الاعتبار فكثيرا ما يقع المحلل في تفريق بسيط وساذج بين « المتعصبين وغير المتعصبين » ويكتفي بذلك . بينما المسألة في الواقع أكثر وأعمق تعقيدا . وبما أن الاسلام يدخل في كل تصريحاته وفي كل خطبه وفي كل مواقفه ، فان القذافي قد صنف في الغرب من « المتعصبين » .

ومن الادعاء الباطل أن نحاول توضيح هذه المسألة في كتاب كهذا حيث لا يمثل أكثر من وجه – وان كان الأهم – من وجوه شخصية وأعمال القذافي . على أنه لا بد من توضيح ولو مختصر لمعتقدات الرئيس الليبي ، وذلك لأن القذافي يقوم بثورة داخل الاسلام فهو يعيد النظر في مفهوم كلمة الاسلام نفسها مع ما يترتب على ذلك من نتائج بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين .. فالنظرية الثالثة التي يحاول تطبيقها في ليبيا ، بهدف اعلانها فيما بعد « نظاما ثالثا » دوليا (في مواجهة النظامين الشيوعي والرأسمالي) تستند الى مفهوم جديد للاسلام ، يؤكد القذافي أنه اكتشفه بنفسه من خلال دراسة عميقة للقرآن . وهذا المفهوم الجديد

يعرضه على المسلمين وعلى العالم بأسره في اطار تفسير جديد للنصوص القرآنية وقد أتينا على ذكر بعضه في هذا الفصل .

وهنا تكمن أصالة موقف القذافي كرئيس عربي مسلم بالمقارنة مع بقية أقرانه في الدول العربية الاسلامية الأخرى . وتجاه هذا الموقف الذي لم يألفوه ، تأتي ردود الفعل متفاوتة ومتنوعة ، ابتداء من الدهشة الى الانزعاج ... الى العداء الحقيقي . وقد خبرت ذلك بنفسي أثناء لقاء لي مع مسئول مصري على مستوى رفيع ، عندما سألني اذا كنت قد فهمت « نظريته الثالثة » بما أني أعد كتابا عنه . وقال أنه من جانبه لم يفقه شيئا من هذه النظرية . وذكرني ذلك المسئول المصري بشاب تقدميّ انجليزي قابل القذافي طوال ثلاث ساعات ثم جاء ليقول لي : « إنه إنسان رائع . ولكن .. لماذا يكثر الحديث عن الله ؟ »

فاذا كانت معتقدات القذافي الدينية تثير دهشة شاب غربي ماركسي فذلك أمر طبيعي مفهوم . ومفهوم أيضا أن تثير ارتباك القيادات العربية التي أدركت أن القذافي يقوم بثورة اسلامية من خلال الاسلام . ويرمي ايضا الى تثوير نظام الحكم في بلده وعلاقات هذا البلد والامة العربية بأسرها ، مع بقية دول العالم .

على أن حكام الدول العربية – في المغرب وفي المشرق – كانت لهم مواقف متنوعة من الدين الاسلامي . فلو بقينا في إطار العصر الحالي لوجدنا أن الكثير من المبادئ الاسلامية تطبق بنوع خاص في القانون الجزائي والأحوال الشخصية في بلدان كالمملكة العربية السعودية واليمن مثلا .

ففي العربية السعودية بقي الاسلام تقليديا . والملك فيصل ، رغم كونه الزعيم الروحي الدنيوي لشعبه ، الا أنه لا يعتد بصفته الأولى ويحكم بلاده كأي رئيس دولة عصري . وفي مصر رغم أن الدستور يكرس الاسلام دين الدولة ويذكر أن الشريعة الاسلامية هي المصدر الاساسي للقوانين ، الا أن الشريعة لم تحتل مركزا أساسيا في قوانين البلاد . والجدير بالذكر أن هذا الاتجاه قد تراجع

في ظل دستور الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ ، والذي لم يذكر أن دين الدولة هو الاسلام . وحاول عبد الناصر فيما بعد عدم ذكر الاسلام في الدستور المصري بعد الانفصال ولكنه لم يوفق . وكان عبد الناصر مختلفا تماما في هذا المجال عن القذافي ابنه الروحي . ويعود سبب ذلك الى روح التسامح السائدة في مصر بالنسبة للمسائل الدينية ، وأيضاً لوجود أقلية مسيحية تعيش بتفاهم ووفاق مع الأكثرية المسلمة . أما في سوريا فقد اتخذت المسألة الدينية اخيرا حجما غير منتظر . فالدستور الذي طرح على الاستفتاء الشعبي عام ١٩٧٣ لم يذكر أن الاسلام هو دين الدولة – وهذا منسجم مع مبادئ البعث الداعية الى فصل الدين عن الدولة – وقد اندلعت خلافات حادة اجتاحت البلاد كلها . وفي رأيي أن أحد الأسباب التي تمنع سوريا من الدخول في الوحدة المصرية – الليبية ، هو هذا الطابع العلماني للحكم القائم فيها . أما لبنان فقد حلت المشاكل الكثيرة الناتجة عن تعدد الطوائف بميثاق وطني معقد . لكنه رغم مظهره الضعيف يتغلب – ذلك التوازن الغريب – على الازمات العنيفة التي تجتاح البلاد أحيانا . وفي العراق ينقسم الاسلام بين الشيعة والسنة وهو بالتالي لا يلعب دورا بارزا لا في التشريع ولا في أسلوب الحكم .. وفي شمالي افريقيا نجد الاسلام الأصيل في الجزائر كما في المغرب ، مع اختلاف طفيف . حيث الملك هو الزعيم الروحي والدنيوي معا . وفي هذين البلدين تشعر بتأثير الاسلام في الحياة اليومية أكثر منه في أساليب الحكم . (رغم أن الملك الحسن الثاني قد هدد بعد الهجوم على طائرته ، بتطبيق القصاص الجماعي الذي يقره المذهب المالكي .) اما الرئيس بورقيبة فيطرح نفسه اصلاحيا . ويحاول فصل الدين عن الدولة فيسمح لبعض فئات العمال بالافطار في شهر رمضان (وحجته أن قانون الدولة أهم من التعاليم القرآنية) كما ويحاول الحد من تأثير المبادئ الاسلامية في مجال الطلاق وتعدد الزوجات . لكن واحدا من هؤلاء الزعماء والحكام ، أيا كان موقفه من الاسلام بالنسبة لسياسة بلاده الداخلية ، لم يحاول مرة واحدة أن يعيد النظر في ذاتية الفكر الاسلامي ، ولا فكر في الاسلام كرسالة يقدمها للبشرية جمعاء ليخلصها من التناقضات التي أغرقتها فيها النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، في القرن العشرين .

يقول القذافي « ان العالم يسير على غير هدى ولا يمكن أن نحمله تبعة الخطأ ... ولن يستطيع التغلب على ذلك الا إذا عثر على القيم الاخلاقية والدينية التي فقدها » . وعند هذه النقطة يلتقي إيمان القذافي بحلمه : إنه يعتقد أن العرب يستطيعون مرة أخرى أن يكونوا منبع الحقيقة والتجدد الروحي بالنسبة للبشرية كلها .

لكن عليهم أولا أن يستعيدوا هم أنفسهم الصفاء الاصيل للدعوة القرآنية ، وعندئذ يتمكنون من التبشير بها في العالم الخارجي .

وواضح ما في هذا الطموح من « رؤيا » ، ولذلك فان كلمة « الالهام » تتردد كثيرا في المقالات التي تتناول الرئيس الليبي . لكن المسألة في رأيي لم يتناولها احد حتى الآن ، في كل ابعادها . فهو يذهب الى أبعد من نشر تعاليم الاسلام « المجددة » في العالم . والجدير بالملاحظة في التزام القذافي الديني هو ذلك الوجه الثوري لمعتقداته لو قورنت مع معتقدات المسلمين أنفسهم (بكل ما قد ينتج عن ذلك من مواجهة بين القذافي وباقي الزعماء المسلمين ، وأيضا بينه وبين علماء الازهر والمراكز الاسلامية الاخرى) . ومن جهة ثانية يبرز الوجه المتسامح والجامع لنشاطه في سبيل التقرب من الديانات الاخرى . فمن خلال التفسير « الالهي » للقرآن يبحث القذافي ليس عن سلام قائم بين مختلف الديانات (أهل الكتاب) بل يبحث عن توحيد الالتزام الديني وهو يقول في هذا الصدد : « ما المانع في أن نصلي سواء في معبد يهودي أو في كنيسة أو في مسجد » . ما ينتج عن هذا التفسير الذي يجمع العالم المسيحي والعالم اليهودي ، وما ينتج عنه بشكل خاص فيما يتعلق بالتنظيم الاساسي للديانتين – سواء كان الفاتيكان ام الحاخمية – هو بلا شك بالغ الخطورة . والقذافي يعرض نفسه لخطر حقيقي ، يعيه تمام الوعي . وأخيرا مهما كان موقفنا من نظريته فان شيئا أكيدا يبرز للعيان بوضوح ، حين نجد أنفسنا أمام إنسان ، هو زعيم سياسي في بلد عربي وهو في الوقت ذاته ، وربما هو في الأساس متصوف لاينفك يبحث عن إلهام سماوي . متصوف يرى مستقبل شعبه ، ولا أقول مستقبل رسالته كزعيم لهذا الشعب ، كما كان النبي محمد يرى مستقبل أوائل المؤمنين بالاسلام في مكة . ولا شك

في أن القذافي يتأمل كثيرا في هذه الآيات التي جاءت كمقدمة لاحدى كتيبات وزارة الاعلام :

« يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير. إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيدّه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

أنه من الظلم في رأيي ، أيا تكن نظرتنا الى موقف كهذا في القرن العشرين ، أن نتجاهل الشجاعة التي برهن عليها القذافي حين أعلن عن معتقداته وتطلعاته .. فلأول مرة أعلن القذافي على الصعيد الدولي ، في خطاب ألقاه في القاهرة في ٨ فبراير ١٩٧٣ ، عن تفسيره الجديد للقرآن كمقدمة لا بد منها لتطبيق صحيح للمبادئ الاسلامية في الدول ، ولبناء نظام أخلاقي اجتماعي إقتصادي سياسي دولي يقف في وجه الأنظمة القائمة . لكنه منذ تسلمه زمام الحكم لم يكف عن الدعوة الى العودة إلى فكر الاسلام الحقيقي الخالد ، وضرورة نشر رسالة القرآن في مختلف أنحاء العالم . ودعا ، وهذا لم يحدث من قبل في تاريخ الاسلام كله ، الى ترجمة القرآن الى كل اللغات بحيث يتمكن غير المسلمين من قراءته [1] .

---

(١) واذا كان للغة العربية الفضل لان الاسلام نزل بها فليس معنى هذا ان نقعد الاسلام ونقصره على هذه اللغة فقط . في تصوري انه من التعصب بمكان ان لا نترجم القرآن الى لغة اخرى غير اللغة العربية اولا نفسره الا باللغة العربية ، قد يكون هذا من العيوب التي جعلت الاسلام ينحصر وتكون دعوته مقصورة وغير مفهومة للاخرين الآن لنا ان نترجم القرآن الى كل اللغات وليس في هذا حرام وقد تكون فلسفة نزول القرآن باللغة العربية لانه نزل على نبي عربي وعلى امة عربية ، وهذه الامة لا بد بعد ان تفهمه وتسلم به تضطلع بمسئولية حمل هذه الرسالة الى كافة العالم .. »

« في افتتاح اول مؤتمر للدعوة الاسلامية بمدينة طرابلس ١٢ ديسمبر عام ١٩٧٠ م . »



لقد اخترت هذا المثل من بين عشرات الامثلة الأخرى ، لانه يبرز فكر القذافي المجدد بالنسبة للاسلام التقليدي . وفي رأيي أن هذا الموقف الحاسم الذي اتخذه واحتفظ به فوق أي مساومة طوال أكثر من عامين ، هو الأساس في عمل القذافي . وان أية قضية أخرى حتى الوحدة مع مصر التي طالما تمناها والتي تعرضت للتعثر – بسبب المسألة الدينية – لن تجعله يحيد عن الهدف الذي حدده لنفسه .

والمقاطع التي سأوردها فيما يلي من حوار للقذافي في القاهرة تعطي القارئ فكرة واضحة عن مفهوم القذافي للفكر الاسلامي نفسه ، وعن موقفه من الديانتين السماويتين (اليهودية والمسيحية) .

« وانا سآتي بتفسير قد يكون غريبا لكثير من المسلمين في هذا العصر ، وهذا التفسير ليس بتأويل ، ولا هو من دماغي أبدا ، هو من القرآن .. في القرآن موجود هذا الكلام .. وسط القرآن سنأخذ هذا الكلام وستتبين من التفسير الالهي للاسلام ما معنى الاسلام . أنا أعتقد أن التفسير بالفعل غريب على المسلمين حتى كأنه غير موجود عندهم لأنهم في غفلة عنه .. أو على الاقل .. نحن في الجمهورية العربية الليبية .. أو مجلس قيادة الثورة نظرته للاسلام الذي يرفع لواءه الآن ويقاتل في سبيله حتى في الفلبين وحتى في أمريكا ، هذا المجلس يؤمن بالاسلام بالطريقة الآتية والمأخوذة من القرآن ... الاسلام في التصور الالهي وليس التصور الانساني . أنا كانسان لي دين فيمكن ننظر الى ديني بطريقة أخرى ، أو لغرض أو عوامل أخرى تجعلني أفسره تفسيرا معينا . وهذا على وجه التحديد هو التصور الانساني للدين . ولذلك قررنا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية اتباع التصور الالهي للاسلام كما ينبثق من القرآن الكريم .

« ... أنتم تفتكروا أن المسلمين هم أتباع سيدنا محمد ، وهذا طبقا للقرآن غير صحيح فسوف نأتي لكم بآيات من القرآن الكريم تبين الاسلام ليس كذلك ، وأن المسلمين ليسوا أتباع سيدنا محمد فقط . نعود لله سبحانه وتعالى لنرى ماذا يقول عن المسلمين ومن هم المسلمين من بداية الرسالات التي نعرفها في القرآن....

طبعا لا هي تأويل ولا تفسير ولا فلسفة ولا هي حاجة اخرى ، هي آيات من

القرآن .. وبمعنى آخر أن كل الذين آمنوا بإله واحد كانوا مسلمين بالفعل حتى قبل مجيء النبي محمد ... ومن المسلم به أيضا أن كل اتباع التوحيد الذين يعبدون ربا واحدا هم مسلمون ما أن سلموا لله القوي القدير. ذلك هو بلا أدنى شك المفهوم الالهي للاسلام. وقد ذكر القرآن في هذا الصدد: « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون». واضح أن الكلام عن الاسلام في القرآن ينطبق على كل رسالات التوحيد (بمعناها الاشتقاقي) .. ولما تكون مسلم معناها كل الانبياء هؤلاء تؤمن بهم وتعبد الها واحدا ولا تفرق بين عيسى وبين محمد وبين ابراهيم وبين نوح .. هذا هو التوحيد.

لان الله لا يمكن أن يكون أقرب إلى العرب منه إلى الاسرائيليين، فلا تنخدعوا بأن الله ليس رب الاسرائيليين فهو رب العالمين وان الله لا يمكن أن يكون رب المسيحيين وليس هو رب اليهود ... والله لا ينظر اليكم بنظرتكم أنتم بل ينظر للعباد كلهم في صف واحد، امامه. هذا هو التصور الالهي للاسلام، أولئك الذين قالوا آمنا بكل هؤلاء الرسل، ويقول الله سبحانه وتعالى: « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق».

اذا كان هؤلاء الناس (اليهود والمسيحيين) لم يعرفوا المعنى الالهي للاسلام الذي يشمل رسالاتهم وما أنت الا نبي من ضمن الانبياء وأنت خاتمهم، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به - والذين أسلموا لله في عهد سيدنا محمد هم الذين امنوا بكل الرسل وعرفوا الاسلام بهذه الكيفية - فقد اهتدوا (وكتبت لهم الحياة الاخرة).

من أجل هذا نحن لا بد أن ننبه المسيحيين واليهود فنرى في هذه الآية قاعدة وصفت فيها كل الأنبياء وفيها اله واحد، وكل من آمن بهؤلاء الرسل وأسلم لله فهو مسلم ومهتد. اذا كان فيه واحد مسيحي في هذا العصر يخالف القاعدة التي تقول « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا» - وليس الايمان بمحمد فقط والكفر ببقية الانبياء، لا، لا بد أن تؤمن بالله وبكل الانبياء وبكل الكتب

السماوية – اذا آمنوا بهذه الكيفية اهتدوا ، وان لم يؤمنوا فهم في شقاق اذا كان فيه مسيحي في هذا العصر عنده شك في الشرط الأول ، كفر به ، أو ليس مؤمنا به ، فهو هنا في شقاق .. فيه خطأ في عقيدته ، فيه خطأ لا بد أن يبادر باصلاحه حتى يكون من المؤمنين فعلا .

هذه الايات التي وردت هنا ، كلها وردت في فترة يبدو فيها جدل عنيف بين سيدنا محمد ومن آمن به ، وبين أهل الرسالات من النصارى واليهود الذين وجدوا صعوبة في الايمان برسالة محمد نتيجة أن لهم دين ولهم كتاب . ومثل هذا الموقف تماما لانه مترتب على ارتباط اي كائن بشري بمعتنقاته الخاصة . ومع ذلك هناك مسيحيون ويهود اعترفوا بأن الاسلام هو التطور المنطقي والطبيعي لما أنزله الله من قبل . ولم يقبل هؤلاء الاسلام فحسب بل أعلنوا أنهم كانوا دائما مسلمين .

والدين الاسلامي كما أنزل على النبي محمد ينطوي على طابع مميز يبدو أن المسلمين لم يأخذوه بعين الاعتبار بقدر كاف . وهذا الطابع هو أن الاسلام يشكل جوهر الدين نفسه وأنه بعبارة أخرى مصدره الوحيد .

والتصور الالهي للاسلام يحدد أنه أول رسول دعا الناس الى الاسلام وكل الرسل كرروا هذه الدعوة . والنبي محمد هو خاتم الانبياء ولن يأتي أحد بعده فلقد اختتم سلسلة الرسل . والخلاصة المنطقية التي تستخلص من ذلك هي أن الاسلام يجب أن يحل ويشمل كل تعاليم الرسل . فمن يؤمنون بالنبي محمد يجب أن يؤمنوا بالضرورة بكل الانبياء والرسل . ويجب أن يظلوا متحدين . وأي تفسير آخر هو كفر بالله .. ولذا يجب التخلي عن أي تمييز بين الذين يؤمنون بمحمد أو عيسى أو أي رسول آخر . ومعيار الايمان هو الاسلام في مفهومه الالهي وهناك آية تؤكد أن الاسلام يتوجه الى كل البشر : « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » .

عندما نراجع مفاهيمنا عن الاسلام ونضعها في هذا الاطار يكون في قدرتنا حل أية مشكلة وبخاصة المصاعب التي تثيرها الخلافات الدينية . اذا جئنا نحن

لمصر – على سبيل المثال – وفهمنا التصور الالهي للاسلام لن يكون هناك مجال للقول هذا مسيحي وهذا مسلم ، ونعمل لهم قانون أوغيره . هذه نظرة لا تستدعي حتى قانون ولا حاجة .. نأتي للكتاب ، ونفتحه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا » أنظر ماذا يقول القرآن ، يعرف أنه يحدث خصام مثل هذا ، وحصل فعلا . أنا مسيحي لا أنا مسلم ، لا أنا لا أتبعك أنت تتبعني ، لا أؤمن بك ، لا بد أن تؤمن بي ! . لا ... هذا هو الاسلام يشملكم كلكم ، وبعدين لا قانون ولا سجن ولا ضرب ولا فتنة ولا حرب أهلية .. « كلمة سواء بيننا وبينكم » معناها أن نأتي للآيات ... تعالوا نتناقش ما هي المسيحية ؟ وما هو الاسلام ؟ أين التناقض ، هل موجود تناقض ، أو غير موجود ، ومن المخطئ في موقفه الديني حتى نصححه ، هل قال الكتاب تعالوا الى السيف ؟ لا ، قال : « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » أول حاجة نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا . وهذا قاسم مشترك لكي تحل كل المشاكل الاخرى البسيطة . ان ذلك الموقف هو الذي يحل الخلافات المترتبة على فهم خاطئ للدين . اذا ما أخذتم بالتصور الالهي للدين لن يفكر أحد فيكم في اللجوء إلى العنف لحل خلافاته فسواء الاسلام أو المسيحية فان كليهما ينبذان العنف) .

وما من شك في أن التفسير الذي ساقه القذافي باسمه وباسم رفاقه الاحد عشر أعضاء مجلس قيادة الثورة ، لا بد وأن يثير ضجة واسعة داخل العالم الاسلامي أو خارجه . والقذافي يدرك ذلك وهو مستعد للمواجهة . ومهما كان الثمن فان عليه أن يُنجح هذا التصور ليس فقط لأنه مقتنع تماما بصحته ولكن لأن كل مفاهيمه الاخرى – سواء ما يتعلق بالوحدة العربية أو الثورة الشعبية في ليبيا – مرهونة به بطريقة أو بأخرى .

وفي حوار القاهرة في ٩ يوليو عام ١٩٧٣ حيث كان القذافي يحاول اقناع مختلف قطاعات الرأي العام المصري بضرورة الدمج الفوري بين البلدين ، كما أثار بعض الوجد بالنسبة للمسألة الدينية في بلد يوجد بها أقلية من الأقباط قوامها ما بين خمسة أو ستة ملايين نسمة ، لم يتحول العقيد في أية لحظة عن موقفه :

« ان الافكار التي سقتها عن الاسلام قد أثارت تفسيرات خاطئة وأثارت المخاوف في صفوف المسيحيين في مصر على اساس نوع من الخلط في النظر الى المسلمين على أنهم اتباع محمد . ان هذا خطأ صارخ ... عاودوا قراءة القرآن ستكتشفون أن المسيحيين كانوا مسلمين بالفعل – وبالمعنى الحقيقي للطاعة – قبل مجيء النبي ... والاديان الثلاثة المنزلة هي أديان اسلامية بنفس المنطق . وأن ما حدث هو أن أحدهما سمي بالمسيحية والاخر باليهودية ، ولكن في الحقيقة أن كل هذه التسميات المختلفة هي تسمية لدين واحد هو الدين الاسلامي ، الدين الاصلي ، لان المسلم هو الذي « يخضع لارادة الله » هو الذي يعبد الله سواء في الكنيسة أو في المسجد ! »

ولكي يدخل أفكاره الى هذا الجمع الخاص الى حد ما أضاف قائلا :

« خلال زيارة لي إلى القاهرة زرت مدينة الفسطاط القديمة بالقرب من القاهرة ولقد دهشت أيما دهشة من أن المآذن التي بناها عمرو بن العاص في فجر الاسلام تشبه الأجراس . فحتى الهلال شعار الاسلام مقفول ويذكرنا ذلك بالهالات (التي تحيط برؤوس القديسين) التي نراها في الكنائس . ومن جانبي أعتقد أنه في ذلك العصر لم يكن الاسلام يشعر بأي حرج من التقرب أو التشبه بها وأنه بالنسبة للمسلم في ذلك الأوان لم تكن الكنيسة او المسجد الا بيت الله ... أما الآن فلقد تغير كل شيء . فالمسجد والكنيسة أصبحا شبه متنافسين وهذا يسيء الينا نحن المسلمون فلم يحدث في أية لحظة أو على الاقل في البداية أن كان لنا مثل هذا الموقف حيال الكنيسة . وللاسف تدهورت الاشياء بمرور الزمن .. من جانب بعد الحروب الصليبية وفي عصور أحدث نتيجة انبثاق الحركة الصهيونية . كما أن أحداثا أخرى أسهمت بدورها – وان كانت بدرجة اقل – في خلق وضع يسيء سواء للاسلام أو المسيحية بل يسيء عموما للدين ... أفلا تعرفون أنه في وقت ما في التاريخ وبصرف النظر عن أن المساجد كانت تبني بصورة مماثلة للكنائس أن المسلمين كانوا يدعون إلى الصلاة بدق الاجراس؟ انه في وقت متأخر عن ذلك بدأ المؤذن هو الذي يحتل الصدارة في الدعوة الى الصلاة . ألا

يعني كل ذلك أنه لم يكن هناك أي حرج بين الكنيسة وبين المسجد. بل على العكس كانت هناك صلة مؤكدة بينهما؟ هذا هو تصورنا عن الاسلام. واننا نحاول أن نطور كل شيء لأننا نريد أن نكون «ثوارا» بالمعنى الحقيقي للكلمة. ولهذا السبب نسعى جاهدين لمراجعة مفاهيمنا في جميع المجالات».

وكما يتضح نرى أن القذافي يعبر بطريقة بسيطة شبه قاطعة معتمدا على قوة ايمانه لكي يُغلّب وجهة نظره على وجهات النظر الاخرى. وليس هناك ما هو أغرب، بالنسبة لمسار فكرة، من تلك الاصطلاحات[1] التي لا تقرها اللغة العربية رغم ثرائها وتنوع التعبيرات المميزة للفروق في مجال الاصطلاحات الفلسفية والاجتماعية. ويرى القذافي كذلك أنه ليس من شأنه وضع صياغة دقيقة لعقيدته (ايديولوجيته) فذلك مهمة المفكرين والعلماء حسبما قال وكرر في مناسبات عديدة. لكن على حد معرفتي لم يكرس أحد بعد في ليبيا نفسه لهذا العمل لاسباب ليس من شأني الحكم عليها وان كنت اشك بشدة في ان يكون هناك شبه خوف بالاضافة إلى الصعوبة الحقيقية في فك التشابك حيث الدين يختلط مع تنوع كبير من المسائل.

ويتضح هذا بنوع خاص في إخراج «النظرية الثالثة». ذلك أن القذافي اذا كان منظّرا روحيا قديرا في كل ماله علاقة بالدين.. واذا كانت حجته المبنية على تفسير النصوص المقدسة متينة من حيث الشكل والمضمون... إلا أن نظرياته الطبيعية المتعلقة بالدين بشكل أو بآخر، تتناول مجالات متنوعة ابتداء من الشعور القومي وانتهاء بالسياسة الخارجية، ومرورا بالاصلاح الاخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والاداري، الذي يطمح إلى تطبيقه في ليبيا، ثم

---

(١) مثلا اصطلاح «استعمار وامبريالية» يحددان في العربية بكلمة واحدة هي «الاستعمار» رغم انه جرت محاولة لادخال كلمة امبريالية لتمييز الثانية عن الأولى وعلى العكس نجد ان اصطلاحا واحدا يعبر عنه بعدة صيغ: قومية (ناشيوناليزم) تختلط دائما مع كلمة وطنية التي تعني (باترويونيزم) واصل القومية قوم (الى الامة) وامة تعني (جماعة المسلمين).

إلى طرحه كنموذج على العالم كله . وهنا أيضا يصر على أن اخراج دوافعه وما يدركه بحدسه ، بشكل منهجي ، هو عمل الخبراء . بل ويدعو إلى مناقشة ذلك على كل المستويات ، تبعا لايمانه بمبدأ الشورى الجماعية . ويبقى أن عناصر « النظرية الثالثة » كما نستخرجها من خطبه ، هي في حالتها الحاضرة غير واضحة ولا كافية . وأكرر ثانية أن « شفافية » اللغة العربية أو عدم دقتها ، يسيئ الى بناء عقيدة تحتاج الى البناء المادي . حتى تسمية « النظرية الثالثة » ، التي جاءت بعد تسميتين مختلفتين كانتا « الطريق الثالث » ثم « القوة الثالثة » تبقى غير دقيقة في معناها . اذ يبدو لي أنها بالأحرى « نظام ثالث » يستهدف الحلول مكان النظامين القائمين في العالم . كما يبدو لي أن القذافي نفسه قد وعي ذلك ، لانه خلال النقاش الذي دار في مكاتب صحيفة « الاخبار » استعمل ، لأول مرة ، عبارة « نظام » وهذا ما قاله بالضبط :

« ... النظرية الثالثة » تنظيرا لتطبيقات اقتصادية وسياسية واجتماعية ويمكن أن نعتبرها المحتوى الفلسفي لقضية الوحدة (وحدة العالم العربي) ولقضية العالم الثالث .. أقصد أننا لم نأت بجديد عند طرح هذه النظرية ولكننا حاولنا تنظير ما طبق خاصة هنا في مصر فنحن الآن نحاول أن ننظر هذا التطبيق .... لان ما يطبق في مصر يطبق في ليبيا بعد الثورة . هناك تنظير في مصر ربما لم تتح له فرصة التطبيق فنحن نطبقه في الجمهورية العربية الليبية فالتطبيق والتنظير مكملان لبعضهما بعضا معالم النظرية الثالثة .

وأعتقد أن الحاجة ملحة إلى ذلك ... اذا ما لم نفعل هذا يكون هناك فراغ باستمرار وخاصة وسط الذين عادة يتأثرون بالنظريات الجاهزة . وربما هذه هي الاسباب التي خلقت من بعض العرب شيوعيين أو من تلاميذ المدرسة الغربية .

« فالنظرية الثالثة جانبها الاقتصادي هو الاشتراكية ... نحن في النظرية نؤكد أن هناك « نظاما ثالثا » يختلف عن النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي فالنظرية الرأسمالية حلت المشكل الاقتصادي باطلاق الحرية للملكية الفردية الى ما لا نهاية ورأينا أن الرأسمالية تحولت الى طاحونة تطحن المجتمع الرأسمالي ، كذلك

الشيوعية اعتبرت نفسها حلت المشكل الاقتصادي بالغاء الملكية الخاصة نهائيا ورأينا أن المجتمع الشيوعي تحول فيه الفرد الى عجلة ... الى ترس في عجلة ... وأصبح الحزب الشيوعي يملك السلطة ويملك الثروة مثل الطبقة الرأسمالية في المجتمع الرأسمالي . نحن نأتي بحل اقتصادي جديد وهو الاشتراكية كما طبقت في مصر... نحن لا نعطل ارادة الفرد ... الاشتراكية هي التي تتيح الفرصة لارادة الانسان أن تكون خلاقة باستمرار وتكون متواجدة باستمرار. كل مشكلات المجتمع . اشتراكيتنا تسمح بنزع الملكية أحيانا وتسمح بالتأميم أحيانا أخرى وتسمح بوضع قيود على الملكية في حالة ثالثة ... هذا يجعل المجتمع باستمرار يكيف نفسه في كل مرحلة . يعني المشكل الاقتصادي خاضع للظروف التي يمر بها المجتمع ويمر بها العالم وتطور الادوات التي في يد الانسان . ونحن إذا كنا لا نؤكد اننا نهدف الى اشتراكية اسلامية أو اشتراكية عربية [1] فذلك لأن الاشتراكية عالمية الجوهر ويمكن أن تطبق في أي بلد وفي أي مجتمع أيا كانت ديانته . كذلك لا نقبل مغالطة باسم المعسكر الاشتراكي بقيادة دولة كبرى كروسيا ...... نحن لا ننضوي تحت لواء احد . عندما أقول دولة اشتراكية أقصد بها الدولة التي تطبق الاشتراكية ولا أقصد بها الشيوعية ... لأن هنا فيه مغالطة كبيرة فالقول « عالم المعسكر الاشتراكي » . قول غير صحيح فالدول التي حول الاتحاد السوفيتي ليست دول اشتراكية وانما هي دول شيوعية . هذا معسكر شيوعي . ونحن لا نقبل أيضا أن نكون جزءا من العالم المسمى بالعالم الحر بقيادة امريكا لان هذا عالم مستبد أصبحت فيه كلمة « حرية » كلمة جوفاء خالية من أي معنى .

ان مجرد قبول ادخال أية دولة كبرى في عالمنا يعني أننا فقدنا شخصيتنا ولم نعد من الدول المحايدة ايجابيا . ان نظريتنا الثالثة في جانبها السياسي ارتكزت على عدم الانحياز والتعايش السلمي ..... »

---

(١) من الملاحظ ان جميع المطبوعات الرسمية الليبية الخاصة « بالنظرية الثالثة » والاشتراكية التي تسعى لبنائها تشير بلا استثناء الى انتمائها الاسلامي . ولقد اكد القذافي هذه النقطة في مناسبات عديدة .

وهكذا تتبين لنا صعوبة تجميع العناصر اللازمة لتوضيح « النظرية الثالثة » . ولا شك اننا امام شكل من اشكال الاشتراكية مستوحى من التعاليم الاسلامية باستثناء مبدأ الاعتراف بالملكية الخاصة ، التي تخضع لتدخل الدولة حين تتجه الى استغلال الانسان وباستثناء نزع الملكية الخاصة للصالح العام الذي يتحدث عنه القذافي ، تبقى بقية معالم النظرية خفية بين الآيات القرآنية ، ولم يتصد أحد حتى الآن لاستخراجها وتنظيمها بشكل منهجي .

اما الواضح تماما فهي التأملات التي أوحت للقذافي بفكرة تلك « النظرية الثالثة » تلك التأملات التي أوجزها لي مؤرخ ليبي مستعملا جدلية هيجل (مما لا يخلو من الاثارة ومما سيغضب بلا شك رئيس الدولة الليبية .) وأسجل هنا بكل تحفظ الاخراج المهني للنظرية الذي يمكن وصفه بالوضوح :

« النظرية الثالثة » المبنية على تعاليم الدين الاسلامي تحاول تأمين التوازن والسعادة للفرد داخل المجتمع ، وذلك باحترام الطبيعة الانسانية . اطلقت عليها تسمية « النظرية الثالثة » لوجود نظريتين قائمتين – الرأسمالية والشيوعية – تدعى كل منهما الهدف نفسه أي سعادة الفرد داخل المجتمع . وباختصار يعود فشل هاتين النظريتين (أو العقيدتين أو النظامين) الى كون الشيوعية تنظر الى المجتمع ككل ، والى الفرد كذرة لا قيمة لها من هذا الكل ، اما الرأسمالية فانها تنظر الى المجتمع كفرد يضاف اليه الفرد ، يضاف اليه فرد الخ ... فلا هذه ولا تلك ، تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الانسانية ذاتها ، التي تؤلف المقياس الذي تستوحيه « النظرية الثالثة » وكذلك مبادئ الدين الاسلامي التي انبثقت عنها هذه النظرية .

وفيما يلي الاخراج الجدلي « للنظرية الثالثة » :

١ – الطرح : انسان يعيش في ظل النظام الشيوعي ، وما أن يتعلق الموضوع بمصالحه الخاصة حتى يعيد اكتشاف هويته الذاتية فيجرب أن يحتال على القوانين التي تسود المجتمع كوحدة . (مثال على ذلك : السوق السوداء للعملات الأجنبية في دول أوروبا الشرقية) .

٢ – الطرح المقابل : انسان يعيش في ظل النظام الرأسمالي ، حالما تتهدد مصالحه الخاصة ، يكتشف في نفسه وعيا جماعيا ، ويحاول هو الآخر أن يحتال على القوانين التي ترمي الانسان وحيدا في خضم المجتمع وتتركه يشق طريقه منعزلا .

(مثال على ذلك : النضال الذي خاضه الاميركيون مطالبين الدولة بحق العلاج الطبي المجاني) .

٣ – التحليل والاستنتاج : كل انسان يحمل في ذاته وبحكم طبيعته الانسانية ميولا فردية وميولا جماعية . ولا يوجد الحل إلا في احترام هذا التناقض الانساني وفي الحد من جموحه . وعلى هذا المبدأ بالذات ، تستند « النظرية الثالثة » المستوحاة من التعاليم الاسلامية . تلك التعاليم التي تحترم طبيعة الانسان فتسمح له بالنمو والتطور كفرد ، على صعيدي المادة والروح ، ولكنها تأمره في الوقت ذاته بالامتناع عن احداث الضرر للمجتمع الذي ينتمي إليه ، وتنهيه عن الأذى . وهكذا يوضع حد لأنانية الفرد من جهة ، والحد من تسلط المجتمع من جهة ثانية وحسب تعاليم الاسلام وطرح النظرية الثالثة نتوصل الى توازن الانسان وسعادته داخل مجتمع اخوى . »

وحتى لو تقبلنا الحجج التي تدافع عن « نظام ثالث » ، وحتى لو تمنينا هذا النظام ، بسبب تفاهة وسوء النظامين الآخرين ، الا أن النظام الثالث ما يزال في حاجة الى اخراج منهجي . أنا شخصيا ، لا شك عندي في أن هذا العمل سيتم عاجلا أو آجلا فالقذافي يولي هذا الأمر اهتماما بالغا وقد أشرت في السابق ، إلى أن احدى اعزّ أمانيه هي قيام مجتمع نموذجي في قلب العالم العربي ، تسوده قوانين مبنية على تعاليم القرآن . ويعتقد أنه في هذا المجال أيضا ، يكمل ما بدأه عبد الناصر . ألم يعلن ذات مرة : « أعتقد أن عبد الناصر قد أرسي قواعد هذه النظرية للعالم الثالث بأسره وأن الظروف (وفاته) وحدها هي التي حالت دون أن يكشف فكره في هذا الموضوع » . على أن تطلعات القذافي هذه ، التي يشاركه فيها رفاقه في مجلس قيادة الثورة ومعاونوه المقربون ، ليست واضحة تماما ، في رأيي ،

لجميع الليبيين وللمسؤولين العرب بشكل عام . حتى المراقب الخبير ، للقضايا العربية محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير الاهرام سابقا ، والذي تربطه بالرئيس الليبي روابط الصداقة والثقة ، أعلن أخيرا ما يلي :

« انني أقف حائرا أمام « النظرية الثالثة » باعتباري فردا عاش تجربة الثورة الناصرية فهذه النظرية تذكرني بما كان يقوله عبد الناصر لبعض صحبه : لا تخترعوا الكهرباء فلقد اخترعوها قبلكم ....

فالمطلوب منا أن نعرف كيف نستخدمها وليس أن نخترعها مرة اخرى .... « فالنظرية الثالثة » – مع افتراض أن هذا التعبير صحيح – توجد بالفعل . فلقد ذكرت (في الميثاق الوطني المصري عام ١٩٦٢) واذا كانت لم تفهم جيدا أو شرحت شرحا سيئا فليست النظرية هي المسئولة عن ذلك » .

وهذا يبرهن على مدى سوء الفهم وسوء التقدير الذي يصيب نقطة أساسية في برنامج القذافي ، لافتقار هذا البرنامج الى طرح واضح متكامل . لكن الفكرة موجودة وكذلك إرادة التنفيذ . أما القذافي ، على ما أعرف ، فلن يخطر بباله على الاطلاق أن يتنصل أو يلقي تبعات التنفيذ على عاتق أحد سواه . لأنه يعتبره جزءا أساسيا من مهماته . بل وأنه يعتبر التنصل تهربا من الجهاد ، الذي يعني لكل ليبي ، تطبيق « النظرية الثالثة » المستوحاة من التعاليم السماوية في ليبيا ونشرها في الخارج . ثم انه بالنسبة لمثل هذا الرجل . قد يشكل سوء الفهم حثا على المزيد من العمل . وسوء الفهم متوقع ومقبول لديه سلفا . وقد تحدث القذافي عن عزلته أكثر من مرة . وان كان شبهها بعزلة النبي ، وربما ولد ذلك ابتسامة على الشفاه التي تتجاهل مدى تأثر ابن الصحراء – الحالم ببعث القيم الاسلامية – بمثال النبي العربي . ومن جهة اخرى اذا كانت النظرية لا تزال في حاجة الى طرح ، فهناك بوادر تسمح منذ الآن باستكشاف اتجاهاتها الاساسية . ويكفي أن نعيد قراءة بعض الخطب وبعض تصريحات القذافي لهذا أو ذاك من الصحفيين وبعض الملاحظات التي يبديها في نقاشاته الكثيرة ، حتى نستطيع أن نحيط عن كثب بالمبادئ التي يستوحيها :

« الاشتراكية كما نتصورها هي أن نشترك جميعا بانصاف في الانتاج والعمل وتوزيع الانتاج . واشتراكيتنا اشتراكية اسلامية نابعة من تراث هذا الشعب ومعتنقاته ومبادئه . فالعدالة التي يدعو لها الاسلام هي عدالة مطلقة تشمل كل الجوانب الممكنة سواء القانونية أو الاجتماعية أو الدولية أو تلك التي تتعلق بعلاقات الانسان مع ذاته .

واشتراكيتنا تلتزم بتحرير الفرد من أي شكل من أشكال الاستعباد أو الاستغلال ، وتهيئ ازدهار الملكات الخلاقة بالانسان مع احترام طبيعته ، وتتضمن اخيرا استخدام طاقاته في انتاج كل انواع الخبرات والخدمات داخل المجتمع الذي ينتمي اليه بحيث يصبح نشاطه نفسه نوع من العبادة . وبحيث لا يصبح نتاج عمله وقفا على فئة واحدة من الأفراد . تلك هي النقاط الاساسية لمنطلق اشتراكيتنا وهي ترتبط بالنقاط الاساسية للاسلام . في حين أن كلمة « اشتراكية » التي يرجع ظهورها في اللغات الاجنبية الى القرن التاسع عشر والتي اشتقت من كلمة « مجتمع » قد استخدمت في الغرب عن طريق تملك المجتمع لوسائل الانتاج ، فان نفس هذه الكلمة معناها في اللغة العربية المشاركة والترابط والعمل المشترك . ومعناها مشاركة جماعة أو امة وشعب في الثروات والخيرات وفي الواجبات والمسئوليات .

وبعبارة اخرى تشمل الاشتراكية جانبين : جانب العمل والانتاجية بهدف القدرة على الاكتفاء ذاتيا وزيادة الانتاج ثم الجانب الخاص بالتوزيع العادل للانتاج . ألم يقل النبي في أحد أحاديثه : « إعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » ، ويقول أيضا : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » .

ومن هنا يأتي الاهتمام الذي يوليه الاسلام بالعامل . والعدالة الاجتماعية هي حجر الزاوية الحقيقي لاشتراكيتنا حيث لن تستطيع أي فئة أن تسيطر على الأخرى وحيث لن يكون هناك أناس يتربعون على القمة في حين آخرون عاجزين في القاعدة . ولا فئات تملك دون أن تعمل في حين آخرون يعملون دون أن يملكوا شيئا . وما من شك أن هذا لن يؤدي إلى مساواة مطلقة ... فبساطة الأمة

يجب أن تتضمن أفراد وطبقات تتعاون وتتكامل وتترابط من أجل الرفاهية العامة (من خطاب ألقاه العقيد في صبراته في ابريل عام ١٩٧٢).

وأيضا :

« الاسلام يتحدث عن الاشتراكية وعن الرأسمالية المستغلة وهي مسجلة في آيات القرآن ..... الاسلام لا يدعو الى الفقر ولا يريد أن يكون الناس فقراء ولكنه لا يريد أن يكونوا مترفين ، أن يكونوا مستغلين فالاستغلال حاربه الاسلام قبل أن تحاربه كل النظريات الحديثة ......

الرأسمالية المستغلة كانت شرا في المجتمع الاسلامي . لأن الانسان يطغي بالمال « كلا إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى » . الانسان اذا رأى نفسه استغنى لا بد أن يطغي ...... اذاً المال كثرته فساد وقلته فساد . فالانسان الفقير جدا الذي لا يملك مالا بالمرة يخون ويمكن ينحرف . من أجل هذا يحارب الاسلام الرأسمالية المستغلة . ويحارب الفقر ويقيم مجتمع تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية.

ومن أجل هذا تكافح اشتراكيتنا للوصول إلى الحد من الرأسمالية المستغلة .. » (من الخطبة الثانية في عيد الفطر المبارك في نوفمبر عام ١٩٧٢).

وأيضا :

« والله الشيوعية ، نحن اجتزنا الشيوعية ، ونحن متقدمين أكثر . الشيوعية الآن اعتبروها مرحلة رجعية ... كتب لينين وماركس وأنجلز اعتبروها كتب صفراء ... كتب رجعية .. تجاوزها الزمن .. تجاوزتها النهضة والتقنية .... واحد يخرف في القرن التاسع عشر لم يكن يتصور ماذا سيحدث للعالم في عام ألفين .. كيف تأخذ أفكاره . هذه هي الرجعية والرجعية انك ترجع في أفكار قديمة لا تساير العصر الذي تعيشه ...

أي اشياء لا بد من إعادة النظر فيها خاصة إذا هي من أفكار الانسان ... الانسان أفكاره محدودة .. حاجاته متغيرة ومتجددة وتتأثر بالتقدم .

والله ان كان « اليسار » هو المعارضة للرجعية وللاستعمار أعتقد أننا قمة اليسار فلا يأتي واحد آخر يدعى اليسارية . اذا كان « اليسار » هو الاشتراكية والله أعتقد أن الاشتراكية تنبع من ديننا وتنبع من كتابنا (القرآن الكريم) ونحن أصحاب الاشتراكية والنبي امام الاشتراكيين (حوار مع طلبة كلية الحقوق ببنغازي في ٢٨/٤/١٩٧٣/)

ومن ناحية اخرى فان الثورة الشعبية التي اعلنت في ليبيا هي – كما يبدو لي – عامل يضاف الى « النظرية الثالثة » .

فعندما يؤكد القذافي أن : « الطريق المؤدي الى الزعامة لا بد أن يمر بازالة كل العناصر التي لا تشكل جزءا من الجماهير » (ندوة في كلية الاقتصاد والتجارة في ١٩٧٣/٥/٩) فاننا نحمل حملا على تبين انبثاق تدريجي لمعالم نمط مجتمع يمكن وصفه بانه مجتمع « تقدمي » في اطار يعتبر في الغرب مع ذلك اطارا متجمدا بشكل خاص ان لم يكن اطارا رجعيا .

وانه أمام هذا الاتهام ، الذي يوجه دائما الى القرآن باعتباره مصدر تعاليم جامدة وغير قادرة على التكيف مع مطالب العالم المعاصر ، يثور القذافي بكل احتداد وشدة . فلقد أكد في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الأول للدعوة الاسلامية في طرابلس ١٩٧١/١٢/١٢ أن « الاسلام » هو « رسالة الاستمرار بالثورة الدائمة .... وهو قادر على الازدهار والبقاء والتطور بتوافق تام مع تطور الحياة حتى ساعة القضاء ... » وهذا يؤدي الى ضرورة أن يواجه رئيس الدولة الليبي أوجه تردد وتحفظ في داخل العالم الاسلامي ومعركته ستكون معركة طويلة وصعبة نتائجها غير مؤكدة .

واذا ما انتصر فيها فان كثيرا من التحولات يمكن أن تحدث في المنطقة الامر الذي سوف يضر بالتوازن الدولي بأجمعه .

لأن القذافي الذي يستند الى الاسلام من أجل بناء الانسان العربي الجديد لا ينظر الى عمله داخل ليبيا الا على أنه مرحلة نحو بناء الوطن العربي بأسره . وحجرا الزاوية الآخران في هذا البنيان هما القومية والوحدة .

٣

القذافي والعالم العربي

القومية والوحدة العربية

محاولات ومرارة مع الدول العربية الاخرى

الوحدة مع مصر – النزاع العربي – الاسرائيلي

« لقد وصل كل من التجمع الشيوعي والرأسمالي الى مستوى متواز ومتكافئ من حيث التطور العلمي ، ومن المفترض أن يتركز صراعهما في المستقبل ، على الصعيد العقائدي أكثر منه على صعيد التنمية الاقتصادية والانتصارات التقنية . وسوف يكون العالم الثالث محور هذا الصراع ... وبكلام آخر ، ان المعركة القادمة ، ذات الطابع العقائدي ستندلع في افريقيا وآسيا . وستجد الأمة العربية نفسها وسط هذا الصراع ، لأن حدودها متداخلة في هاتين القارتين . وستلعب في هذا الصراع دورا تاريخيا ، لأنها صاحبة رسالة قادرة على تغيير معطياته الاساسية . وأقصد بالرسالة (رسالة القرآن الكريم) لكن ادخال هذا العنصر الروحي ، والنظام المنبثق عنه (أي النظرية الثالثة) في الصراع ، كبديل سلمي عن الاختيار الذي يحاول كل فريق أن يفرضه بالقوة ، يستدعي تغيير الامة العربية ، بحيث تتحول من مركز الصراع الى موضوع الصراع . لذلك يتعينّ عليها أن تصير هي نفسها قوة كبرى . ويخضع هذا التحول لثلاث شروط الزامية هي : وحدة الامة العربية ، وتبنيها للاشتراكية الاسلامية ومحو التخلف التقني الذي تشكو منه حاليا . والشرط الاخير هو الذي يفرض عليها تغييرا ثوريا سريعا ، لأن مرور الزمن

يزيد من تخلفها . ولا شيْ خارج نطاق الوحدة السياسية للعالم العربي كله ، يمكّن الشعوب العربية من تأدية المهمة الملقاه على عاتقها في القرن العشرين ، مهمة حماية صوت « الروح » المهدد بالاختناق إلى الأبد في الصراع القادم . وتجاه هذا الالتزام الخلقي وما فيه من أمجاد ومن مسؤوليات جسام ، لن يغفر التاريخ ولا الأجيال العربية في المستقبل ، للأنظمة التي تتقاعس عن العمل لتحقيق وحدة الأمة الكاملة . في الوحدة مصلحة كل من الدول العربية وهي طريق الخلاص لها مجتمعة والحكام المتقاعسون والانعزاليون الذين لا يفهمون – أو هم لا يريدون أن يفهموا – هذه الضرورة القصوى ، يخونون شعوبهم والأمة العربية بأسرها . أما الجماهير فهي لا تنخدع ، وهي التي سترغم حكامها على قبول الوحدة».

هذه باختصار حجة القذافي في موضوع الوحدة العربية . تجتمع فيها القومية والاسلام مع الجانب الدنيوي والروحي مع السياسة والألوهية وارادة القوة والمثل الصوفية ! .. مزيج غريب ، تكمن قوته وضعفه في تناقض عناصره ... لكن كم من ليبي وكم من حاكم عربي ، استطاع من خلال خطب وتصريحات القذافي أن يتبين الصلة المنطقية القائمة بين فكرة الوحدة العربية والثورة الشعبية الليبية والمساعدة الممنوحة لثوار ايرلندا ، « والنظرية الثالثة » ، وتطبيق الشريعة الاسلامية ، والمناورات مع شركات النفط ؟ . قد يتماسك هذا الخط فيما لو كانت العقيدة المطروحة معروفة ومقبولة لكن كيف يتم تقبل هذه العقيدة وهي ما تزال غير واضحة ؟ وبما أن الاسلام يشكل قاعدة هذه الوحدة . فكيف لا نخلط بين عروبة القذافي والوحدة الاسلامية التي يدعو اليها الاخوان المسلمون ؟

يجيب القذافي : « لقد بنى الاخوان المسلمون نظريتهم على أسس دينية . وأدخلوا عناصر غير عربية الى صفوفهم وصبوا جهودهم لكي يبرهنوا على كون القومية العربية حركة جاهلية (من عصر ما قبل الاسلام) وشعوبية ... وأي انسان يدعي ، كما يفعل الاخوان المسلمون ، أن الاسلام لم يأت على ذكر القومية ، فهو كاذب ... ولا يفرق بين القومية العربية والدعوة الاسلامية سوى المتعصبون ... لكن علينا أن لا نصدق من ناحية أخرى . أعداء الاسلام الذين يدعون أن العرب

يستغلون الاسلام ليتميزوا عن بقية البشر. هذا ادعاء مزيف ، فهم لا يطمحون الاّ الى نصرة الحق والعدالة . والأصحّ أن يعترف لهم بروح التضحية ... كان العرب في الماضي جند الايمان ... وعليهم أن يبقوا هكذا ، كما أن عليهم أن يتحدوا ليصبحوا أقوياء ، فحتى يومنا هذا ما يزال التاريخ خاضعا للدين بقدر خضوعه للقومية ...

– لكن عصرنا تخطى فكرة القومية بحد ذاتها . فهي توحي بميزات عدائية تسير في اتجاه مضاد لتيارات القرن العشرين ...

– لاحظي أن قوميتنا انسانية الجوهر . : وأنها ليست عدائية على الاطلاق بعكس ما كانت عليه القومية الالمانية على سبيل المثال . لسنا أبدا متعصبين ولكننا مقتنعون بأن زوال الشعور القومي والديني لن يساعد مطلقا على ايجاد أي حل للأزمات القائمة . واذا كنا نريد أن نتخلص نهائيا من الحروب ، فعلينا باحترام كل قومية ، وعلى كل دين أن يحترم الديانات الاخرى . ذلك أنهما ، أي القومية والدين ، السببان الرئيسيان لكل صراع ... وهل هناك دليل على صحة كلامي أفضل من الذي حدث أخيرا بين الهند والباكستان ، أو بين هذه الاخيرة وبنجلاديش ؟ ... لا شك في أن عناصر أخرى – ومنها العوامل الاقتصادية – قد لعبت دورا في هاتين المشكلتين ، لكن التفسير التاريخي الحقيقي لما حدث كامن في الدين وفي القومية . ولا أقصد هنا الدين الاسلامي بل على العكس . ذلك أن كل انسان ينتمي إلى قوم ويرتبط معهم بصلات الدم والوراثة قبل أن يكون مسلما أو بوذيا أو مسيحيا . والقومية هي نتيجة هذه الصلات . أما الدين فيأتي في المرحلة الثانية . بل ان الدين نفسه يظل عاجزا تجاه هذه الأسس التي يقوم عليها أي مجتمع ... وعليه فلا شيءَ يقوى على تفكيك الشعوب .

– سيدي الرئيس ، في تصورك للوحدة العربية وفي دعوتك المستمرة الى تحقيقها ، يمتزج الاسلام بالقومية العربية (القومية العربية لا الوحدة الاسلامية) لدرجة تجعل توزيع الادوار بين الاسلام والقومية ، أمرا في غاية الصعوبة . وأتمنى أن توضح هذه النقطة ، لأنها اساسية لعملية تقدير صحيحٍ لأعمالك ...

– القومية العربية مذكورة في القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » كما ورد في القرآن أيضا : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

هذا الامر الموجه إلى الأمة العربية يشكل في حد ذاته اعترافا بالكيان العربي وبالصلة القومية التي تجمع العرب ، الذين انتشرت الدعوة الاسلامية على أيديهم. وهناك آية أخرى بهذا المعنى تقول : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . اذن هي تلك الامة العربية التي يجب أن تنهض وتبشر بالدعوة الاسلامية – وليس سائر الذين اعتنقوا الاسلام فيما بعد – وبذلك تحمل الرسالة السامية ليس لشعبنا فحسب وانما لشعوب العالم الثالث ، والعالم بأسره . ومن هذه الزاوية تلتقي الدعوة الى القومية العربية بالدعوة الى قوة الاسلام . هذا واضح تماما على ما أظن ... وما يدهشني هو أنني لم أقرأ أو أسمع أي شيء عن هذا الموضوع ! وهذا ما هو مدون في القرآن ! ولم أخترع جديدا . وبامكان أي كان أن يقرأ الايات التي استشهدت بها[1]

– الان وقد توضحت لي فكرة القومية العربية كما تراها ، أود أن نعود الى مسألة الوحدة العربية وتصورك لها . فمن المعروف جيدا أن هذه الوحدة هي محور اهتمامك .. ولم تكد تمضي أيام قليلة على تسلمكم السلطة ، وعلى وجه التحديد في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦٩ ، حين أعلنت المبادئ الخمسة للحكم ، أتيت على ذكر « الوحدة العربية الشاملة » .. هل تسمح باعطائي فكرة عن الخطوط العريضة لهذه الوحدة ، بالنسبة الى مضمونها ووسائل تحقيقها ؟

---

(١) يبدو لي من المهم أن أبين في هذا السياق أن عبد الرحمن عزام مؤسس جامعة الدول العربية وأول أمين عام لها قد دعى رسميا الى ليبيا في يونيو عام ١٩٧٣ رغم أنه المستشار السياسي للملك فيصل (الذي يهاجمه القذافي دائما) ورغم أن رئيس الدولة الليبي لا يدخر وسعا في انتقاد المنظمة التي أنشأها .

ومن الصحيح أن عبد الرحمن عزام اشترك فيما مضى في الكفاح المسلح الليبي ضد الايطاليين بيد أن دعوته الى ليبيا – في رأيي – ترجع الى ان مؤسس جامعة الدول العربية هو مؤلف كتاب شهير عن الاسلام وعن الرسالة التي يجب أن ينشرها العرب واسم الكتاب على وجه التحديد « الرسالة الخالدة » .

– الأمة العربية تمثل مركز الثقل للاسلام في العالم .. ويمكن اعتبار الوحدة العربية كمرحلة أساسية لوحدة العالم الاسلامي . ولتحقيق الوحدة العربية هناك طرق ثلاثة ممكنة ، على المسؤولين العرب أن يفكروا فيها مليا ، ويمكن تحقيق الوحدة العربية باحدى هذه الطرق أو بطريقتين منها أو بالثلاثة معا . وأول هذه الطرق وقد سار فيها عبد الناصر ، هي الطريق الأمثل . وتقضي بتجميع الأنظمة الثورية التي تؤمن بالحرية والاشتراكية والوحدة . ومن الطبيعي أن تسير هذه الأنظمة في طريق الوحدة وتلتقي .. وبكلام آخر . كان لا بد من اندلاع ثورة وحدوية في كل بلد عربي يعارض الوحدة لتدفع بهذا البلد الى حيث يلتقي الدول العربية الثورية . وفي مرحلة ثانية يصبح لقاء الثورات ذات المبادىء الواحدة أمراً طبيعياً وتتحقق الوحدة بشكلها الأمثل . ويفترض هذا الأسلوب حدوث ثورات دون إراقة دماء ولا تصادمات ولا مواجهة حواجز مانعة ... واني لأتساءل عما إذا لم يكن من واجبنا أن نخرج عن هذا الشكل الأمثل ونبحث عن سبيل آخر ، فثورة ٢٣ يوليو (الثورة المصرية) مضى عليها عشرون سنة ولم نتوصل بعد الى تحقيق الوحدة . وأكثر من ذلك ، كانت التجربة الفردية للوحدة بين مصر وسوريا ، قد أخفقت ... أما السبيل الثاني فيمكن تسميته « بالتجمع المتنوع » . فاذا تعثرت المحاولة الاولى للوحدة ، فلنجرب أن نجمع البلاد العربية مع احتفاظ كل منها بنظامها القائم . وسينتج عن هذا التجميع مزيج من الممالك والجمهوريات والامارات وحكم الاقطاع والاشتراكيات ... وليس في استطاعة أحد أن يتنبأ بمستقبل مثل هذا التجمع الشاذ وقد تنجح وحدة من هذا النوع ... من يدري ... وتتخطى مشاكل كثيرة . ولكن لا يمكن تسميتها الا « تجميعا » لانها تضم جماعات متنافرة . وأما الطريق الثالث الى الوحدة العربية فهو « الفتح » وبتعبير آخر ، هو أن تقوم قوة مسلحة عربية وحدوية تحقق الوحدة بقوة السلاح في جميع الدول العربية ... وستكون هذه الطريق الثالثة أسرع الطرق ولكن لها مساوئ كثيرة ، وكان عبد الناصر قد استبعدها وضمن الميثاق الوطني قراره هذا . ومن ناحية أخرى ، لا أعتقد أن الظروف الحالية تسمح للقوات العربية الوحدوية بالقيام بمثل هذه المهمة ...

– سيدي الرئيس ، هناك حاليا في العالم العربي مشاريع وحدوية تجمع دولا إلى دول أخرى ... وأضرب مثلا باليمن . هل تقول لي رأيك في هذه المشاريع ؟

– الوحدة اليمنية هي وحدة جزئين [1] لبلد واحد ، كانا منفصلين ، بينما الوحدة التي نتحدث عنها هي وحدة قومية تشمل الامة العربية بأسرها . وانا بالطبع لست ضد المرور بمراحل عديدة لتحقيق الوحدة ، شرط أن تسير جميع هذه المراحل باتجاه الوحدة الشاملة .

– ذكرت في خطاب لك أمام الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي بتاريخ ٨ ابريل ١٩٧٢ ما يلي « أتصور الدور الذي يجب أن يلعبه بلدنا الصغير شبيها الى حد كبير بالدور الذي لعبته بروسيا في الوحدة الألمانية . وأرى أيضا أن هذه الجمهورية الفتية مدعوة للتمسك بكل ما يتعلق بالوحدة العربية والقيام بنفس الدور الذي قامت به « بيدمونت » في الوحدة الايطالية » . وأعترف لك بأن هذا التشبيه الأخير قد أثر في تأثيرا عميقا ، ربما لأنني من أصل ايطالي . وبما أن الظروف الجغرافية والسياسية هي جد مختلفة فأرجو أن توضح لي فكرتك .

---

(١) في نهاية شهر اكتوبر عام ١٩٧٢ ، وقع رئيسا وزراء اليمن الشمالية واليمن الجنوبية في القاهرة مشروع اتفاق يقضي بتوحيد البلدين . ولقد اثار هذا النبأ في ذلك الوقت اكثر من المفاجأة .. وحيرة حقيقة . ذلك ان الموقعين كانا حتى تلك اللحظة في حالة حرب ، وكان اكثر ما ينتظر هو اتفاق لوقف القتال . وفي هذا الصدد علمت من مصدر موثوق به تماما تفصيل يفسر هذا النوع من المعجزة ولا يخلو في الوقت نفسه من الدعاية فلنتذكر انه قد سبق توقيع بيان مشترك في طرابلس يعلن على وجه التحديد مشروع الوحدة بين ليبيا ومصر الا انه يبدو لي ان رئيسي الوزراء عندما وصلا الى العاصمة الليبية حيث دعاهما العقيد القذافي لم يكونا يفكران على الاطلاق في مشروع من هذا النوع . . فحتى بالنسبة اليهما لم يفكرا في اكثر من التوصل الى وضع حد للقتال . وعند هذا قال لهما القذافي ما معناه تقريبا « والان وقد اصبحتما هنا .. فانكما لن ترحلا قبل ان نتفق على الوحدة فلا يوجد غير يمن واحدة ويجب ان تتفاهما على هذا الاساس . واعتبرا نفسيكما سجينان لدي الى ان يتم الاتفاق » وضحك رئيسا الوزراء اعتقادا منهما ان هذا مزاح وروح فكهة من مضيفهم الذي يدرك هو انها ليست بالمستحيلة كما كانا يتصوران .

– كيف تحققت الوحدة الايطالية ؟ تحققت بالتقاء الطرق الثلاثة التي ذكرتها . توحدت بعض البلاد الايطالية بالوسيلة الاولى ، الوسيلة الأمثل ، وكانت تحكمها أنظمة متشابهة إلى حد ما والتحقت مناطق أخرى بالوحدة عن طريق ما أسميته « بالتجمع المتنوع » ، فقد كان بعضها ملكيا وبعضها جمهوريا ولكنها ارادت جميعا أن تكون جزءا من ايطاليا الموحدة ... وبعض المناطق الأخرى أجبرت على دخول الوحدة عن طريق « الفتح » أي بقوة السلاح . والمنطقة الوحيدة التي ما تزال خارجة عن الوحدة الايطالية هي الفاتيكان . آخر مملكة . وقد تركت احتراما للبابا وللكنيسة .

– سيدي الرئيس ، سمعت من بعض أخوانك . أن ليبيا مع تبنيها لشعارات جمال عبد الناصر الوحدوية . « لم ترث الزعامة » في معركة الوحدة العربية ... ولقد أوضحت لهم أن الزعامة مسألة رجال . وأنه في كل معركة حتى تلك التي تندلع في زمن السلم لا بد من زعيم يقود الى النصر. فهل يتخوف معاونوك من أن يتهموا بالطموح ؟ ذلك أنك أنت نفسك قلت في خطاب الزاوية يوم ٢٤ يناير ١٩٧١ ، « ان الثورة الليبية أحيت الامل في نفوس جميع أبناء الشعب العربي . » فلماذا اذن لا تعترفون بدور الزعامة المجيد ، والذي يحملكم مسؤوليات جسام في الوقت نفسه ؟

– أعتقد أن انتماءنا الى الناصرية او اتباعنا لخط عبد الناصر . هو في نظرنا شكل من أشكال الجهاد . وربما قادنا هذا الانتماء الى القيام بدور ، لكن أمنيتنا هي أن نؤدي واجبا . وقد يكون هذا الواجب تتمة لما بدأه جمال عبد الناصر. لكننا لا نعطي أنفسنا حقوق وراثة عبد الناصر ولا نعتبر أنفسنا قيمين على عمله وفكره ، ولا نحن احتللنا مكانه ولا أخذنا دوره . إن عملنا يتبع خطه لأننا مؤمنون بصحته ، لكن على الاخرين ، على المؤرخين أن يحكموا اذا كنا قد تابعنا أولا ، ما بدأه ناصر. وبكلام آخر ، نحن لا نتطلع الى « انتقال الزعامة » ، وان كان نضالنا موجه في نفس الاتجاه . وعلى الآخرين أن يحكموا في المستقبل عما اذا كنا المكملين لنضال عبد الناصر أم لا .

– لكن يا سيدي الرئيس ، في جميع مراحل التاريخ ، وجد رجال يشكلون مركز استقطاب وحثّ للآخرين ... فعندما كنت طالبا ، ثم في عهد الكلية العسكرية كنت تحث رفاقك على التطلع الى عبد الناصر... وأعتقد أن الشباب في حاجة إلى زعيم يعكس أمانيهم وتطلعاتهم ... وهذا ما قصدته من سؤالي .

– أنت على حق . لكن على الشباب أنفسهم أن يختاروا زعيمهم !

– حسنا ... لننتقل إلى السؤال التالي ... في حوار في ندوة عن « النظرية الثالثة » في ٢٦ اكتوبر عام ١٩٧٢ ، أشار ابراهيم البشاري في صدد شرعية الوحدة بقوله . « لدينا الآن حوالي ثمانية عشر إماما أو رئيسا أو قائدا ... والشريعة تقول لا يجوز عقد الامامة لإمامين » كما أضاف البشاري قائلا : « بعد قيام الوحدة الاندماجية بين بلدينا (ليبيا ومصر) والتي ستضم حوالي ثلث العرب نستطيع القول أن الشخص الذي سيقود النضال من أجل الوحدة العربية سيكون الامام الشرعي وبالتالي يكون كل الائمة الآخرين غير شرعيين » ... هل توافق سيادتكم على نظرية ابراهيم البشاري هذه ؟

ضحك بحرية وقال : « حلوة هذه النظرية ! » وكان القذافي يسخر بتحبب من ابراهيم الموجود معنا حين قال :

« سوف ندعو الى استفتاء في العالم العربي وحين يتفق الجميع على إمام واحد. فعندئذ نخلع السبعة عشر الباقين . »

– بعد المؤتمر الاسلامي الذي عقد ببنغازي في شهر مارس من ١٩٧٣ ، أجمع المراقبون على أن المؤتمر قد تسيّس وعلى أنه قد يتحول في المستقبل إلى منظمة تشبه منظمة الوحدة الافريقية . ويعزو المراقبون أنفسهم مسؤولية هذا الاتجاه إلى ليبيا .

هل توافقهم على هذا التحليل ؟ ومن ناحية أخرى أكد بعضهم أن بنغازي كانت « ساحة تنافس بين الملك فيصل والرئيس القذافي على زعامة العالم

الاسلامي » . وأود لو توضح لي هذه النقطة بالذات . لأنها تعكس رأيا واسع الانتشار في الغرب ، وسأورد مثلا عن ذلك فبمناسبة زيارة العاهل السعودي لفرنسا في شهر مايو ١٩٧٣ ، كتبت « الفيجارو» تقول أن الملك فيصل الذي كان وما يزال يلعب ورقة الاسلام بدلا من العروبة . انتصر أخيرا على ناصر « المنسيّ » وأصبح زعيم العالم العربي .

— أي مؤتمر يشترك فيه وزراء الخارجية ومسؤولون في عدة حكومات ، لا بد وأن يتجه اتجاها سياسيا .

— بالطبع . لكن الاوروبيين تحدثوا حول استقطاب متزايد ومقصود من قبل ليبيا . فهل هذا صحيح ؟

— اعتقد أن مختلف الحكومات الاسلامية لا تشجع الجمهورية العربية الليبية على السير في نضالها السياسي . وأعزو ذلك الى أن هذه الحكومات ليست حكومات اسلامية شرعا .

— ولكنهم يؤكدون ، كما ذكرت لك . على أن الملك فيصل قد تزعّم العالم العربي لانه يلعب الورقة الاسلامية ...

بدا عليه الانزعاج فقاطعني قائلا :

« القضية واضحة : والمسألة مختلفة تماما ... والمسألة لا علاقة لها بالزعامة ولا بالحكم فيما اذا كان الملك فيصل قادرا أو غير قادر على التزعم . والحقيقة هي أن الغرب يريده أن يلعب هذا الدور . ذلك أن الملك فيصل يمثل الشخص المناسب ليستغلوا الاسلام بواسطته » .

ومن خلال هذا الحديث يبرز عنصر بالغ الاهمية ، أو على وجه التحديد أدرك الى أي مدى يختلف القذافي عن عبد الناصر ، رغم استشهاده المستمر بافكاره في مجال الوحدة العربية – من حيث وسائل تحقيقها أومن حيث أهدافها – وحتى في مجال المعنى نفسه لكلمة « قومية » عربية . فقد كان عبد الناصر على ايمانه العميق بالوحدة والقومية العربية ، يتبع سياسة في هذا المجال ، لا تتعدى

كونها عنصرا واحدا من استراتيجيته الشاملة . وقد احاط محرر صحيفة « الفجر الجديد » الليبية بهذه المسألة احاطة تامة حين ورد في افتتاحية عدد ٤ اغسطس ١٩٧٣ ما يلي : « فيما بين ١٩٥٢ و١٩٥٦ ... قصرت ثورة ٢٣ يوليو– التي كانت تعتمد على مبادئها الستة والتي كانت تشكل عامل فاعليتها – عملها على مصر... أما الوطن العربي فلم يدخل اللعبة السياسية المصرية الا داخل « دوائر ثلاث » (هي الدائرة العربية ، والدائرة الاسلامية ، والدائرة الافريقية) آخذا في الاعتبار دواعي الواقع المصري . وفي التحليل الاخير ، فانه على ضوء هذه الحقائق حصلت السودان ، في ذلك الوقت ، على استقلالها من مصر. ومع ذلك فان احداث ١٩٥٤ – ١٩٥٦ (حلف بغداد ، وتأميم قناة السويس ، والعدوان الثلاثي والمعركة القومية قد خيرتهم بين التحرك قدما الى الامام واما السقوط والضياع ... وفي هذه اللحظة بالذات ظهر الطابع الاصيل للثورة المصرية التي استطاعت أن تكتشف – من خلال تميزها – طريق الازدهار... وانه ابتداء من هذه اللحظة فقط أصبحت القاهرة المركز الحيوي لمعركة الامة العربية . »

لكن حتى في المرحلة اللاحقة لعام ١٩٥٦ كانت دعوة عبد الناصر القومية الوحدوية – في رأيي – دعوة سياسية في الاساس ... تلك الدعوة التي أثمرت وسط فريق من الطلاب في اعماق صحراء فزان ... ولا أظنني أتجنى على الواقع إذ أفترض أن هذه الدعوة كانت ستبقى سياسية لولا أن الموت حال بين عبد الناصر وبين مواصلته النضال . الا اذا كان تلميذه الشاب قد تمكن من شده الى رؤياه الخاصة للقومية الوحدة العربية . فبالنسبة لرئيس الدولة الليبية ، تستند القومية العربية إلى أساس مزدوج عرقي وديني . فتصوره للامة العربية هو أنها تلك التي وان كانت موجودة من قبل الدعوة الاسلامية ، الا أن معالمها قد تحددت بالاسلام. وهي التي تلقت الدعوة ونشرتها وهي المكلفة بمواصلة نشرها . وهنا أيضا يقوم القذافي بتفسير ديني فهو يستوحي فكرة القومية العربية من الآيات القرآنية .. لكن من خلال تداخل القومية العربية الاسلامية الدينية والثقافية والسياسية ، التي على العالم العربي أن ينشرها في العالم ، ومن خلال ضرورة إتحاد الدول العربية تحت هذا الشعار ومن أجل هذا الهدف ، يتضح برنامج عمل القذافي بحدوده الواقعية

داخل العالم العربي وخارجه . ويبقى أن القذافي يواجه صعوبات شتى وبالغة التعقيد ، حتى فيما يتعلق بالوحدة نفسها ، التي لا تشكل سوى مرحلة من المخطط الواسع الذي يرسمه . ويرجع ذلك ، جزئيا ، الى سوء تفهم العرب الذي سبق وأتيت على ذكره والذي يبدو عنصرا غريباً في تاريخ ومصير هذا الرجل . وحدها قوة إيمانه قد تفسر لنا اصراره على مواصلة النضال رغم الخيبات والفشل ورغم المرارة التي يشعر بها وغالبا ما تنعكس على خطبه وتصريحاته . في مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الرباط في شهر ديسمبر عام ١٩٦٩ ، اتخذ القذافي موقفا ينبئ بالخط الذي سيتبعه في علاقاته مع الدول العربية . ولم يكن قد مضى على تسلمه السلطة أكثر من ثلاثة أشهر . لقد انسحب صافقا الباب وراءه . ولحق به في طرابلس الرئيس المصري عبد الناصر والرئيس السوداني جعفر النميري .

ووقع الخلاف مع الأنظمة الملكية التي ترى في الوحدة العربية كلمة خالية من أي معنى وفي التقدمية ، كما يفهمها القذافي ، تهديدا صريحا لأمن الدولة . ذلك الى جانب التزامه دون تحفظ بالقضية الفلسطينية لكسب المعركة القادمة مع اسرائيل بأية وسيلة ممكنة بما في ذلك سلاح النفط : من هذين المقياسين الأساسيين يتحدد موقف الرئيس الليبي من الأنظمة العربية . أما المقياس الثالث فعداء للشيوعية لا يعرف المساومة ينطلق من إحساسه بالصفاء الاسلامي . ذلك الصفاء الذي ينكره على البعض – كالملك فيصل ملك السعودية مثلا – حتى ولو لم يرتكب أية مخالفة لتعاليم الاسلام . والمقياس الرابع أخيرا هو عدم الانحياز في السياسة الخارجية الذي أبعده عن مسؤولين كثيرين يراهم على إتصال بالمعسكر الامبريالي . وليس غريبا أن يجد القذافي نفسه وسط هذه الظروف معزولا عمليا وسط حكام الدول العربية وليس غريبا أيضا أن يركز جهوده في اتجاه الانظمة التي يعتبرها قريبة من النظام الذي يريد تطبيقه في ليبيا ، أي مصر والسودان والجزائر وسوريا وبقدر أقل ، تونس . فبعد خروجه الصاخب من مؤتمر القمة في الرباط صدر أول بيان مشترك عن الرؤساء الثلاثة ، الليبي والمصري والسوداني ، أعلن في طرابلس في أواخر ديسمبر ١٩٦٩ ، وأشار الى قيام تحالف بين الدول الثلاث «التحالف

الثوري الوثيق بهدف احباط المؤامرات الاستعمارية والصهيونية » . وفي نوفمبر ١٩٧٠ دخلت سوريا بدورها في ما اصطلح على تسميته « بمثاق طرابلس » . وفي ابريل ١٩٧١ أعلن عن قيام اتحاد الجمهوريات العربية الذي ضم ليبيا ومصر وسوريا وأصبح ذلك الاتحاد فعليا في شهر سبتمبر من العام نفسه [1] . ودعى السودان للانضمام اليه ولكنه يتغيّب كما تغيّبت سوريا عن مشروع الوحدة الاندماجية الشاملة مع مصر الذي أعلن يوم ٤ أغسطس عام ١٩٧٢ . هذه الاحداث المتناقضة في ظاهرها والتي توحي بمحاولات متعرجة ومليئة بالاخطاء ، تتخذ معنى مختلفا حين ينظر اليها على ضوء هدف القذافي – الوحدة الشاملة – والشروط التي يفرضها لتحقيق تلك الوحدة ، وقد ذكرناها فيما سبق . ويبدو واضحا ، في رأيي ، أن القذافي يريد التوصل الى « نواة » وحدوية تقترب أكثر فأكثر من رؤياه الشاملة . ومن خلال اختيارات تزداد دقة وصلابة بمرور الزمن . فلتحصل التجمعات المتتالية ، واحدها يطور الآخر ... ولا يبقى من المخلصين لها سوى الفرقاء المتفاهمين.. وكل ذلك خاضع لمخطط مقصود ، حتى ولو حالت ظروف غير متوقعة ، خاصة بكل بلد ، دون تحقيق الوحدة . المهم في نظر القذافي ازالة أي مانع لمبدأ الوحدة ذاتها ، أو للمضمون الذي يجب أن تحمله تلك الوحدة . ليس مهما أن يؤدي التقارب الى الانعقاد مرة والانفكاك مرة أخرى . فعاجلا أم آجلا سيتوصل إلى جمع تلك النواة . بل وسيتوصل بفضل اصراره – الذي يؤخر التمام تلك النواة – الى أن يخلقها خارج اطار أي سوء تفاهم ، وبالتالي صلبة دائمة . ولبلوغ الهدف ، لا يسع القذافي الا أن يختلف مع بعض الانظمة . هذا لو وضعنا جانبا مكانة مصر الفريدة اذ يعتبر أنه لا بد من انصهار ليبيا في مصر ، وينظر الى هذا الانصهار

---

(١) رغم انه كان مقررا في البداية اقامة اتحاد كونفدرالي يضم تلك الدول . الا ان المشروع النهائي الذي تم اقراره باستفتاء شعبي اظهر الى النور دولة اتحادية ذات روابط هشة ولكنها تنص على تكوين مجلس رئاسة للدولة الاتحادية وحكومة اتحادية ومجلس امة اتحادي ومحكمة دستورية اتحادية . ومما تجدر الاشارة اليه انه في حالة وقوع اضطرابات داخلية في احدى الجمهوريات الثلاث فان لكل من الدولتين الاخريين حق وواجب التدخل دون طلب لاقرار النظام واعادة الامور الى اوضاعها .

كمرحلة مبدئية لا بد من اجتيازها لكي ينجح في مساعيه. وأعتقد أنه يتمنى الخلاف مع الانظمة العربية ويفتعله. فماذا يفيده أن يقيم علاقة طيبة مع حكام المغرب، أو العربية السعودية او الاردن او الكويت او دولة الامارات؟ انه لم يتردد في اعلان رأيه الصريح فيهم[1] وماذا تفيده إقامة علاقة طيبة مع النظام العراقي صديق السوفييت[2]. أو مع النميري، طالما أن الرئيس السوداني، لأسباب داخلية، يتبع سياسة افريقية اكثر منها عربية ويهادن المعسكر الاستعماري[3].
ان العلاقات الجيدة مع هذه الأنظمة تسيئ الى الوحدة الشاملة أكثر مما تفيدها. لأنها تسند حكامها وبالتالي تخدر جماهيرها. أما الخلاف المعلن والحاد فيبدو له شرطا لا بد منه لتوعية تلك الجماهير العربية التي يحاول بجميع الوسائل أن «يحركها».

---

(١) وهكذا لم يتردد في ان يحرض - عبر وعن طريق موجات اذاعاته - الشعب المغربي على الثورة ضد الملك غداة احداث الصخيرات والهجوم على الطائرة «البوينغ» الملكية. ولم يتردد في ان يدين بلا هوادة الملك حسين في اعقاب احداث عمان في ايلول عام ١٩٧٠ وبمناسبة اعلان المشروع الاردني الخاص بانشاء مملكة عربية متحدة.. اما هجومه على الملك فيصل والامارات فانها ترصع عددا لا بأس به من خطبه.

(٢) لقد ذهب - كما سنرى فيما بعد - الى حد قطع علاقاته الدبلوماسية مع العراق عندما وقعت في يوليو عام ١٩٧٢ معاهدة تحالف وصداقة مع الاتحاد السوفيتي.

(٣) السبب الحقيقي وراء تدهور علاقاته مع السودان (الموقع على «اعلان طرابلس») اكثر صعوبة في تبينه. اذ لما كان القذافي مؤمنا ايمانا عميقا بأن الامة العربية كل لا يتجزأ فانه لم يجد ان هناك ضرورة في اخطار السودان باستخدام طائرتين عسكريتين ليبيتين للمجال السوداني لنقل اسلحة وذخائر للرئيس الاوغندي عيدي امين الذي كان في نزاع مع جيرانه.. ففكرة طلب تصريح مرور لم يخطر بباله على الاطلاق لا سيما وانه سبق له وان ساعد الرئيس نميري على استرداد السلطة في الظروف التي نعرفها. ولذلك فانه نسي حساسية السودان ودرجة تعلق هذا البلد باحترام سيادتها حتى من جانب الاقطار الشقيقة.

من هذا المنظار تبدو مبادرات القذافي - بعد اعلان اتحاد الجمهوريات العربية ومشروع الوحدة الاندماجية بين ليبيا ومصر والانفتاح على تونس والجزائر - أكثر وضوحا مما كانت عليه في نظر المراقبين الغربيين. ولم يكن هؤلاء قد رأوا فيها سوى برهانا على الفشل - النسبي أو الكامل - للوحدة ذاتها وانعدام المنطق في الوسائل الوحدوية التي يعتمدها القذافي. في كتاب ظل محدود التوزيع ويكاد يكون كتابا تحتيا، طبع في مايو ١٩٧٣ في باريس، قال مؤلفه (أ. م. سكوت) ما يلي:

« ماذا بقي من عشرات المحادثات « ومؤتمرات القمة »، والاف « التصريحات الحاسمة »؟ وماذا بقي من ميثاق طرابلس وبوادر « الوحدة الشاملة مع مصر »، ومن اتحاد الجمهوريات العربية؟. اكثر الدول العربية القريبة من ليبيا والتي دخلت في حوار معها في بداية عهد الثورة، قد تراجعت والبقية لا تهتم... (انظر ص ١٩٦ وص ١٩٧ في الكتاب)

ولقد كان على السيد سكوت أن يجد جواب تساؤلاته فيما كتبه هو نفسه في الصفحة ١٠٣ من كتابه:

« هذه الوقائع تدل على أنه بالرغم من تطرف القذافية، أو بسبب هذا التطرف، فانها تملك قوة تؤثر في العالم العربي على المدى البعيد، وتوجه تطوره السياسي. والجدير بالذكر هو أن أكثرية عظماء العرب من دعاة التجمع وأكثر الذين استخدموا الاسلام (احيانا ضد العرب أنفسهم)، كانوا من الرجال المتطرفين ».
أما الرئيس القذافي فيدهشه أن يعتبر البعض هذه الاحداث متناقضة، وأن يروا في مبادراته مع مختلف الدول العربية تنافرا مع اقامة اتحاد الجمهوريات العربية. يقول متعجبا:

« لكن علينا واجب لا بد من تأديته! ومن الطبيعي أن نتحرك باتجاه الوحده العربية كيفما تيسّر وأن ندق جميع الابواب التي يمكن أن تفتح. بالطبع، في العالم العربي الحالي أنظمة يستحيل علينا الاتفاق معها إلا بثورة، لكن هناك أنظمة أخرى نجري معها حوارا متواصلا في موضوع الوحدة. أما عن الوقت

الذي يتطلبه الحوار ليعطي ثماره فليس مهما . ليس مهما أن ننتظر سنة أو خمس سنوات أو عشر . عنصر الزمن ليس مهما بالنسبة للأمة العربية ...

– حصل لغط كثير حول زيارتك لتونس في ديسمبر ١٩٧٢ ، وخصوصا حول ما عرضته على الرئيس بورقيبة من أن يرأس الاتحاد المحتمل بين ليبيا وتونس ... أن تقديم هذا العرض في الوقت الذي بوشر فيه بالوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا – ودون أن نذكر اتحاد الجمهوريات الموجودة – كان غامض الاسباب .

– لقد بولغ كثيرا في تفسير محادثات تونس . بل شوهت الاحداث تشويها كاملا . والواقع أنني لم أفعل أكثر من اثارة الموضوع ، مع الرئيس بورقيبة . قلت له باختصار ما يلي : « نحن في ليبيا دعاة وحدة . ونريد أن تقتلوا بنا . ولذلك في حال قيام اتحاد بينكم وبيننا فسوف تكون أنت رئيسه » .

– لكن هذا ليس ما نشر في الصحف . وربما يعود ذلك الى مسألة قلة المعلومات أو عدم دقتها ... لكن بما أنه ورد مرارا في خطابك بتونس موضوع الجوار والحدود المشتركة بين البلدين ، فقد قارن بعض المراقبين مشروعكم ذلك بالوحدة التي تحاول بعض الدول الأوروبية أن تحققها ... هل لي أن أعرف رأيك في ذلك ؟

– الوحدة الاوروبية مختلفة تماما عن تلك التي ندعو اليها نحن ، لانها تتناول بلدانا مختلفة من حيث الأصول والقوميات واللغات والتاريخ .. ان هذه البلدان تسعى الى التجمع بدواعي التطور العصري حيث تبرز الدول العظمى والتحالفات الواسعة . والوحدة التي يريدونها تستهدف أن تضمن لهم قدرا من الأمن ... أما الوحدة العربية كما نفهمها نحن فهي أقرب إلى الوحدة الايطالية أو الوحدة الألمانية ، أي أن اوروبا قد تجاوزتها ... نحن ننشد الوحدة القومية بينما تخطت أوروبا هذه المرحلة وراحت تنشد وجودا موسعا يرفعها الى مستوى الدول الكبرى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا .

– سيدي الرئيس ، قمت أخيرا (فبراير ٧٣) بزيارة الى الجزائر. فهل دارت مباحثاتك مع الرئيس بومدين حول الوحدة العربية ؟ ذلك أنه لم تصدر أي تصريحات في هذا الموضوع ...

– بالنسبة للجزائر.. الموضوع في غاية الدقة ... لكن يمكنني أن أؤكد لك أن الهدف الاساسي لزيارتي كان ابقاء الحوار مفتوحا وحيا حول الوحدة العربية.

– أتصور أن خلافاتك المعروفة مع بعض رؤساء الدول العربية سببها أكثر الاحيان مسألة الوحدة . فكيف ترى الشعوب التي يمثلها هؤلاء الرؤساء من هذا المنظار؟

– خلافنا مع بعض الانظمة العربية نابع من كونها تشكل حاجزا على طريق الوحدة ... وواضح أن الخلاف لا يتعدى المسؤولين أما الشعوب – وهي وحدوية بصفة عامة – فلا علاقة لها بهذا الخلاف.

ونظرا لاقتناعه بأن الجماهير العربية على استعداد للسير معه على طريق الوحدة بسرعة ، لولا محاولات المسؤولين الرامية الى الحد من تطلعاتها الوحدوية ، فمن الطبيعي أن يفكر القذافي في التوجه إلى هذه الجماهير مباشرة متخطيا حكامها . وهناك مثال على ذلك فيما حدث أثناء زيارته لتونس في ديسمبر ١٩٧٢ . فقد أتاح الرئيس بورقيبة لضيفه أن يلقي خطابا أمام عشرات الالوف من التونسيين ، وكان هو يتابع سير الاحتفال أمام الاذاعة المرئية . وقد أسرع في اللحظة الاخيرة الى حيث يوجد القذافي ورّد علنا على النداءات الوحدوية التي يطلقها القذافي في عاصمته وعلى مسمع من جمهور متجاوب . وأرى أن أورد هنا المقاطع البارزة من خطاب القذافي ومن الخطاب الذي ألقاه زميله التونسي ... قال القذافي :

« إن هذا الجيل الذي يعيش الآن متمتعا بالحرية التي كافح في سبيلها جيل آخر... هذا الجيل لا يطالب بالتحرير من الاستعمار المباشر فهو يعيش في مرحلة يطالب فيها بمطالب جديدة تختلف عن تلك المطالب ... يطالب بالقومية العربية... وبالوحدة العربية وبالاشتراكية وبتحرير فلسطين.

هذا الجيل يطالب قياداته بأن تتقدم الى مرحلة أصعب من المرحلة الاولى . يطالبها بمرحلة التحرر القومي لبناء وحدة الكيان العربي .. ولبعث الذات القومية العربية وبناء الاشتراكية ... ولا بد للقيادة أن تتجاوب مع المطالب الجماهيرية الجديدة هذه ، وفي كل مكان بالوطن العربي حتى هنا في تونس ... وأيضا في موريتانيا .

هذه القضايا أصبحت ملحة بشكل كبير ... كما يتضح لنا في كل قطر عربي ، وفي كل شارع من شوارع تونس ... واضح أن هذا الجيل يهتف بفلسطين وبالوحدة العربية وبالقومية العربية .

هناك من كان يتصور أن الوحدة العربية لا بد وأن تتحقق عن طريق الثورة .. وآخرون يعتقدون أن الوحدة العربية هي عن طريق الجامعة العربية أو عن طريق التعاون أو التضامن ، من وجهة نظرنا أن هذا الرأي قد انقضى لاننا دخلنا مرحلة جديدة . والبعض في النهاية يرددون أن الوحدة العربية لن تتم إلا عن طريق الاقناع والثقة ... عن طريق تفاعل داخل الوطن العربي ... حتى تؤدي في النهاية الى هذه الوحدة ... ويعترفون بأن منطق التصور الأول مثالي ... وقد لا تتحقق الشروط التي تتيح حدوثه .. ولا نضمن أن تقوم ثورة قومية في كل وطن عربي .. ومع ذلك فطريق الاقناع مثلا له محاذيره وشروطه . لهذا لا يمكن أن نركن مع أنظمة متناقضة .. فكيف مثلا نحقق وحدة بين ليبيا والأردن ؟ أليس من المستبعد أيضا أن تحدث وحدة بين تونس والمغرب ؟ وتبقى بعد ذلك الأنظمة التي يبدو فيها التماثل ... واذا ما تفاعلت مع بعضها فسوف تؤدي في النهاية الى الوحدة العربية . وهكذا فان التفاعل يكون بين ليبيا ومصر وسوريا وتونس والسودان والجزائر... تلك البلدان التي تمثل الانظمة المتشابهة ..

بالنسبة للبلدان العربية الاقل قربا ، فان وحدة التراب تشكل عنصرا من عناصر الوحدة الحقيقية بين الشعب التونسي والشعب الليبي .. اذن فالجغرافية هنا تشكل وحدة حقيقية لا يمكن اغفالها . كذلك فان الحدود الموجودة بينهما حدودا مصطنعة من فعل الاستعمار... إنه لتثبيط للعزيمة أن يثبت أن العرب

يرضون بالاستمرار في الحياة في وقتنا هذا حسب نظريات صنعها الاستعمار بكل أجزائه وأنهم سيستمرون في احترام وبقاء الدول ، تعتمد كل على الاخرى .

وعليه فان الجهود التي تبذل داخل نطاق القطر الواحد والتي تهدف الى البناء الوطني هي كمن يحرث في البحر ولن تؤت ثمارها ... وعليه فنحن نرى قبل التفكير في البناء الذي نريده على المستوى الاقليمي[1] ، لا بد وأن نخطط على المستوى القومي . ولا بد أن نخطط لشكل الدولة الوحدوية ، ويكون البناء الاقليمي بعد ذلك لبنة من لبنات الوحدة الكبرى . ومن ثم فاننا لا نريد أن نخطط للجمهورية العربية الليبية على انفراد – متجاهلين تونس مثلا – ولا نريد لتونس أن تخطط لنفسها على انفراد داخل حدودها المصطنعة متجاهلة الجمهورية العربية الليبية أو الجزائر أو بقية بلدان الوطن العربي .

هذا الجيل يلح على قضية الوحدة العربية ، والقومية العربية . هذا الجيل يندفع ليحقق هذه الوحدة كما يحلم بها ... وهذا الاندفاع قد يؤدي به الى تحطيم الحواجز الموجودة بين البلدان العربية وتغيير خريطة العالم العربي الجغرافية . هذا الجيل موجود الآن دون أن يحرضه أحد أو يقنعه أحد فقد صنعته المرحلة التي يعيشها .. نحن نطلب من النظم العربية المماثلة – وحتى التي ليست مماثلة – نريد منها أن تلتقي وتقدر مسئولياتها حق قدرها ، وأن تصنع الحلول التي تحقق مطالب هذا الجيل حتى يشق طريقه دون معوقات والا نكون قد وقفنا سدا أمام محرك تاريخي حقيقي يندفع في مجراه الطبيعي بسلام . وفي هذه الحالة قد يتحول اندفاعه الى اعصار وبالتالي يكون الطوفان » .

وهذه بعض المقتطافات من رد الرئيس بورقيبة[2] .

---

(١) تعتبر ليبيا نفسها أحد اقاليم الوطن العربي

(٢) النص مترجم وليس منقولا عن الاصل (المترجم) .

« لم يكن في الحسبان أن أتحدث اليكم اليوم في اجتماع « البالمزيوم » هذا بسبب حالتي الصحية التي تقضي الامتناع عن أي مجهود . ولكن لم أتعود التنصل من مسئولياتي كرئيس دولة خاصة وأن أعباء هذه المسئولية هي نتاج كفاح دام نصف قرن وليس من فعل مغامرة مسلحة أو انقلاب . هذا الكفاح بدأ من الصغر وفي الوقت الذي لم يكن أحد يتوقع في العالم أن تستقل تونس .

وللنجاح في هذا العمل الذي يحتاج الى نفس طويل ، وضعنا استراتيجية أصلية ، العامل الاساسي فيما كان تغيير عقلية التونسيين لكي نجعل منهم الارادة التي سيحررون بها أنفسهم . ومن أجل بلوغ هذا الهدف انتهجت سياسة الاتصال المباشر مع الشعب وذلك بالقيام بجولات مستمرة ومتكررة في جميع أرجاء البلاد . وهذا العمل المباشر مع الجماهير الشعبية عرضنا لاقسى عمليات القمع والردع ... ومع ذلك لم يكن هناك شيء يستطيع أن يثنيني عن الاستمرار في مشروعي . وقررت حينئذ أن أضع استراتيجية جديدة للقتال . فما تلقيته من تعليم في فرنسا أثناء اقامتي هناك والخبرة التي اكتسبتها من الحياة الفرنسية وما اكتسبته من معرفة بالطرق الفعالة للتحرك والنضال من أجل تحرير بلادي ... كل ذلك ساعدني أيما مساعدة . ومن ناحية اخرى كانت نفسي تجيش بايمان وشجاعة لا تتزعزع . كما أني كنت قد وهبت حياتي الى قضية بلادي ... وكنت قد أخذت الامور بجدية ... وكانت السياسة التي انتهجتها تهتم بتطوير عقلية الانسان التونسي بتحريك مفهوم التضحية في نفسه من أجل وطنه تونس .

انني أقول وطنه التونسي وليس العربي لأن هذا البلد شكل شخصيته المميزة منذ الاف السنين زمن قرطاجة وكون الشعب التونسي وحدته جيلا بعد جيل وتلك الحدود التي تفصلنا عن الجزائر وليبيا ليست من فعل الاستعمار الفرنسي او الايطالي... فقد كانت حدود البلدان الثلاثة المتجاورة في خطوطها العريضة معروفة منذ عهد الرومان وبعد الاسلام وفي الواقع أن العالم العربي لم يكن موحدا أبداً في أي يوم من الايام . فبعد وفاة الرسول هبت رياح الشقاق .. وعبر تعاقب أحداث التاريخ

تولدت كيانات وطنية أكدت شخصيتها المتميزة . وهذا هو الحال بالنسبة لتونس .

والعقيد القذافي يؤكد ضرورة أن نفكر – بعد تجاوز هذه المرحلة من الكفاح من أجل التحرر – في تحقيق الوحدة . وأرد من جانبي أن هذه الرؤية للامور ليست بالرؤية التي تخلو من الصواب .. فأنا متفق بالنسبة للهدف النهائي ولكن الأهمية الهائلة للمشروع الذي يستوجب تحقيقه يتطلب مهلات لتطوير نفوس القادات منذ قرون على اعتبار شعوبنا كيانات متميزة ... ولذلك يجب القيام بالتقليل تدريجيا من الفوارق الفردية لكي نعيد لمجموع العرب شخصيتهم المشتركة في وطن مشترك وجعلهم أمة واحدة موحدة ... وهكذا على حسب ما هتف به أحد الحاضرين يجب علينا أن نتوصل الى تحقيق وحدة شعوبنا وهي الهدف الوحيد الجدير بأن يتبع ... فالوحدة – لكي لا ننسى – لا معنى لها الا اذا كانت عامل قوة ... ولن نزيد قوانا باضافة مليون ونصف ليبي على خمسة ملايين تونسي الا اذا قضينا على الاسباب الحقيقية لتخلفها .

وكما اقيمت القومية التونسية على تطوير العقلية التونسية أود أن تركز القومية العربية ، التي نؤمن بها ايمانا عميقا ، على تطوير العقلية العربية . اذ يجب أن يتراسخ أسلوب جديد للفكر ويجب أن يؤدي هذا الاسلوب الى نسف الآفاق الضيقة التي لا زالت لها الغلبة لدينا والتي يتطلب القضاء عليها تدريجيا قرونا ... ولكي تتحقق وحدة المشرق والمغرب لا بد من مرور عشرات السنين ان لم يكن قرونا من الجهود المتواصلة .

وبايجازا أحرص على الاشارة الى أن انضمامنا كاملا وشاملا بالهدف البعيد للوحدة الذي سيضاعف قوانا وهو الذي سيرفعنا الى مستوى الامم المتطورة . ولكن لكي نبلغ هذا الهدف لاغنى عن اقامة قواعد تعاون وثيق وصلب . وبهذا الشرط سنكسب معركة التنمية . وحينئذ ستتفتح عقولنا لمفهوم الوطن العربي لاننا سنكون قد ضاعفنا جهودنا لتحقيق عمل من أعمال التقدم . وبذلك نكون قد حصلنا على وسائل تجسيد مشاعر الاخوة « والتضامن والحرية » وهي المشاعر التي

يجب أن توحدنا . والحاصل أن هذه الزيارة ستفيد قضية الوحدة لانها تجعل في الامكان انجاز العمل العظيم الذي ننشد القيام به . وفي هذا الصدد ، يمكن ان نتفق على وضع جدول زمني لتنظيم اللقاءات على مستوى الوزراء بالتناوب في كل من ليبيا وتونس من أجل تنشيط التعاون في جميع المجالات التي تهم بلدينا ووفقا لهذا الترتيب في الافكـــار ، يمكننا ان نفكر في عقد لقاءات بين شبابنا والقـــادة السياسيين في مؤسساتنا ونقاباتنا كل مرة في مدينة من مدن بلدينا وبذلك يتسنى لهم تبادل الاراء والتعرف على بعضهم البعض بشكل أفضل . كما أن مثل هذه اللقاءات ستسهم في تطوير علاقات حسن الجوار القائمة بالفعل بين بلدينا الى علاقات اخوة . والعمل الذي نكون بذلك قد نجحنا في تحقيقه سيلبي آمال الاجيال المقبلة التي تضع كل امالها علينا » .

وفي اعتقادي أن النقطة الاساسية التي كان يهدف اليها القذافي . هي اقامة اتصال مباشر مع الجماهير التونسية ، وهذا ما نجح في القيام به بالفعل ومقارنة تصرفه هذا بالموقف الذي اتخذه في الجزائر ، قد يكون ذا مدلول هام . فالثورة الجزائرية غالية على قلب كل ليبي ولا شك في أن القذافي متأثر بها أيضا . ومن جهة أخرى أتصوره أقرب إلى بومدين منه إلى رئيس الدولة التونسية لما بين الاول وبينه من تعلق بالاسلام – مع فارق النسبة – ولذلك تراه يدعو الرئيس والشعب الجزائري الى خوض معركة الوحدة العربية بلهجة مختلفة : (١)

« اتوجه باسمي شخصيا وباسم ثورة الفاتح من سبتمبر وباسم شعب الجمهورية العربية الليبية وباسم المليون شهيد الذين سقطوا دفاعا عن عروبة واسلام الجزائر أتوجه بالنداء الأخوي المليء بالأمل والاحترام للجزائر الشقيقة والأخ المناضل هواري بومدين ليحدد الموقف الايجابي للجزائر المكافحة من قضية الوحدة العربية ومن قضية المعركة المصيرية التي نواجهها ....

ونحن إذ نوجه هذا النداء الحار ونحن لا نشك لحظة في عروبة الرئيس

---

(١) خطاب ألقاه القذافي في صبراته يوم ٧ أكتوبر ١٩٧١ .

بومدين ولا نشك لحظة في أن الشعب الذي قدم المليون شهيد لن يتوانى أبدا في دخول معركة الأمة العربية من أجل وحدتها .

... وحتى لا يلتبس الأمر على أحد .... وحتى لا يساء فهم هذا الكلام أقول أن الجزائر فعلا ليست موجودة بصورة عملية أو مباشرة في المعركة أو قضية الوحدة العربية ولكنها توجد فعلا الآن خارج هذه الساحة ... وهذا لا يعني كفرا من الجزائر بعروبتها .....

انهزامية الجزائر أمام العدوان إنما يعني أن الجزائر لها وجهة نظر خاصة وربما لها فلسفة أيضا في هذا الامر .. وفي هذا اليوم نحن نناشد أخينا هواري بومدين ونناشد الشعب الجزائري ليكونا في المعركة . نحن نريد أن تكون الجزائر معنا بوجهة نظرها وشروطها وبما عندها من فلسفة تجاه الوحدة العربية .

ويجب ألا تكون هذه العوامل سببا في جعل الجزائر بعيدة عن المعركة فالجزائر مؤهلة قبل غيرها في أن تلعب دورا هاما في وحدة الامة العربية وربط المشرق العربي بالمغرب العربي ... ولهذه المبررات يجب ألا تكون الجزائر خارج نطاق الوحدة » .

فيما بين ٢٣ يوليو ١٩٧٢ ، يوم أعلن القذافي لأول مرة - خلال خطاب ألقاه في مخيم للطلاب الناصريين في مصراتة - عن وجود مشروع للوحدة بين ليبيا ومصر، وبين ٢٩ أغسطس ١٩٧٣ ، يوم صدر عن البلدين بيان مشترك عن شكل الوحدة المقترحة[1] وقعت أحداث خطيرة ما بين ليبيا ومصر على مرآى

---

(١) اذاع راديو القاهرة في مستهل فترة المساء وهو الأمر الذي لم يكن يتصوره أحد اعلانا مطولا عن القيادة السياسية الموحدة المصرية الليبية يتضمن ١٣ مادة عن قيام دولة عربية موحدة ويبدأ سريانها اعتبارا من اول سبتمبر عام ١٩٧٣ . ومن بين هذه المواد : تفويض القيادة السياسية الموحدة انشاء عملة حسابية بين البلدين تسمى « بالدينار العربي » واقامة منطقة حرة على جانبي الحدود المصرية الليبية وتبادل وزيرين مقيمين بين العاصمتين وانشاء مجلس تخطيط ، وحل لجان الوحدة على أن يحل محلها أمانة فنية وأخيرا انشاء جمعية تأسيسية تتولى اعداد دستور الاتحاد على أن يطرح استفتاء عام للتصديق وانتخاب رئيس الجمهورية .

ومسمع من العالم بأسره ... أحداث لم تنته بعد ، ومجال التكهن بنوعية نهايتها ما يزال مشرّع الأبواب . الا أن القاسم المشترك في هذه النهاية ، أيّا كان نوعها ، هو التزام القذافي المطلق بمبدأ الاندماج الشامل .

ورغم أن الرئيس المصري أنور السادات قد وافق على هذا المبدأ في اتفاق وقع في بنغازي يوم ٢ أغسطس ١٩٧٢ ، ويقضي بالتوحيد الكامل بين البلدين قبل أول سبتمبر ٧٣ الا أن مصر عادت لتطرح هذا المبدأ على بساط البحث مرات متكررة خلال ذلك العام . وانتهت هذه المناورات والخلافات والمفاجآت[1] الى رفض مصر لشكل ونصوص اتفاق بنغازي .

---

(١) في ٢٣ يوليو عام ١٩٧٢ كشف القذافي في خطاب القاه بمدينة مصراته عن مشروع « الوحدة الشاملة » بين مصر وليبيا .

– ١٢ اغسطس عام ١٩٧٢ : القذافي والسادات يضعون خطوط المراحل الأساسية للوحدة الشاملة وقررا أن تتم قبل أول سبتمبر عام ١٩٧٣ .

– سبتمبر عام ١٩٧٢ : تم تشكيل لجان مصرية ليبية مشتركه تضم ثلاثمائة خبير من مختلف الميادين (التأسيسية والتشريعية والشئون الخارجية والاقتصادية والاعلام الخ) . بهدف الاعداد للوحدة الشاملة .

– ١٥ ابريل عام ١٩٧٣ : بمناسبة ذكرى المولد النبوي ، فجر القذافي الثورة الشعبية والثقافية في خطاب القاه في زواره (بالقرب من الحدود التونسية) وطوال الأسابيع التالية بدأت اللجان الشعبية التي تشكلت في الجامعات والمنشآت العامة والاذاعة تستولي على زمام ادارة الأعمال .

– ١٠ يونيو عام ١٩٧٣ : وصل السادات الى طرابلس للاشتراك في احتفالات الذكرى الثالثة لجلاء القوات الامريكية عن قاعدة « هويلس فيلد » الجوية البحرية (عقبة بن نافع) وانتهز هذه الفرصة ليجري مباحثات مع القذافي حول المسائل المتعلقة بالوحدة الشاملة .

– ٢٧ – ٢٨ يونيو : تقابل القذافي مع مجموعة من المثقفين والصحفيين المصريين وناقش معهم مشروع الوحدة الاندماجية بين البلدين في مقر صحيفة « الاخبار » ومقر مجلة « روزاليوسف » .

– ٣٠ يونيو ١٩٧٣ : قابل القذافي قيادات الاتحاد الاشتراكي العربي بالقاهرة وطالب غالبية المتحدثين المصريين بإتمام الوحدة على مراحل ورفض القذافي هذا الطلب مبينا ان الوحدة الاندماجية الفورية والشاملة هي التي يكتب لها الاستمرار وصرح بصفة خاصة قائلا : « اذا كانت ليبيا بدون ميثاق وطني او دستور دائم فرد ذلك الى انها لا تريد تأكيد شخصيتها كدولة وهدفها من ذلك بالتحديد هو تسهيل هذا الاندماج » .

وأيا تكن حجج القاهرة في مجال تبرير موقفها (وقد انصبت هذه الحجج على الأحداث الداخلية التي وقعت في ليبيا بعد توقيع اتفاقية بنغازي .. ولم تكن

— ٤ يوليو عام ١٩٧٣ : التقى القذافي بالقيادات النسائية المصرية بالاتحاد الاشتراكي العربي بحضور السادات وصرح ضمن تصريحات اخرى بأن المهم ليس تحقيق الوحدة ولكن المهم هو تأمين وضمان نجاحها وأي حوار حول ترتيبات تحقيق هذه الوحدة يجب ان يأخذ امرين بعين الاعتبار :

أولا : الثورة الليبية تمثل الشباب المتجدد واستمرارية الثورة المصرية .

ثانيا : الروابط بين مصر وليبيا روابط مصير وستظل هكذا سواء اتحد القطران او لم يتحدا »

— ٥ يوليو ١٩٧٣ : اتخذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة الأهرام موقفا يؤكد فيه الوحدة الاندماجية الفورية بين البلدين مرتئيا ان الوحدة ستعطي الجبهة المصرية امتدادات هائلة الأمر الذي سيؤثر مباشرة على توازن القوى الاستراتيجية والتكنيكية للمنطقة واشار الى ان الدولة الجديدة يمكنها ان تستغل لمصلحتها ازمتي الطاقة والنقد.

— ١٠ يوليو عام ١٩٧٣ : توصل القذافي والسادات الى اتفاق مبدئي لاجراء استفتائين على الوحدة الاندماجية على ان يجري لأول مرة في اول سبتمبر عام ١٩٧٣ ويتناول مبادئ واسس الوحدة الاندماجية ويجري الثاني في اول سبتمبر عام ١٩٧٤ ويتناول دستور الدولة الجديدة واختيار رئيسها .

— ١٨ يوليو عام ١٩٧٣ : بدأ الآف الليبيين « مسيرة الوحدة العربية » انطلاقا من رأس جدير قرب الحدود التونسية . وقرر المشتركون في المسيرة ومن بينهم ممثلون عن الحركة الطلابية ان يصلوا الى القاهرة في ٢٢ يوليو.

— ١٨ يوليو عام ١٩٧٣ : وجه السادات رسالة الى القذافي يدعوه فيها الى اتخاذ موقف حازم وحكيم حيال المسيرة الليبية المتجهة نحو القاهرة من اجل المحافظة على مبادئ ثورة ٢٣ يوليو ولتجنب انحراف القوى الثورية عن اهدافها .

— ١٩ يوليو عام ١٩٧٣ : سافر حافظ غانم الامين العام للاتحاد الاشتراكي المصري الى طرابلس لمقابلة القذافي فابلغه القذافي انه مستقيل من منصبه ومن ثم لا يمكن عمل شيء .

— ٢٠ يوليو ١٩٧٣ : القاهرة تعلن ان القذافي استقال في ١١ يوليو عام ١٩٧٣ .

— ٢١ يوليو ١٩٧٣ : اوقفت مسيرة الوحدة بعد ان عبرت الحدود المصرية وحطمت الحواجز بين البلدين رفض مجلس قيادة الثورة استقالة القذافي ـ حافظ غانم في القاهرة ـ وفد من منظمي « مسيرة الوحدة » يحمل وثيقة مكتوبة بالدم ـ صدر بيان في القاهرة جاء فيه : « ان العقيد القذافي وجميع اعضاء مجلس قيادة الثورة على رأس الثورة الليبية هو احد الشروط الاساسية لبناء الدولة المصرية الليبية الجديدة . ـــ

الثورة الشعبية والثقافية بمطروحة ، ولا يمكن تصديرها الى مصر كما ينوي الرئيس الليبي) ، وأيا تكن الدوافع العميقة الكامنة وراء الاعلان الرسمي (قد يكون القلق الذي ولدته « النظرية الثالثة » وخصوصا التخوف من تطبيق تعاليم الاسلام جذريا ، بالاضافة الى سياسة بترولية وموقف من القضية الفلسطينية لا يعترف بالمساومة) ، وسواء كنا من مؤيدي أو من معارضي موقف السادات الذي لقي تجاوبا من الرأي العام في بلاده (وخصوصا من نساء مصر اللواتي رأين أن دور المرأة في المجتمع كما يراه القذافي يشكل خسارة للكثير من الحقوق المكتسبة[1]) ، اذن ، أيا تكن الحجج والمواقف ، يبقى هناك واقع سجلته الصحافة العالمية وهو أن شريك القذافي قد « تخلى عنه » . وهذا هو العنصر الاساسي الذي لا بد من أخذه بعين الاعتبار ، لادراك نتائج الخيبة وفعلها في نفس رئيس الدولة الليبي .

وامام رفض القذافي سحب استقالته قدم مجلس قيادة الثورة استقالته الجماعية

– ٢٢ يوليوعام ١٩٧٣ : عادت « مسيرة الوحدة » الى ليبيا حيث عمت المظاهرات جميع ارجاء البلاد مطالبة القذافي بان يتراجع عن قراره .

– ٢٣ يوليوعام ١٩٧٣ : اعلن القذافي سحب استقالته وصرح بأن « الوحدة مع مصر حتمية حتى لو كان الثمن « حربا » اهلية واضاف قائلا : ان الفساد والمحسوبية واللارقاربه والمكتبية تسود مصر اليوم . ويجب القضاء على كل هذا والوسيلة الوحيدة لذلك هي الثورة الشعبية فهي وحدها التي تسمح للشعوب بأن تفرض ارادتها فضلا عن ذلك فان عبد الناصر كان يريدها .

– أول أغسطس عام ١٩٧٣ : توجه برئاسة عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء المصري الى طرابلس بهدف مناقشة القذافي والمسئولين الليبيين حول ترتيبات الوحدة . ولم يعد هذا الوفد الى القاهرة الا بعد ذلك بعشرة ايام .

– ١٦ اغسطس ١٩٧٣ : وصل القذافي بطريقة مفاجئة الى القاهرة وكان السادات في السعودية لمقابلة الملك فيصل سريا .

– ٢٧ أغسطس عام ١٩٧٣ : اجتمع القذافي والسادات على انفراد لمدة تزيد على اربع ساعات .

(١) لتأتي المرأة المصرية وتتعرف على الحركة النسائية في ليبيا وكيف تتمتع بحقوق تحسدها عليها المرأة في أوروبا .

ووسط التراجعات والتحولات التي يتضمنها حتما مخطط واسع كمخطط الوحدة العربية ، ورغم ما يتوقعه من مصاعب – صاحب هذه الرؤى البعيدة هو أيضا واقعي – كان لا بد وأن يتألم القذافي للارتداد المصري ذلك أنه صادر عن أقرب البلاد العربية إلى قلبه وهو من جهة أخرى مقرون في ذهنه ، بحنث الوعد . وهذا عمل ممقوت ولا يطاق بالنسبة الى رجل رفع الشرف والحقيقة شعارا ، حتى في السياسة . ووصفُ بعض الاوسط الغربية وبعض الحكام العرب لموقفه هذا بالسذاجة ، لا يمنع الجماهير من الاعجاب به . وهو يعرف ذلك . ومن اعجاب الجماهير يستمد قوة التغلب على « الخيبة » ، وكذلك من السند الشعبي الذي بني عليه آماله . ويخطئ من يتصور أن رئيس الدولة الليبية قد يساوم أو يلين في موقفه السياسي .

وفي أول سبتمبر ١٩٧٠ وبمناسبة الذكرى الاولى للثورة قال : « ان الجمهورية العربية الليبية تعلن بكل صراحة أنها ترفض أية صيغة من صيغ التحالف أو المعاهدات أو الاتفاقيات بين مختلف أعضاء الامة الواحدة ... وترفض هذه الصيغ العتيقة البالية التي لا يمكن تصورها الا بين دول أجنبية » .

انه ليس من طراز الذين يساومون على مبدأ الوحدة لا مع مصر ، ولا مع أي من الدول العربية الاخرى . فهذا المبدأ مقدس في نظره بل ويمثل اتجاه حياته ونضاله . وقد قال في مناسبة أخرى : « ان كل القضايا المتعلقة بالوحدة نحن نؤمن بها ايمانا راسخا لأننا وحدويون من قبل أن نصل الى الحكم ، بل ومن قبل أن ندخل الجيش .. واذا كنا قد ثرنا من أجل هذه المبادئ وضحينا وكافحنا من أجلها سنين طويلة فالآن ونحن في المسئولية على استعداد لان نحارب في سبيلها ... لا يستطيع أحد ولا أي قوة في العالم أن تثني حركة الضباط الوحدويين الاحرار – التي تمثل الشعب الليبي – عن تأدية هذه المهمة ولولا الوحدة العربية ما أقمنا تنظيما ولا فجرنا ثورة . وعليه فان القيادة في الجمهورية العربية الليبية مصممة على تحقيق هذه الاهداف ولو بدمائها لأن حياتنا مرتبطة بهذه الوحدة ...

ولو رفض الشعب الليبي بكامله الوحدة العربية ، فسأبقى بنفسي أكافح في

سبيلها ... والنقطة الوحيدة التي سأقبل أن أكون فيها في جانب والشعب الليبي في جانب ، هي الوحدة العربية . وبمعنى آخر ، اذا كان الشعب الليبي أصبح غير وحدوي ، فلن أكون معه ، لانني وحدوي بكل جوارحي » .

وفي مخطط الوحدة الشاملة تمثل الوحدة الاندماجية مع مصر أكثر من مرحلة أولى بالغة الاهمية . فانطلاقا من هذا الاتحاد يبدأ كل شيء . فهناك ما هو في رأيي ، أقوى من كل الحجج والعناصر السياسية والاقتصادية وغيرها مما يبرر هذه الوحدة (١) .. هناك تعلق شبه عضوي لرئيس الدولة الليبية بالثورة المصرية وبشخص وبذكرى جمال عبد الناصر ، وهناك حب حقيقي للبلد الكبير المجاور الذي انطلقت منه نداءات الحلم والملحمة . وهناك نوع من « الحمى » تذكرنا بتلك التي دفعت عبد الناصر على طريق دمشق . لكن في حين كان عبد الناصر يتجاوب – وقلبه منقبض من الاحاسيس المسبقة – مع نداء الجماهير ، يضطر القذافي الى التعامل مع رئيس دولة وجهاز معقد مثقل ، لا يمكن حثّه على السرعة

---

(١) وقد لخصت تريز ويصا واصف – من المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية بباريس هذه العوامل في مقال طويل صدر في عدد مارس ١٩٧٣ من مجلة « المغرب » ان مصر التي تعاني معاناة من كثافة سكانية متزايدة يمكنها ان تقدم فائض اليد العاملة الى ليبيا التي تحتاج اليها احتياجا ماسا اذ يصل افتقارها الى اليد العاملة الى حد اضطرارها لدعوة الجيش لجمع محصول الزيتون والى حد ان السفن تنتظر احيانا عدة ايام في ميناء طرابلس لكي يتم تفريغها .

ويمكن لمصر ايضا ان تمد ليبيا بالكوادر الادارية والفنية التي تنقصها او تقدم لها خبرتها في التنمية الزراعية كما يمكن لليبيا من جانبها ان تمد مصر بتسهيلات مالية ضخمة .

« اذ بعد تفكك الروابط مع الاتحاد السوفيتي الذي قدم لمصر قروضا بفائدة لا تزيد على ٢،٥٪ بالنسبة للمشروعات الجاري اقامتها (مجمع الحديد والصلب ومحطة ضخمة لتوليد الكهرباء ومجمع الألومنيوم والاحواض الخافة ومصانع السماد وشبكات مد الكهرباء اصبحت هذه المساعدة ضرورة ملحة كما ان « الرأسمال الوطني » المصري يمكنه ان يجد بابا له على الرأسمالية الغربية من خلال شركات مصرية ليبية مشتركة تكفل التنمية في البلدين ويمثل النفط الليبي ميزة سياسية اخرى بالنسبة لمصر اذ يمكنها ان تستخدمه كوسيلة للضغط السياسي على اوروبا التي تخضع له الى ابعد حد . واخيرا يمكنها في حالة الحرب ان تستخدم الأراضي الليبية كعمق استراتيجي » .

مهما كان اندفاعه ، وعليه أن يتوجه إلى شعب أوهنته هزيمة ١٩٦٧ ، وأرهقه الجمود الذي تبعها ، وأتعبه الانتظار ، وفقد ثقته بحكامه .. انها مهمة يائسة ولكنه لا يستطيع الاّ القيام بها باصرار ، تشوبه بعض الهفوات . وهو ان وجد الكلمات البسيطة ليشرح لليبيين المصلين معه في المسجد ، تكامل البلدين[1] الاّ انه يطلق لحماسته العنان حين يتذكر – أمام جمهور مصري – الأسباب التي عجلت بموت عبد الناصر ، ودور مصر الفريد من نوعه داخل العالم العربي :

« لا بد لهذه الأمة من وقفة أمام عشرين عاما من الثورة ... وقفة أمام تجاربها لتقييمها .. ولا بد أن نكون صرحاء ، بعيدين عن مجاملة أو مداراة أحد ، والأمر هو أن الأمة العربية كانت أمة عاقة لجمال عبد الناصر الذي ناضل من أجلها حتى قضى نحبه .... وكان عقوق الأمة العربية أكبر من أن يتحمله قلبه الكبير فتوقف . والحقيقة أن الأمة العربية لا زالت عاقة أيضا بالنسبة للشعب المصري العظيم ، ذلك الشعب الذي قدم التضحيات الكثيرة من أجل تلك الامة : لقد قاتل الشعب المصري مع الجزائر ضد فرنسا ، وضحى بـ ١٥ ألف من أبنائه في سبيل حرية الشعب اليمني وعندما عاد الجيش المصري إلى بلاده لم يجد جزاء ولا شكرا ، ومن هنا فان الناس الذين يقولون أن مصر تريد أن تستعمر البلدان العربية الأخرى عليهم أن يخرسوا أمام تلك الحقائق . لقد تخطت الثورة الليبية العقبات التي تسقط فيها الثورات العربية وهي الوقوف موقف الند من عبد الناصر... وموقف الند للند من ثورة يوليو... هناك انقلابات عسكرية هزيلة حدثت بعد ١٩٦٧ يسمونها بالثورة .. يعني من آخر المهازل في الساحة العربية أن تحدث انقلابات عسكرية

---

(١) يجب الا يشك أحد ولو لحظة واحدة ان الوحدة تنقص من الثورات فمصر عندها النيل ، ونحن عندنا النفط وعندنا الارض مصر عندها البشر والأيدي العاملة والبلدين محتاجين ومكملين لبعضهما ....

نحن محتاجون للحاجات الموجودة في مصر ، ومصر محتاجة للحاجات الموجودة عندنا » وعلينا سويا تشييد دولة قوة دولة عظيمة كتلك التي نسمع عنها من حولنا » .

(في خطاب بمسجد طرابلس يوم ١٩٧٢/١١/٦ .) .

وتدعي أنها ثورة حقيقية ... لا يحركهم في ذلك سوى حقدهم على مصر وعلى جمال عبد الناصر.»

«من خطاب ألقاه بمعسكر ناصر يوم ٢٣ - ٧ - ١٩٧٢» .

ومن أجل هذا الدور الفريد الذي يعترف به القذافي لمصر انما يريد أن يكون الاندماج كاملا بين البلدين . اذ أن ما يحلم به ، مصر أكبر . وأغنى . وأقوى ، وأكثر نقاء ، يجددها ويبعثها شباب وايمان شعبها ، ويريد أن تكون الوحدة معها رافدا يصب بالطبع في النهر الكبير للوحدة العربية . لقد فاض هذا النهر في الأراضي المصرية ؟ وكيف يمكن للشعوب العربية أن يداخلها الاحساس بأن ثمة انتقاصا لقدرها مع فكرة الذوبان في هدير هذه الأمواج القادرة على أن تجرف كل ما يقف في طريقها ؟ لقد قال أحد الصحفيين اللبنانيين للعقيد القذافي[1] :

«أن ما يعطل الوحدة هو هجس البعض وتخوفهم من ابتلاع الكبير للصغير» فرد عليه ببساطة قائلا : اننا دولة صغيرة ولا يداخلنا أي هاجس أو خوف من أن يبتلعنا أحد مهما كان ... واننا نعمل من أجل الوحدة ما لم يفعله أحد من قبل . أما امكانية فكرة الابتلاع هذه فليس لها وجود بالفعل إلا في أذهان بعض الحكام العرب الحاليين وبدونهم كان يمكن للوحدة أن تتحقق منذ فترة طويلة . فأردف محدثه قائلا : «هذا يعني أنكم توصون بتصفية هؤلاء الحكام ؟ فلم يتهرب القذافي من الرد وقال : «اذا كانت نتيجة اسقاطهم تعني تحقيق الوحدة فليكن . اذ يجب أن تتحد هذه الأمة مهما كانت التضحيات التي يتعينّ علينا تحملها لأنه ليس هناك حل آخر سوى الوحدة . فالوحدة هي عوامة الانقاذ التى تخرجنا من الوضع الذي يكبلنا وتوصلنا الى حل افضل» .

ولكن حبه لمصر لا يمنعه عندما يوجه حديثه الى المثقفين المصريين في ٩ يوليو عام ١٩٧٣[2] من أن يذكرهم الى أي حد كان كل تحركه - منذ أن

---

(١) فؤاد مطر - جريدة النهار - بيروت .

(٢) حوار في مقر صحيفة الأخبار القاهرية .

أصبح رئيسا للدولة الليبية - محكوما باخلاصه لبلادهم : « لدى شعور بأنكم متخوفين من الثورة الشعبية التي حدثت في ليبيا ، واني أدعوكم للذهاب إلى ليبيا لكي تقفون بأنفسكم على حقيقة ما لدينا . نحن لم ندع مطلقا أن الثورة الليبية هي ثورة رائدة في العالم العربي ، بل على العكس نحن نكرر دائما أنها ليست سوى امتداد لثورة ٢٣ يوليو المصرية ... وما يحدث الآن في ليبيا يجب أن يكون موضع فخركم ، لأنه ليس سوى ثمار ما زرعتموه بأنفسكم . اني أتعجب من عدم ادراككم لمعنى هذه الثورة ... نحن نتجه نحوكم لايماننا بكم ... وأنتم تطلبون منا أن نكفر بكم ... وتفرضون علينا الضغوط الشديدة جدا لكي ننعزل عنكم ... ومع ذلك نقاوم كل هذا . نحن الوحيدين الذين يدافعون عن مصر وعن شعبها باستمرار وفي أي محفل كان سواء عربي أم عالمي . لقد ساءت علاقاتنا مع السودان ، ومع الجزائر ومع سوريا ومع اليمن ومع بلدان عربية أخرى من أجل مصر. فعندما قبلت مصر مشروع روجرز في عام ١٩٧٠ (بشأن النزاع العربي الإسرائيلي) حدثت ردود فعل في البلدان العربية كلها تندد بهذا القبول وتؤكد على ضياع القضية العربية بأكملها . أما نحن فقد أصدرنا بيانا وكان الوحيد الذي أصدر في البلاد العربية وللأسف رغم انه كان لصالح مصر فلم ينشر منه الا مقتطفات فقط . وقد كان البيان الوحيد أيضا الذي لم يحمل أي تجريح ضد عبد الناصر لأننا نعتبر أن عبد الناصر لا يمثل شخصه فقط .. فهو رمز لثورة الأمة العربية وآمالها ، ويجسد مرحلة تاريخية لهذه الامة . وإذا كنا نؤكد في هذا الوقت من جديد على أن الصراع الذي بيننا وبين اسرائيل هو صراع وجود وصراع حضاري فقد التزمنا بعدم نقد مشروع روجرز مباشرة لأننا لا نقبل التشكيك في مصر أو النيل منها في مرحلة من مراحل تاريخها ومن أجل الوضع الذي توجد فيه مصر ، فهي مجبرة على اقامة علاقات طيبة مع العربية السعودية والكويت وامارات الخليج ، ومع تونس .... باختصار مع العالم أجمع ومن بينه الاتحاد السوفيتي ونحن من أجل مصر التزمنا الصمت ، لولاها كنا حددنا موقفنا ووجهة نظرنا بكل طرقنا وأساليبنا الاعلامية التي تصل وتنتشر في جميع أنحاء العالم . ولكننا أمسكنا عن المهاترات وعن شن أية حملة كانت .. كل ذلك خوفا من أن يلحق بمصر أي

ضرر أو أذى .... ؟

واختتم القذافي حديثه قائلا : « لقد دفعت مصر من دمائها ثمنا للقضية العربية وعندما نتحدث لصالح مصر، فليس هذا لمصلحة مصر ولكن لمصلحتنا جميعا لأن القضاء على مصر قضاء علينا بأكلنا ، وان أعداء مصر هم أعداء لهذه المنطقة وأعداء لكل الأمة العربية » .

وليس هناك ما يثني القذافي عن مشروع وحدة البلدين حتى ولو تعلق ذلك بشخصه – افلم يعلن مرار وتكرارا انه سيتخلى عن تسيير أمور الدولة الجديدة فور أن تتحقق الوحدة – أو بالتضحيات التي تبذلها ليبيا في سبيل هذه الوحدة يمكنه أن يزعزع إيمان القذافي بضرورة الوحدة الاندماجية بين البلدين .

وهو يرفض باستنكار أية محاولة تهرب كما أن بعض المقترحات – المستوحاه من انتهازية سياسية – يحكم عليها الغير بأنها مقترحات « حكيمة » قد انتزعت من قلبه هذا الصراخ : « في كثير من الأقطار العربية أو في بعضها يقولون أن مصر في هذه المرحلة لديها جزء محتل من أرضها وعلينا أن ننتظر . وهذا كلام أريد أن أسلط عليه الضوء ، وهو أن التقهقر عن الالتحام مع مصر يعتبر جبنا ......

اذا كانت أرضها محتلة ... إذن هذا هو الظرف المناسب الذي لا بد أن نلتحم فيه مع مصر وأن نتحمل المسؤلية معها . واذا كان الاستعمار الصهيوني يتحدى مصر فان تحديه هذا يعتبر تحديا للأمة العربية كلها . واذا سقطت مصر ، معناه أن الاقطار العربية كلها ستسقط واذا تركنا مصر تواجه تحدي الاستعمار بمفردها في هذه الحالة نكون جبناء : لقد أصبحت الوحدة العربية مطلبا تدفعه الكرامة أكثر مما تدفعه أية ضرورة أخرى .[1] » .

الكرامة ... هي كلمة تتردد دائما في هذه الفاجعة . وبما أن فصول هذه الفاجعة لم تنته أحداثها بعد ، فانني لم أجسر من جانبي على أن أطرح أي سؤال

---

(١) في خطاب القاه في تونس في ٢٦ – ١٢ – ١٩٧٢ .

بهذا الشأن على رئيس الدولة الليبي . ولكن هذا ما قاله القذافي في هذا الصدد عندما وجه اليه أحد الصحفيين اللبنانيين سؤالا بهذا الشأن :

« ان ما يهمني قبل أي شيءٍ آخر وفوق أي اعتبار أن نفعل ما نراه صحيحا . وعليه يجب أن نفعله ما دمنا قادرين عليه .... هذا بالطبع فيما يتعلق بنا أما ما قد يحدث في المستقبل ... فليس من شأننا .[1]

ولما كنت قد تنقلت كثيرا في هذه المنطقة ، أعتقد أن في وسعي التأكيد على أن ايمان القذافي بامكانية التوصل ذات يوم إلى التعامل مباشرة مع الجماهير العربية – نظرا لعدم امكانية التفاهم مع حكامهم – ليس حلما صعب المنال كما يزعم أو كما يعتقد بعض المراقبين الغربيين . إن مسيرته لا تختلف كثيرا عن مسيرة جمال عبد الناصر الذي كان يهتم هو أيضا في الدرجة الأولى بأن يسمعه جميع العرب أينما كانوا يتواجدون ولا يمكن لأحد أن يشكك اليوم في أن « صوت العرب » – الذي كان ارساله يصل عبر الأثير من القاهرة الى أقصى المناطق النائية في العالم العربي – قد حرّك الكثير من الناس الذين اكتشفوا في آن واحد الراديو الترانزستور وامكانية التخلص من الاستعمار . أما من جهة الحكام العرب فلا ينطبق عليهم هذا ، ومن ثم يتتبعون بقلق مبادرات القذافي وخطبه البينة بوضوح لا يخفي على أحد ، وهم ابتداء من ملك المغرب إلى الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون يسارعون إلى معارضة ما يدعو اليه بعنف وشدة .

ومن الصعب ، بل من المستحيل التنبؤ منذ الآن بنتيجة نضال القذافي ، الخاضعة للمفاجآت ، فبقدر ما تسمح لنا سرعة التطور التاريخي بتحقيق مشاريع كانت في الماضي تستغرق أجيالا كاملة ، بقدر ما يتخطى الزمن الحاضر مشاريع كثيرة وهي بعد في طور التخطيط . ومهما يكن من أمر فانه من المضحك ، كما وأنه خطأ تاريخي فادح ، أن ندعي كما فعل السيد « سكوت » في كتابه

---

(١) حديث مع اسعد المقدم رئيس تحرير مجلة « الاسبوع العربي » اللبنانية .

حين قال : « إن الأمة العربية لم تعش سوى بضع سنوات بنشوة انطلاقة بضع آلاف من الفرسان . ولم تترك هذه النشوة من أثر الفتوحات والامجاد الاندلسية سوى ذكرى ما تزال تنبض بالحياة وانقسامات لن تنتهي » .

وتعتبر سياسة الرئيس الليبي المتعلقة بالقضية الفلسطينية سياسة واضحة محددة المعالم . وتختصر بالآتي : « يريد القذافي القضاء على اسرائيل ولن يثنيه عن هذا الهدف أي شيء » . ويعني هذا التفسير لموقف القذافي أن المراقبين يجهلون موقفه الحقيقي أو هم مطلعون عليه بشكل ناقص . فالاختصار في رأيي سطحي ولا بد وأن يؤدي الى استنتاجات لا تقل عنه سطحية . ويتم تقييم سجل سياسة القذافي على أساس النوايا التي تعزى إليه ويشمل قراراته في المجال البترولي وعلاقاته بالعالم الغربي ومحاولاته لتحقيق الوحدة العربية وكل مبادرة يتخذها تجاه مختلف الدول الافريقية والاسيوية . وما يصيبه من نجاح أو فشل راجع في نظر المراقبين الى مدى تقبل أو رفض الفريق الآخر ، أي كان ، لموقفه من اسرائيل ، حتى بات النزاع العربي – الاسرائيلي يشكل العنصر الحاسم لجميع قراراته . فلو اقتصرت أمثلتنا على كتاب السيد سكوت ، المشار اليه في السابق ، لرأينا المؤلف يؤكد على أن « طريق الوحدة العربية تمر حتما بالقضاء على دولة اسرائيل واستعادة الشعب العربي لارض فلسطين » . وأورد هذه الكلمات ليس لأنها تمثل الرأي الشائع حول القذافي والقضية الفلسطينية فحسب ، وليس لأنها تلجأ الى تعبير « القضاء على اسرائيل » المستعمل دائما في معرض الحديث عن الرئيس الليبي ، بل لأنها تقلب مفاهيم القضية رأسا على عقب . والواقع هو أن حلّ النزاع العربي الاسرائيلي ليس شرطا ضروريا لتحقيق الوحدة العربية ، بل انه سيكون نتيجة لهذه الوحدة . وليس هذا بمثابة تفصيل بسيط ولا هو من نوع الجدل البيزنطي . وأعتقد أن القارئ الذي تتبع حتى الآن طرح الافكار الاساسية للرئيس الليبي يوافقني على ذلك . ولا شك في أن النزاع مع اسرائيل يتخذ في نظره أهمية بالغة . لكن لا أحد ينكر أن هذا هو حال جميع الزعماء والشعوب العربية ، بغض النظر عن اختلاف المواقف ودرجات الحماسة . والقذافي من هذه الناحية زعيم ومواطن عربي مثله مثل الآخرين . وما يميزه عنهم هو أسلوبه المباشر والواضح الذي يعتمده

في اعلان مواقفه .

وهناك مواضيع لا يحب الرئيس الليبي أن يتوسع فيها مع الذين سنحت لهم فرصة التحدث اليه طويلا . وهذه الفرص نادرة . فمن شبه المستحيل أن تجعله يفتح ملف النفط مثلا . والنزاع العربي الاسرائيلي هو أيضا من ضمن تلك المواضيع . لكن يعتقد القذافي أن موضوع البترول أكثر تعقيدا وتقنية من أن يناقش في حديث عام الا في حدود المبادئ العامة لسياسة بلاده النفطية ... وهناك أسباب واضحة للحذر الذي يلتزمه ، خصوصا وأن المفاوضات ما تزال جارية بين الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط وبين الشركات المستثمرة ... أما موضوع النزاع العربي – الاسرائيلي فيعود حذر القذافي بشأنه الى أسباب من نوع مختلف تماما. فانك تلمس في حديثه تحفظا مؤلما تجاه الجرح الذي يشكو منه كل عربي حين تذكر أمامه خسارة حرب ١٩٦٧ وغيرها من الحروب السابقة التي بدأت مع ١٩٤٨ ، وربما يرجع الى أبعد ، الى عام ١٩١٧ – تاريخ وعد بلفور – وهناك من جهة أخرى اقتناع بأن الصمت وحده جدير بمثل هذه المأساة ، وأن تصريحات رؤساء الدول العربية وأجهزتها الاعلامية قبل وبعد ١٩٦٧ ، قد أساءت الى القضية العربية مضيفة الضياع والتناقضات الى المتاعب الهائلة التي تتخبط فيها دول المواجهة العربية . وهناك أخيرا الاصرار على أنه قد وضح علنا وبالتفصيل ، في خطبه وتصريحاته ، موقفه من النزاع وأنه لا مزيد على ما قيل ولذلك أجاب بنفاذ صبر : « أنا بالطبع ، ضد وقف اطلاق النار... من واجبنا أن نحارب ولا أرى ما يمنعنا عن ذلك . هناك جمود ، أعتقد أن المسؤول الأول عنه هو الاتحاد السوفييتي . فالدول التي يتعامل معها ، وخصوصا مصر ، لم تعد تعرف متى ستتلقى المعدات التي تطلبها ، بعد شهر ، بعد سنة مثلا ؟ لا يعرفون حتى إذا كان الاتحاد السوفييتي سيلبي احتياجاتهم بنوع خاص ، من الاسلحة الهجومية.. لكن رغم ذلك يبقى الاتحاد السوفييتي على علاقة طيبة بالعرب . هذا ما يزيد في تعقيد الامور ويجعل الاوضاع مبهمة لدرجة اننا نضيع فيها . ويميل العرب إلى الاعتقاد بأن النزاع العربي الاسرائيلي يهم الاتحاد السوفييتي كما يهمهم هم أنفسهم . لكن حتى لو اعترفنا بأن أزمة الشرق الاوسط تهم الاتحاد السوفييتي ، فلا

يسعنا تحديد مستوى هذه الاهمية ..

– لكن يا سيدي الرئيس ، يبدو أن العرب لا يستطيعون مواجهة اسرائيل – حتى من زاوية محددة تقتصر على تحرير الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ – دون مساعدة خارجية .

– اذا كنت تعنين الانتصار على اسرائيل ، فأنا اعتقد أن مواجهة العرب للقضية لا تكون أبدا عن طريق المساعدات الخارجية .. عليهم بالعمل في الداخل .... فلم تنتصر اسرائيل لأن العرب لم يتلقوا مساعدات خارجية ، بل انتصرت بسبب ضعفهم وتفرقهم في الداخل .

– وهناك أيضا تفوق تقني من قبل اسرائيل على الدول العربية ، لا ينكره أحد .

– انها مسألة ايمان قبل أي شئ آخر . اؤكد لك أن هناك أكثر من دولة عربية ، هي وحدها أقوى من اسرائيل ... والقوى العسكرية متوفرة لدى العرب وهي أعظم من القوى الاسرائيلية . لكن معنويات الاسرائيليين وحدهم أرفع بكثير من معنويات الدول العربية مجتمعة . هذه هي الحقيقة . ليست القضية قضية تسليح . إنها قضية عقلية . يتصور بعض الحكام العرب أن الحل سيأتي بنفسه من الجمود القائم حاليا . بتعبير آخر ، يأملون أن يقترف عدوهم خطأ يستفيدون منه . وبما أن الحكام الذين لهم هذا التفكير ما يزالون في مواقع المسؤولية ، فنكون مضطرين للاعتراف بأن شعوبهم تشاركهم الرأي .... لكنني أعتقد أن هذا كله خطأ . نحن لا نصدق هذه الادعاءات . نحن متأكدون من كوننا قد وصلنا الى وضع لا يقبل التراجع وأن التحكيم في هذا النزاع لا بد وأن يتم بالسلاح .»

هل نستنتج من ذلك أن القذافي يدعو إلى استئناف القتال والقضاء على اسرائيل ، كحل وحيد ممكن ؟ هل نستنتج أن اعتراضه على دولة اسرائيل هو اعتراض مبدئي لا يتحمل أي مساومة ، وأن أي محاولة لاحلال السلام ستلقى الرفض القاطع من قبل ليبيا ؟ في رأيي أن أي تحليل لما أعلنه القذافي في خطبه

أو في تصريحاته الصحفية ، لا يسمح لنا بالتوصل الى تأكيد حاسم من هذا النوع . ذلك أن موقف الرئيس الليبي الواضح والحازم بالنسبة لعمق القضية - أي الحقوق الثابتة للفلسطينيين - لا يحمل بعض الليونة ليس فقط فيما يختص بالحلول الممكنة ، وانما أيضا فيما يتعلق بمواقف هذه وتلك من الدول العربية المشتركة مباشرة في النزاع .

وقد ازداد موقف القذافي حزما بعد أن طال زمن الاحتلال الاسرائيلي للاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ ، وبسبب تصرفات اسرائيل وتصريحات بعض المسؤولين فيها . ازداد موقفه صلابة وبات يتحدث عن نقطة اللارجوع وعن « الاحتكام الى السلاح » . ولا أعتقد أن الرئيس الليبي قد يقدم اليوم على ما حاول عمله في العام ١٩٧٠ من اعداد خطة لحل النزاع العربي الاسرائيلي . وان كانت فكرة هذه الخطة ما تزال في أساس تفكيره وما تزال تقضي بأن يتم حل القضية الفلسطينية في اطار الأمة العربية (أوما يسمونه في ليبيا « قومية المعركة ») وخارج أطار أي تدخل خارجي سواء كان من الامم المتحدة أومن الدول الاربع الكبرى . لكن السنوات الثلاث الاخيرة التي شهدت ازدياد التصلب الاسرائيلي - او على الاقل بعض المسؤولين المنتمين الى فريق « الصقور» - والتي شهدت قمع ، بل وتفتيت المقاومة الفلسطينية ، مع كل ما ينتج عن ذلك ، أقنعت القذافي بأن دول المواجهة لم تعد تهدف الا الى استعادة اراضيها . وأنه طالما أن الدول العربية مجتمعة لا تتفق على مواجهة اسرائيل كوجود عدائي واقعي ومستمر ، فلا يحق لاحد أن يمنع دول المواجهة من استرجاع أراضيها عن طريق « الحل السلمي » . بالطبع هو لا يخفي شعوره بالمرارة . ولا يخفي اعتقاده بأن هذه الحلول الجزئية تناقض المبدأ نفسه الذي من أجله اندلعت الحرب ثلاث مرات في الشرق الاوسط وأنها تهدد بزوال القضية الفلسطينية الى الابد ، خاصة أنه لم يعد يُؤتَ على ذكرها منذ أن اقتصر النزاع على سيناء والجولان والضفة الغربية . وهو اذ يكرر أنه لا يمكن أن يفرّط في حقوق الفلسطينيين يحاول بشتى الوسائل أن يفرق بين الموضوعين - موضوع الاراضي المحتلة وموضوع القضية الفلسطينية - محاولا التمييز ما بين السلام والاستسلام .

وهو لم يتردد في الاعتراف علنا بالعجز العربي وقد حدد استنتاجاته وموقفه في خطابين هامين. أحدهما القاه في أول يناير ١٩٧٣ ، بمناسبة الذكرى الثامنة لاندلاع الثورة الفلسطينية ، والثاني ألقاه في زواره يوم ١٥ ابريل من العام نفسه ، والذي عرف منه بنوع خاص الجزء المتعلق باعلان الثورة الثقافية. والخطابان متكاملان وبما أنهما يحيطان بجميع وجود النزاع العربي الاسرائيلي فقد رأيت أنه من المفيد ايراد ، مقاطع كبيرة منهما . وفيما يلي الخطوط العريضة للخطاب الأول :

« ان فكرة قومية المعركة منصبة أساسا على أنه إذا لم تتحقق قومية المعركة فمن حق كل قطر عربي أن يحل المشكلة بأي طريقة كانت . حتى ولو كانت بالاستسلام وهذا بالفعل ما نخشاه ... ليس بيننا واحد شجاع يخرج ليقول علنا لن أدخل قومية المعركة . وأن يكون لديه الشجاعة ليؤكد أنه لا يريد « التحدث عن فلسطين » ولا يوجد أحد بيننا يقرر أنه سيدخل المعركة .. وان المعركة معركته ويضع جميع امكانياته المادية في خدمتها ... هناك من يشترط في دخوله المعركة أن تعلن مصر مسبقا عن اعترافها بأخطائها وعليها يكونون مستعدين معها ... وهؤلاء يلذ لهم وجود مصر في مواجهة المشاكل ، واذا كانوا مستعدين للقتال ، ليس لانهم يعتبرون هذا واجبهم ولكن من اجل اذلال مصر ، واذلال مصر هو في الحقيقة اذلال لكل عربي .

فيما يتعلق « بالحل السلمي » للصراع العربي الاسرائيلي ، يجب ابراز ان هناك فرقا بين السلام والاستلام . فالحل السلمي يقضي بأن تنسحب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . ويجب أن تكون اسرائيل غبية لتوافق على الخروج من تلك الاراضي بدون قتال ... واذا فعلت فكفى الله المؤمنين شر القتال . اتعتقدون انه اذا ما انسحبت اسرائيل من سيناء سيجري أحد وراها ويقول لها : « انتظري لاننا نريد القتال معك ؟ » وكذلك لو فعلت بالنسبة للجولان والضفة الغربية . والنقطة الهامة ليست في اختيار السلام أو عدم السلام . ولكن المهم هو اذا خرج الاسرائيليون من الاراضي المحتلة فأهلا وسهلا .. اما في حالة انهم يقررون البقاء ، فالمبدأ هو وجوب القتال .

ويلاحظ أن الحلول التقدمية التي جاءت من مصر ، لا تتكلم الا عن جانب واحد من القضية ... وبالتحديد عما يتعلق بالارض المصرية ، وغزة وسيناء وشرم الشيخ والمضايق ، ولم يرد فيها ذكر الجولان ولا ذكر الضفة الغربية . ووجدنا أنفسنا مضطرين للاعتراف بأن الواقع شيءٌ والتصريحات التي تقال شيءٌ آخر وأن الحقيقة هو أن كل دولة من دول المواجهة مع اسرائيل لا تفكر الا في الجبهة التي هي فيها ، وفي الارض التي احتلت منها عام ١٩٦٧ . لكن منطقنا هنا في ج .ع . ل . هو سبب الخلاف مع البلدان العربية الاخرى حول هذا الموضوع ، وهو خلاف جوهري على كيفية المعركة . وحسب ما تقول دول المواجهة :

ان اسرائيل موجودة بالفعل وبما انها كيان قائم ، بنحل المشكلة بيننا بمعاهدة أو باتفاقية أو بانسحاب سلمي .... وفي نظرنا نحن ، هذا الموقف لا يرد الا بين دولتين كل تعترف بوجود الاخرى وتأملان في تسوية النزاع على الحدود .... وحتى اذا اعترفت اسرائيل بالدول العربية التي حولها ، فان وجود اسرائيل مرفوض من جانبنا لأن اسرائيل ترفض وجود فلسطين ووجود الشعب الفلسطيني ، بل ان اسرائيل ترفض مجرد فكرة وجود شعب ودولة فلسطين العربية وشعبها ... مرفوضة ماديا من جانب اسرائيل ... وحول هذه النقطة المحددة نحن مختلفون اختلافا جوهريا مع بقية البلدان العربية . ومن وجهة نظرنا وحسب المعطيات الموجودة ، ان الذي سيحصل في المستقبل وحسب التصميم العربي والقناعة العربية هو حرب يضطر لها الحكام بسبب أو لآخر وأن هذه الحرب ستدور رحاها خارج الارض المحتلة . ستدور رحاها على أرضنا نحن ، وتكون نتيجتها تحطيم كل السلاح العربي الذي جمعناه بعد نكسة ١٩٦٧ ثم نأتي لشعوبنا ولدينا الف مبرر لضرورة قبول السلام وقبول الاستسلام والذهاب حتى الى الاعتراف باسرائيل وفي الحقيقة أن المشكلة بالنسبة لاسرائيل تتلخص في عزمها على تدمير القدرة العسكرية العربية . وهنا يصبح السلام حقيقيا بالنسبة لاسرائيل . وتكون حدودها مضمونة ... لهذه الأسباب يضغط علينا الشرق والغرب ، ومن الداخل ومن جميع الجهات وذلك ليضعفوا من قوتنا

الحربية ... ويريدون تفجير برميل البارود اما فوق سيناء ، أو فوق الجولان أو فوق الضفة الغربية ، حتى نجد أنفسنا في نهاية المعركة بدون سلاح ، وبعد ذلك نضطر الى الرضوخ .. ان العدو يخطط بهذا الشكل ونحن نحرك الامور على ما يبدو في هذا الاتجاه ... وهذه هي النقطة التي نخشاها والتي نحن مختلفون عليها أساسا . نحن لا نبحث عن استعادة الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ بأي ثمن ... فقد اصبحت القضية ثانوية . لقد ضاعت فلسطين ، ولم يعد أحد يتكلم عنها أبدا . حتى في الأمم المتحدة يخجلون من ذكر كلمة : « فلسطين » نحن نقول أن مشكلة العدوان هي التي يجب معالجتها فهل نقبل الهزيمة أو يجب قبول الصلح ؟ ان الاجابة على هذا يتطلب شجاعة نادرة ، لاني لا أجد أي قائد يمكنه أن يعترف بالهزيمة مثلما فعل عبد الناصر ، الذي خرج أمام العالم وأعلن النكسة وتحمل مسؤليتها وتنحي عن مهامه ..

ولكي نكون عند موقفنا الخاص بنا ، فقد قدمنا مذكرات عديدة حول مشاركتنا في المعركة وأعلنها لكم بكل صراحة أننا لا نريد حربا تدور فوق الارض العربية .... اذا كان هناك حربا ندخلها ، لا بد وأن تدور فوق أرض العدو... ويجب الا تكون معارك خاسرة . فعندما قرر العدو المبادرة بمهاجمتنا ، أعدت اسرائيل نفسها لجعل المعركة تدور فوق عواصمنا ... أما جيوشنا وفرقنا فقد تركها وراءه بعيدا لا يعيرها أي اهتمام . ولهذا نحن نحس بأننا مهددين في عواصمنا نفسها ، وضرب طرق مواصلاتنا ، ومطاراتنا ، ووسائل اتصالنا ، والاحياء العامة والمراكز السياسية والمناطق الاستراتيجية ؟ وضرب الشوارع والمدارس ، والبلاد كلها تكون في خطر ... فاذا ما قررنا الهجوم يجب أن تنقل الحرب فوق أرض العدو واذا كنا غير مستعدين لهذا .. فانني أقول لكم أن السلام الذي ترفضونه او الذي لا يتصوره البعض ، أو حتى بقاء الوضع على حالته الراهنة ، أفضل من المعارك الخاسرة التي نضطر لها اضطرارا من أجل التعبير عن وضع متململ والتي تكون نتيجتها ضياع السلاح السوري والمصري ..

اياكم وأن تستبشروا بسماعكم المعارك على خطوط النار أو أن هؤلاء الذين

يتظاهرون في الشوارع مطالبين بالحرب ليس لديهم أدنى فكرة عن خطورة القرار الذي يتخذ في مثل هذه الاحوال . وأخشى ما تخشاه اسرائيل هو الحرب الشعبية ... واخشى ما تخشاه هو العمل الفدائي . ويمكن ملاحظة هذا بسهولة ، عندما يخرج جندي او فدائي على الجبهة السورية مثلا نجد سربا من الطائرات الاسرائيلية تتسارع في ضرب سوريا ، ليس فقط لانها تريد اجبار أي واحد على عدم الخروج ... ولكن تريد أن تخوف بقية العرب جميعا .

واذا لا قدر الله تكررت هزيمة ١٩٦٧ ، وتحطمت القوات المسلحة فسنكون في وضع خطير للغاية ... ولا أقصد بهذا أن الامة العربية غير قادرة على تحمل هزيمة اخرى . اذا حكمنا هكذا ، فهذا حكم ساذج لأن أي أمة طالما هي موجودة فهي قادرة بحكم تكوينها على استئناف المسيرة وقادرة على الانتصار... ولكن فيما يتعلق بنا نحن فكل ما استطيع قوله هو أني شخصيا غير مستعد اطلاقا للدخول في معركة أعرف مسبقا أنها فاشلة ، ولست مستعدا لتحمل خزي الهزيمة .

ان مبدأ المعركة فوق أرض العدو ليست له أي صلة بتلك الشائعات التي تروجها اسرائيل حاليا حول مسألة « ضرب العمق » في البلدان العربية . نحن لا نعتمد أبدا الضرب في العمق الا اذا بالطبع بادرت اسرائيل بمثل هذا العمل وعليه نحن مضطرون للرد في العمق ايضا . وعندما نتكلم عن نقل المعركة على أرض العدو... فهذا لان القضية قضية وجود اسرائيل نفسها ، وليست عمليات العمق . الا اذا قيل صراحة أن فلسطين ليست لنا ، ويسلم بأن العدو اسرائيل موجود داخل حدوده ، وأن صراعنا ينحصر في حدود (أراضي) ١٩٦٧ . وأنا أقول أن حرب ١٩٦٧ اندلعت بسبب الفلسطينيين ... هم الذين يشكلون العنصر الحاسم في المعركة . وهم يلعبون حاليا دورا هاما في كل ما يدور فالضربات التي تتلقاها سوريا ولبنان سببها تحرك العنصر الفلسطيني . واذا ما تحركوا في اتجاه الارض المحتلة فان الدول التي تحميهم تتلقى الضربات من اسرائيل ... ولكن كيف يستطيع الفلسطينيون أن يكونوا على مستوى هذا الدور الخطير الذي يفرضه عليهم التاريخ ؟ أعتقد أن أول ما يواجههم هو مسألة التشتت داخل

المقاومة الفلسطينية ، ذلك التشتت الذي يعتبر مهزلة بالفعل واستطيع أن أذهب إلى القول بأنها تشكل خيانة حقيقية لفلسطين ... فالجبهة الشعبية مثلا انقسمت فيما بعد الى الجبهة الشعبية الديمقراطية ثم فيما بعد انقسمت الى الجبهة الشعبية للقيادة العامة ثم أخيرا الى الجبهة الشعبية الثورية . وتحت اسم تحرير فلسطين اعتنق هؤلاء الناس مذهب الشيوعية . والدعوة لالغاء الرأسمالية ... ولكن أين هي الدولة الفلسطينية في هذا كله ؟ ماذا يفيد من التحدث عن الرأسمالية وقضية العمال ... ونحن بصدد البحث عن كيفية اعادة الاراضي التي سلبها الاحتلال الصهيوني ؟ كيف يمكن مناقشة مشاكل العمال والمطالبة بحقوقهم من أصحاب المصانع ؟ أي منطق هذا الذي يدفعهم للتفكير والاهتمام بمثل تلك القضايا ؟ انهم يناقشون في مسائل بيزنطية في الوقت الذي يجب فيه مناقشة كيفية الهجوم على مستعمرة اسرائيلية مثلا ... وعندما تسأل أحدا عن سبب انضمامه الى الجبهة الشعبية ؟ يرد قائلا : لانها مع الفلاحين والعمال ولكن أين اذن الرأسمالية والاقطاع في نوع حالتهم هذه ؟ فالمرحلة اذن مرحلة اجتياز وتحرير كل الطبقات دون تمييز . تلك الطبقات التي يجب أن تكتل جهودها لقهر العدو المشترك وهو اسرائيل ، وبعد هذا يمكن التفكير في مسألة الغنى والفقر وامتلاك المصانع والمزارع . ان جماعة الجبهة الشعبية الذين يعتنقون هذه المذاهب لا يجدون حتى المكان الذي ينامون فيه بسلام ، والجميع يطردونهم ... ومع ذلك نجدهم يتكلمون عن الشيوعية ، والملكية ، ووجود الله وما إلى ذلك . اني أتأسف بالفعل على هذا الشباب الفلسطيني الذين يستمرون في تلك الصفوف ... أنتم تعرفون جيدا أنه اثناء مأساة « ايلول الاسود » في عام ١٩٧٠ والتي توفي بعدها عبد الناصر ، وبينما كنا مجتمعين في « مؤتمر القمة » للبحث في الاوضاع الراهنة ... كان جورج حبش يتجول فيما بين موسكو و بوخارست .

وفي الختام اكرر أن للفلسطينيين دورا أساسيا عليهم القيام به ويجب أن يكرسوا أنفسهم لهذه المهمة ، وأن ينتبهوا لها فقط . ولا بد أولا أن تنتهي مهزلة تكاثر الحركات ... ولتكن هناك جبهة واحدة فقط وتحدد قيادة واحدة . أما من جهة الفلسطينيين المبعثرين في كل البلاد العربية ، فلا بد من أن يتحدد دورهم

بمجرد أن تكون هناك قيادة فلسطينية جادة ... ثانيا ، هناك نصف مليون فلسطيني موجودين داخل اسرائيل . ومن هنا أيضا يجب أن نقرر خطة عمل لتحريك هذا الكم ، فماذا لو كان هناك في أي بلد عربي نصف مليون اسرائيلي ، هل تعتقدون أنهم سيبقون في سكون ؟ ... ثالثا فيما يتعلق بالفلسطينيين الموجودين خارج العالم العربي والذين تجنسوا بجنسيات أمريكية أو أوروبية ... أنا أرى أن تقوم منظمات المقاومة الفلسطينية بمطاردتهم أينما كانوا ، خاصة وأن عددا كبيرا منهم من أصحاب الملايين » .

وفي خطاب زواره ذهب القذافي أبعد من تقديره الواقعي للوضع . ولنحكم على ذلك من قوله : لقد عرضنا على لبنان بصورة رسمية أن ينتقل المتطوعون الليبيون إلى أرضه ، ولكن حكومة لبنان وبصورة رسمية أيضا اعتذرت عن قبول هذا العرض بأسلوب دبلوماسي . وعلى أي حال ومهما يكن الامر فان النتيجة هو أن لبنان يرفض أن يتواجد المتطوعون العرب بجانبه في تلك المنطقة . وهذه احدى الساحات التي اغلقت في وجه المتطوعين الذين يريدون قتال اسرائيل... ونحن نستخلص من هذا أن هناك سلطات عربية تحمي اسرائيل وتمنع مقاتلتها ...

ثم نأتي الى الجبهة السورية .. أقول لكم وكلي أسف أن كل المتطوعين الليبيين عادوا بعد ما يقرب من سنة ونصف .. فمنذ أن وصلوا الى تلك الجبهة لم يتمكنوا من القيام بأية « عملية فدائية » ضد اسرائيل ... فالحدود العربية كانت مغلقة في وجوههم بواسطة جنود عرب في الحقيقة وليس بواسطة الجنود الاسرائيليين . وهذه ايضا جبهة اخرى قفلت أمام أي عمل من الجمهورية العربية الليبية ضد اسرائيل .

أما الجبهة الاردنية .. فالمعروف أن أي « عمل فدائي » فيها محظور منذ زمن وامرها منتهي .

واخيرا نأتي الى المقاومة الفلسطينية ، يجب التسليم بأنها حاليا غير موجودة... توجد اذاعات ولكن بدون مقاومة . لقد قضى العرب على المقاومة بالتعاون مع اسرائيل . هذا هو الشيء الواضح الآن ولا جدال فيه ويجب ألا ننحى باللائمة

على الفلسطينيين ، فهم مستمرون في النضال دون توقف ، ولكن غلبوا على امرهم .. وكل ما يتبقى فقط هو شعب فلسطيني يقبع في الخيام المهلهلة : تلك الخيام التي تقدمها لهم منظمة الغوث الدولية بالامم المتحدة . الشعب الفلسطيني أعزل بدون سلاح والذين يقاتلون فهم ممنوعون من أي تحرك . وليس لدي ما أضيفه سوى شيء واحد ... وأنا أتحدث هنا من زواره ، وأتوجه بهذا الكلام الى الأمة العربية : وهو أن الجمهورية العربية الليبية لا تلام بعد اليوم ، وبعد أن تطوعت بأبنائها ، واستمر جنودها الليبيين سنة ونصف على الجبهة يتحينون الفرص للقيام بعمل ضد اسرائيل . واضطروا للعودة لانهم منعوا من القتال » .

ثم اختتم في العبارات التالية : ان الشعب الليبي يمكنه اعادة النظر في مواقفه حول الصراع العربي الاسرائيلي ... ولكن في حالة ما اذا قرر أن يخطو أي خطوة في هذا المجال .. فيجب عليه أن يلتفت الى الجماهير وأن يمد يده الى الشعوب وليس للمسؤولين الرسميين . لقد قرر الاردن أن يحل المشكلة المتعلقة به من جانبه على أساس الحل الاستسلامي الانهزامي الكامل ... ومصر تريد أن تحل قضيتها أيضا : قضية سيناء ... وفي عام ١٩٦٧ قبلت قرار مجلس الامن ، لتضع حدا للصراع في اطار هذا القرار . والذي يهمنا الآن هو أن كل العرب لهم الحق في أن يحلوا قضاياهم بالطريقة التي يرونها ، ولكن يجب الا يكون هذا على حساب القضية الفلسطينية ... أما نحن فليس لنا حق الاعتراض على مصر ، أو على سوريا ولا على أي أحد آخر يريد أن يحل قضيته بل من واجبنا أن نقف معه وندعمه اذا كان يريد أن يحلها في الأمم المتحدة ... واذا كان يريد أن يحلها بالسلاح ، علينا أن نقدم له السلاح الذي يحتاج اليه .. ويبقى أن أي خطة توضع نحن غير مشتركين فيها . ان موقفنا واضح وجلي وهم يعرفون جيدا ماذا يعني هذا . ومن حقنا أن نقول رأينا عاليا في قضية فلسطين والوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية لأن هذه القضية ليست ملكا لمصر ولا ملكا لسوريا ولا للاردن ولكن ملك للأمة العربية كلها .. » .

ونظرا لأهمية هذا الموضوع والمشاعر التي يثيرها في كل مكان في . فضلت

أن أترك الكلمة للرئيس الليبي نفسه . ويبدولي أن موقفه بشأن نزاع الشرق الاوسط يتضح بقدر كاف من خلال ما سبق ... مما يجعل أي شرح آخر من قبيل الافراط الذي لا داعي له .

٤

القذافي والعالم

العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة

مساعدة حركات التحرير في العالم

افريقيا – أوروبا – والبحر الابيض المتوسط

– سيدي الرئيس لقد أعلنت ليبيا بصراحة وفي عدة مناسبات أنها ستتبع سياسة الحياد والاستقلال تجاه المعسكرين الشرقي والغربي. وهي واحدة من البلدان غير المنحازة وقد برهنت بمواقفها عن نظرتها إلى عدم الانحياز كموقف فعّال ايجابي، وأعطي مثلا عن ذلك بالمساعدات التي تقدمها لحركات التحرير في مختلف أنحاء العالم. وسنعود إلى موضوع المساعدات. لكنني أتمنى أن توضح لي فكرة المسافة المتعادلة من الدولتين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفييتي. ذلك أنني لا أفهم وضعك للدولتين على مستوى واحد نظرا للايديولوجية التي تتمسك بها.

– حاليا، استراتيجية ومصالح الاتحاد السوفييتي تتعارض عمليا بنسبة ٩٠ ٪ مع استراتيجية ومصالح الأمة العربية. والقول نفسه يصح على الولايات المتحدة الاميركية. علينا أن لا ننسى أن الاتحاد السوفييتي اليوم هو غيره بالامس... لقد صار دولة نووية كبرى والتعايش مع الولايات المتحدة مسألة حيوية بالنسبة إليه، وعليه أن يبني سياسته على هذا الاساس. ويلعب الاتحاد السوفييتي،

ربما رغما عنه ، دورا امبرياليا ... وبالتالي علينا أن نأخذ هذه القضايا بعين الاعتبار خاصة وأن معركة الغرب والشرق تقضي بأن يوسع كل منهما مناطق نفوذه قدر الامكان ، ونحن لا نريد بأي ثمن أن نقع في منطقة نفوذ أي من الدول الكبرى . لذلك نرفض الشيوعية والرأسمالية ولذلك اخترنا « الطريق الثالث » طريق الاعتدال .

– هذا لا يمنع كون الدول العربية مضطرة ، بسبب النزاع العربي الاسرائيلي الى اتخاذ موقف الصديق ، حتى لا نقول التابع ، للاتحاد السوفييتي ، ومن الصعب أن يتغير هذا الوضع ...

– بالطبع الاتحاد السوفييتي بلد صديق . وكم أتمنى لو تصبح جميع بلدان العالم صديقة بحيث لا يبقى لنا سوى عدو واحد معزول . ولكننا لن نقبل بالخضوع لاي قوة أجنبية سواء أكانت شرقية أو غربية . تأملي في ما حدث خلال الحرب العالمية الاولى حين وقع الشريف حسين اتفاقية تضعه في جانب الحلفاء ضد الامبريالية التركية . فما ان زالت هذه الأخيرة حتى حلت مكانها امبريالية اخرى . وتكرر الوضع خلال الحرب العالمية الثانية فكانت النتيجة الوحيدة لتحالفنا مع الانكليز ضد الايطاليين أن وقعنا تحت السيطرة البريطانية . ونحن لا نريد أن تتكرر هذه التجربة .

– سيدي الرئيس ، في فبراير ١٩٧٢ ، حذرت ليبيا العراق من توقيع اتفاقية عراقية – سوفييتية ، مما دفع بالعراق الى الاحتجاج ، ثم على اثر توقيع تلك الاتفاقية ، سحب السفير الليبي في بغداد . وقبل ذلك كانت مصر قد وقعت اتفاقية مماثلة . وبما أن ليبيا لم تعترض رسميا على تلك الاتفاقية ، إفترض بعض المراقبين وجود أسباب غير الاتفاقية لمقاطعة العراق . فما رأيك ؟

– كنت أول من وافق على اتفاق الصداقة بين مصر والاتحاد السوفييتي . لكن هذا الاتفاق حصل في ظروف تبرر وجوده بينما ليس هناك ما يبرر على الاطلاق الاتفاق العراقي السوفييتي . ومهما يكن من أمر ، اذا كانت صداقتنا للاتحاد السوفييتي تكتسب التفسير الذي أشرت إليه أنت ، فاني مصر على تحديد

معنى كلمة « صداقة » التي يجب الا تحمل أي نوع من أنواع التأثير، ولا أن تضعنا تحت حماية الاتحاد السوفييتي. حين أقول صداقة فاني أضعها على مستوى المساواة ... صحيح أن لكل صداقة ثمنا في العلاقات الدولية، لكن الصديق يجب أن يظل صديقا، وبالنسبة للاتحاد السوفييتي لقد تقبلت هذه الصداقة لكنني لا أريد ولا أقدر أن أذهب إلى أبعد من ذلك ... وكون الروس يبيعوننا معدات فان هذا لا يشكل سببا لأن نترك الشيوعية تتسرب إلينا من جهة أخرى، بالاضافة إلى كون المساعدة التي تتلقاها مصر بعد الاتفاق هي أقل من تلك التي كانت تتلقاها قبله. ويمارس الاتحاد السوفييتي ضغطا على مصر. وهذا لا يمكن أن نقبل به مهما كانت مواقف الاتحاد السوفييتي ومساندته التي لا يمكننا إنكارها. ما نحتاجه هو أن نتخلص من تخلفنا بشكل يغنينا عن اللجوء الى أي امبريالية، أيا يكن نوعها. الدول العربية تناضل من أجل استقلالها وحريتها ولاستعادة شخصيتها ومعنى كرامتها، إنها تناضل من أجل مستقبلها. لكن رغبتها في كسب هذه المعركة لا يجب أن تدفع بها إلى عقد تحالفات ينتج عنها ارتهان الهدف نفسه الذي تقاتل من أجله...إلى ارتهان الحرية نفسها التي خاضت معاركها في سبيلها... أتتصورين أننا بعد أن ناضلنا من أجل استقلالنا واجلاء الاستعمار عن بلادنا، علينا من أجل مواجهة نزاعنا مع اسرائيل، أن نرتبط بمعاهدات عسكرية مع دول كبرى؟ هذا يعني أننا نضيع تماما عن أهداف المعركة التي تجندنا لها.

– بالنسبة للاتحاد السوفييتي، وبالأحرى لعلاقات ليبيا به، أشعر أن هذه العلاقات قد تأثرت بعنصر الدين، أو على وجه التحديد، بالمادية الملحدة للايديولوجية الشيوعية. بل واني بعد اطلاعي على « النظرية الثالثة » أميل إلى هذا الافتراض ميلا قويا. هل حصلت خلافات مع الاتحاد السوفييتي حول هذه النقطة بالذات؟ ان المقال الذي نشر في « مجلة ليتيراتورنايا غازيتا » السوفيتية في شهر يونيو ١٩٧٣، يشير إلى ذلك...

– كانت هناك قضية الفيليبين حيث، كما تعرفين، يقع اضطهاد ديني..

فبعد أن جمعنا معلومات وصور وتفاصيل دقيقة حول حالات اضطهاد المسلمين ، أرسلت الحكومة الليبية بعثات ، ترافقها مجموعات من الصحفيين ، إلى مختلف انحاء العالم وكلفتها بفضح ما يجري في الفيلبين بالبراهين والوثائق . ولدى وصولها انقره طلبت البعثة الليبية أن يسمح لها بدخول الاتحاد السوفيتي ، لكن السلطات السوفييتية لم تمنح الصحفيين المرافقين للبعثة تأشيرات الدخول . وعادت البعثة دون أن تكمل جولتها . إثنان فقط من ممثلي وزارة الخارجية الليبية قصدا موسكو وطلبا زيارة جمهوريتين سوفياتيتين اسلاميتين . ومرة ثانية لم يستجب للطلب ، بل استدعي المسؤولون عن الجمهوريتين الى موسكو حيث التقوا المبعوثين الليبيين . مثل هذا الموقف يتقارب كثيرا في رأيي من الارهاب الفكري .

— في خطبة ألقيتها في مسجد طرابلس يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧١ ، قلت ما يلي « بما أن الولايات المتحدة تتعاون مع اسرائيل لطرد العرب من أراضيهم ومنازلهم ، فمن واجبنا أن نكافحهم وندخل معهم في حرب سواء كانت بالسلاح أم في المجال الاقتصادي وأن نعمل بكل الوسائل الممكنة لتهديد مصالحهم » . فهل تتفضل بتوضيح هذه النقطة خصوصا فيما يتعلق منها بالوسيلة التي أشرت اليها ؟ وكيف تطورت الامور بعد مرور سنتين على تلك الخطبة ؟ ...

— لا أحد ينكر قدرتنا على الحاق ضرر خطير بالولايات المتحدة لكن السؤال المطروح هو من يجب أن يتحمل مسؤولية التنفيذ ؟ . هل هي الجمهورية العربية الليبية أم دولة عربية اخرى ؟ نعود دائما الى نفس المشكلة ، أي الى ضرورة البحث عن جذور الشر داخل أنفسنا . ألسنا نجهل حتى الآن ، الطريق التي يجب علينا اتباعها ؟ فمن الواضح أننا لو عرفنا الطريق لسهل علينا السير فيها . لكننا وللأسف ، حتى عندما نستكشف حلا ، لا نصل به أبدا الى مرحلة التنفيذ.. كل المسألة في هذه النقطة ...

— أتصور أنك تشير إلى مسألة البترول ... وربما أيضا إلى الرساميل العربية والتأثير المتزايد الذي يمكن لهذه الرساميل أن تحدثه في السوق المالي العالمي ، فيما

لو أراد العرب ذلك . من جهة ثانية ، كثر الكلام في الغرب عن مسؤولية هذه الرساميل في أزمة الدولار الاخيرة ...

– تبقى المسألة الرئيسية في موقف العرب السلبي . هذا كل ما أستطيع قوله في هذا الموضوع .

– سيدي الرئيس ، أحد جوانب نضالك الذي يواجه أقوى معارضة ، هو المساعدة التي تمنحها ليبيا لحركات التحرير الوطنية في جميع أنحاء العالم . وكنت قد أعلنت عن مبدأ هذه المساعدات منذ تسلمك السلطة ، وعدت فأكدته رسميا بمناسبة انعقاد المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكي العربي مذكّرا بالواجب المقدس تجاه كل الثورات .. وخصوصا في بلدان العالم الثالث وافريقيا وآسيا واميركا اللاتينية ، وهذا المبدأ موجود في برنامج الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا ، وهذا يوحي بما له في نظرك من أهمية قصوى . فعلى أي مقاييس تستند هذه المساعدات ؟ أنضال ضد الامبريالية ؟ أو تضامن اسلامي ؟ أو جبهة موسعّة معادية للصهيونية ؟ في بعض الحالات تجتمع المقاييس الثلاثة ، ولكن الحالات الأخرى لا تخضع لأي منها .. لنأخذ ايرلندا كمثل . يتهمونك بتحريض جيش التحرير الايرلندي على مزيد من التخريب ...

– أولا نحن لا نحرض أحدا في ايرلندا . الاضطرابات التي تحصل هناك موجهة ضد انجلترا وهي نتيجة حاجة ماسة إلى حركة تحرر ونضال من أجل الحرية والمساعدات في نظرنا قضية مبدأ في الاساس طالما أننا نعتبر أنفسنا ركيزة من ركائز الثورة العالمية . وسبب مساندتنا للشعب الايرلندي لأنه شعب قليل العدد ولا يزال يرزح تحت حكم بريطانيا ، وهو يناضل ليتحرر من هذا الحكم . وعلينا أن لا ننسى أن الضربات القاسية التي يوجهها جيش التحرير الايرلندي انما هو يوجهها إلى دولة كبرى تسببت طوال أجيال في اذلال العرب ...

– هل تنتقمون للماضي ولو جزئيا ؟

– أود أن أشير إلى أن بريطانيا لا تزال مصرة على موقفها الاجرامي تجاه العالم

العربي . وعلى بريطانيا تقع المسؤولية الكبرى في تشتيت الشعب الفلسطيني . ثم أنها مسئولةً مباشرةً عما حدث أخيرا من اعتداء على الحق العربي – وهو أمر لا يمكن التغاضي عنه – حين سلمت الجزر الثلاث في الخليج العربي لايران (ديسمبر ١٩٧١) . فاذا اختصرنا مغزى هذه المساعدة لايرلندا فنقول أنها تسمح لنا بتحقيق ثلاثة أهداف دفعة واحدة . انها ترسخ أقدامنا في خط مساندة جميع حركات التحرر ، ونبرهن للعالم أجمع على أن الثورة العربية قادرة على الانتقال من موقع الدفاع الى موقع الهجوم ، وأخيرا نعيد إلى بريطانيا العظمى جزءا ولو صغيرا من الأذى الذي سببته في الماضي وما تزال تتسبب فيه حتى اليوم لبلادنا العربية .

– بالنسبة إلى اميركا اللاتينية والمساعدات التي تقدمها ليبيا لبعض الانظمة المختلفة معها ايديولوجيا ، فقد أوضحت أنت نفسك مظهر التناقض هذا ، في خطاب ألقيته في طرابلس يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧٢ . فهي تعني حسب تعبيرك « نقل المعركة ضد الولايات المتحدة الاميركية ، الدعامة الاساسية لأسرائيل ، الى أماكن قريبة من حدودها » ، وهذا معيار ثان ، يجد تطبيقه في مساعدة أخرى ، يستفظعها الغرب ، وهي ما تقدمه ليبيا الى الاميركيين السود من جهة والى السود المسلمين من جهة أخرى . وفي رأيي أن الأمور تزداد تعقيدا حين تقدمون مساعدات للمسلمين بموجب الاسلام وباسمه ... فماذا يحصل في حال ارتباطكم باتفاقية صداقة أو غيرها ، مع بلد غير مسلم ، حين يقع خلاف بين هذا البلد وبلد مسلم ؟

– بالنسبة للبلدان الاسلامية وغير الاسلامية ، يستند سلوكنا الى الآية القرآنية التي تقول : « .. واذا استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق » . وتعبير آخر ، اذا وجدت اتفاقيات بيننا وبين دولة مسلمة فعلينا بالدفاع عنها ضد أي معتد . أما لو وقع نزاع بين هذه الدولة ودولة أخرى كنا قد وقّعنا معها اتفاقا ، فعلينا احترام هذا الاتفاق ، وفي مثل هذه الحالة علينا أن ننتظر ريثما تنتهي مدة الاتفاقية فننظر في القضية . القرآن هو دليلنا حتى في

العلاقات الدولية كما ترين ..

واذا عدنا الى حركات التحرير، فاذكرك بأن الاسلام الحقيقي يوصي بحماية الضعفاء حتى ولو كانوا غير مسلمين، فان هم طلبوا المساعدة فيجب أن يحصلوا عليها. ولو اقتصرت مساعداتنا على المسلمين فقط لكنا متعصبين وأنانيين. لقد وجد الاسلام ليحمي كل الناس .. ولذلك فنحن نقدم مساعداتنا للدول المسيحية وحتى الوثنية، في افريقيا وآسيا، خصوصا وأن انتماءنا إلى العالم الثالث ودول عدم الانحياز يشكل دافعا اضافيا لنا لحماية هذه الشعوب التي لولا هذه الحماية لوجدت نفسها معزولة وواقعة تحت رحمة المعسكرين المتنازعين.

— لقد حدث وسمعت انتقادات حادة حول هذا الموضوع في بعض الدول العربية. يقولون أنكم لا تحترمون سلم الأولويات البديهية والملحة ... ويقولون أنه على ليبيا أن تنشط في مساعدة الدول العربية على أساس محلي ... أي بضرورة أن يفكر المرء أولا بأمته ...

— بغض النظر عن عدم بلوغ الجماهير العربية لمستوى القابلية الثورية المنشودة فاننا لا نؤمن بأهلية الأمة العربية لتزعم العالم الثالث، وعدم الانحياز والاشتراكية فحسب، بل ان هذه الزعامة واجب ملقى على عاتقها. وبالطبع لن يكون في وسعها تأدية هذا الواجب ما لم تدّعم ذاتها ... وهذا واحد من الاسباب التي تدفعنا إلى البحث عن كل وسيلة كفيلة بتقوية الأمة العربية، والا فلن تقوم بأي دور.

— أود سيدي الرئيس، لو نتطرق الى موضوع العلاقات الليبية بافريقيا. بالطبع تندرج بعض المساعدات للدول الافريقية تحت المبدأ الذي تحدثنا عنه قبل قليل، ومنها اذكر المساعدات لغينيا وقد قلت بشأنها ما يلي: «لقد أرسلنا اليها طائرات محملة بشتى أنواع الأسلحة الحديثة حين تعرضت لعدوان، ونحن على استعداد لارسال أسلحة اضافية في حال تعرضها لهجوم استعماري آخر.» وهذا نفسه ينطبق على المساعدات الليبية لحركة تحرير ارتريا. لكن هل تخضع سياستكم الافريقية التي لاقت نجاحا كبيرا وأدت إلى اقصاء اسرائيل عن عدة

دول افريقية ... هل تخضع لمبدأ مكافحة اسرائيل أو هي تستوحي استراتيجيتها العامة من « نظرية الدوائر الثلاث » الشهيرة التي أطلقها عبد الناصر؟

– صحيح أننا بذلنا جهودا جبارة في افريقيا ، كما في سواها من أقطار العالم من أجل كسب دول كثيرة إلى جانب القضية العربية . لكننا لا نعتقد أن هذا هو الطريق الى فلسطين . وحتى لو صفينا السفارات الاسرائيلية جميعا ولو رفض العالم كله الاعتراف باسرائيل ، ستبقى اسرائيل قائمة . وأي مثال على ذلك أبلغ من الصين ؟ انها دولة كبرى ، عدد سكانها يمثل ربع سكان العالم ، ولم تعترف بها ، المنظمة الدولية الا أخيرا . هل منع ذلك الصين من أن تكون دولة كبرى وأن تصنع القنبلة الهيدروجينية ؟ .

– هذا صحيح . لكن ليبيا تحاول بشتى الأساليب أن تغير موقف الدول الأفريقية من اسرائيل . ونجحت في ذلك ... وقيل في الغرب أن وراء هذا النجاح مساومة حقيقية ..

– لا أحد ينكر على سياستنا نجاحها الأكيد . لقد صفّيت اسرائيل من افريقيا ، وبامكاني أن أؤكد لك ، أن الدول الافريقية ستقف معنا في المستقبل ، ضد اسرائيل .. لكن من السخف التحدث عن المساومة والشراء والبيع في قضية كهذه . لقد ذكرنا الأفريقيين ببساطة بأننا منهم ، وبأننا قطعنا علاقاتنا بالبرتغال بسبب سياستها العنصرية في جنوبي افريقيا ، وأننا لا نفهم أن لا يقاطعوا هم بدورهم اسرائيل ؟ ومن الطبيعي أن نساعد الدول التي قاطعت اسرائيل وتساند حقوق العرب وأن تكون علاقتنا بها جيدة .

– هناك إذن سياسة ليبية في افريقيا ، مستقلة عن قضايا النزاع العربي الاسرائيلي وهي تنمو على أساس ما يمكن تسميته « بالانتماء الليبي إلى افريقيا » ... ويلاحظ من ناحية أخرى وبوضوح يزداد مع الايام ، أن بلدكم يتبع سياسة الانفتاح على دول البحر الابيض المتوسط . وقد كتب الكثير عن موقفكم تجاه مالطا .

– أرى أن ما له علاقة بأمن حوض البحر الابيض المتوسط ، المرتبط بالأمن الاوروبي ارتباطا وثيقا ، لا يسعه الا أن يثير اهتمام جميع الدول العربية . فلا ننسى أن كل الساحل الجنوبي ، والساحل الشرقي والغربي لهذا البحر ، هي سواحل عربية .

– نعم ، لكن بعض البلدان الساحلية كاليونان وايطاليا وتركيا مرتبطة بحلف شمالي الأطلسي ... وهذا يجعل تحييد هذا البحر كما دعوت في مناسبات عديدة أمرا في غاية التعقيد ...

– أعتقد أن أفضل وسيلة لتحييد حوض البحر الابيض المتوسط هو وعي الدول الساحلية بأن مصالحها وأمنها مهدد بوجود الدول الكبرى في ذلك البحر . عندئذ سوف يبذلون الجهود الحقيقية الهادفة إلى تحييده . تعرفين أن ليبيا قد انضمت الى الدول التي تطالب بمنع الأساطيل الاجنبية من التواجد في البحر الابيض المتوسط وبحيث يعود هذا البحر ، بحر سلام في خدمة جميع الشعوب الساحلية . من هذا المنظار تقدمنا بالمساعدة لشعب مالطا الصديق ، رغم أن قضية مالطا كل لا يتجزأ ، وتقع مسؤوليته على عاتق الحكومة والشعب المالطي .. وهذا لم يمنع الدول الكبرى من محاولات بيع وشراء الجزيرة ، ومن اللجوء الى كافة الوسائل لتحويلها الى مرفأ امين لأساطيلها .. وقد شاركت ليبيا في المساعدات المقدمة لمالطا لتغنيها عن الغرب والشرق وتضمن حيادها .

– وهل فرضت ليبيا على مالطا شروطا مقابل هذه المساعدة ؟

– أعتقد أن الدول الكبرى هي التي تفرض شروطا لتقديم المساعدات . وكما سبق وقلت ان شعب مالطا شعب صغير وجارلنا ، ويناضل من أجل استقلاله . ثم أن مساعدة مالطا على الابتعاد عن مناطق النفوذ ، أيا يكن هذا النفوذ ، يهم في إحلال السلام في العالم ، وبنوع خاص في حوض البحر المتوسط . وهذه أسباب كافية لأن نشرّع الابواب للتعاون بين البلدين[1]

---

(١) من وجهة النظر الليبية تعتبر هذه السياسة ناجحة اذ خلال المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذي

– سيدي الرئيس ، تقيم ليبيا علاقات تعاون تقني وتجاري مع العديد من الدول الأوروبية ، الشرقية منها والغربية . هذه السياسة تنبع بلا شك من حاجات البناء الاقتصادي والتكنولوجي الحالي . وتستوحي في الوقت نفسه « مبدأ التعاون الدولي من أجل التنمية »

هذا المبدأ الذي ترفع ليبيا شعاره والذي تدعو العلاقات الدولية الى أن تتجه اليه ولكن في هذا المجال أيضا نشعر بتأثير مختلف في مواقف الدول الاوروبية من النزاع العربي الاسرائيلي . وينصب تفكيري على فرنسا بنوع خاص ....

– تقوم علاقاتنا وصداقاتنا للدول المجاورة على أسس ضمان أمن بلادنا وحريتها . وبالنسبة الى بعثاتنا لفرنسا بنوع خاص ، فهدفها تأهيل الكوادر الضرورية لمصانعنا ومؤسساتنا . ولا شك في أن فرنسا قد برهنت عن احترامها لنا حين حظرت بيع الأسلحة لاسرائيل باعتبار أنه ليس ثمة ما يبرر ارسال الاسلحة الى هناك . لقد برهنت عن أنها لا تتجاهل أمة كبيرة كالامة العربية ، ولا تشتت شعب طرد من أرضه منذ عشرين سنة . وقد أخذت فرنسا بعين الاعتبار مصالحنا المتبادلة على الأقل ، والعرب مقدرون لها هذا الموقف مما جعل علاقتنا بها ممتازة .

– هناك أيضا وبالذات صفقة الميراج .. فقد أكد الغربيون على أن هذه الصفقة تخرج فرنسا من موقفها الحيادي من النزاع لتدفعها الى جانب العرب..

– ومع ذلك كان لا بد لنا من بناء قوة عسكرية لبلادنا ... فقد وجدت ليبيا نفسها بعد الثورة بلا سلاح جوي . كان لا بد لنا من الحصول على طائرات

انعقد في الجزائر في شهر سبتمبر ٧٣ م تعهدت مالطا بتصفية القواعد الاجنبية من اراضيها قبل عام ٧٩ وخلال نفس هذا المؤتمر الذي اشترك فيه القذافي شخصيا طالبت ليبيا مرة اخرى علاوة على ضرورة تحديد عدم الانحياز في ضوء التغييرات التي طرأت على العلاقات الدولية منذ باندونج – بضرورة انسحاب كل الاساطيل الاجنبية من حوض البحر الابيض المتوسط وتصفية القواعد الاجنبية في المناطق المطلة على البحر.

وعندما اعلنت مالطا تعهدها بتصفية القواعد البريطانية اوضحت انها لا تزال تأوي هذه القواعد في اراضيها لاسباب اقتصادية (مذكرة مرسلة الى وزراء خارجية الدول المشتركة في المؤتمر).

حديثة ، لا للدور الكبير الذي تلعبه هذه الطائرات في الحروب العصرية فحسب وانما لاتساع أراضينا وحاجتها إلى أسطول جوي يحميها ... الأوساط الاسرائيلية هي التي أثارت الحملة المعروفة ضد صفقة « الميراج » ورمت من ورائها الى كسب العطف العالمي رغم معرفتها الأكيدة بأن هذه الطائرات لن تستعمل ضدها .

– سيدي الرئيس ، يبدو لي أن ما ذكرته الآن عن فرنسا وعلاقتها الممتازة بليبيا يمكن تطبيقه أيضا على ايطاليا ...وأستشهد بالخطاب الذي ألقيته في صبراته في أكتوبر ١٩٧١ ، وأكدتم فيه أن ليبيا باتت تعتبرها دولة ديمقراطية وصديقة...

– هذا صحيح باعتبار أن الرأي العام الايطالي قد تفهّم جيدا اضطرارنا لاخراج عشرين ألف ايطالي كانوا مستوطنين في ليبيا في ظل الاستعمار ، ولانتزاع ممتلكاتهم . وأقيمت بعد ذلك علاقة احترام متبادل بين بلدينا . وأما مصالحنا المشتركة فهي تزداد يوما بعد يوم .

وهكذا يمكننا اختصار النضال السياسي للرئيس القذافي بمثلث عربي افريقي وأسيوي . وهنا أيضا يتضح تأثير عبد الناصر ، الا أن المبادئ التي يستوحيها القذافي ليست هي بالضرورة نفس مبادئ عبد الناصر.

النفط

« من الغريب ان شعورنا القومي بدأ ينمو مع ظهور النفط ... كان من الممكن أن ننغمس كلنا في ثروة النفط وأن نفقد توازننا بسبب تلك الثروة التي هبطت فجأة على البلاد .. وكان من الممكن أن نفقد الاحساس بالبؤس والظلم الاجتماعي اللذين كانا يحيطان بنا ، قدر الله غير ذلك ، وكنا نحس بالذل والاهانة لوجود الاستعمار بيننا والقواعد الاجنبية فوق أراضينا ... »

كلمات القذافي هذه التي تذكرنا ببدايته الثورية[1] تترجم في نظري الدوافع العميقة الكامنة خلف قرارات الحكم الليبي الثوري ، حتى فيما يتعلق بموضوع تجاري في الاساس ، كموضوع النفط . وقد برهنت التأميمات الاخيرة بما لا يترك مجالا للجدال ، على أن النفط يتخذ في نظر القذافي وفريقه ، مغزى سياسيا فوق أي اعتبار اقتصادي ، وأنه ينغرس بصفته السياسية كواحد من بقية العوامل التي تشكل خلفية المواقف الليبية الحاسمة . وكون النفط هو الذي يكسب ليبيا وزنها الخاص وأهميتها في نظر العالم ، لا يمس أبدا تلك الحقيقة الاساسية وهي أن ليبيا لن تسمح للمتطلبات النفطية بأن تنحرف بها عن خط مسيرتها . النفط وسيلة وليس غاية في حد ذاته . ولن تستخدمه الا بالكيفية وضمن الحدود الخاضعة لبرنامجها السياسي . ومن الصعب أن نتجاهل تصلب موقف طرابلس في القضايا البترولية منذ ثورة الفاتح من سبتمبر ، حتى أن ليبيا باتت رأس حربة

---

(١) حوار في صحيفة الاهرام بالقاهرة في ٧ - ٤ - ١٩٧٢ م .

جميع الدول المنتجة للنفط . ويشكل هذا جوهر السياسة النفطية الليبية التي اكتسبت اهمية تزيد بكثير عن أهمية انتاجها النفطي . ويبقى أن مواقف الذروة التي اتخذها القذافي في هذا المجال ، أيا كانت صلابة وكفاءة المفاوضين الليبيين ، لا يمكن تقييمها إلا في إطار البرنامج العام للثورة الليبية ، فهي جزء منه ونتيجة حتمية له . وربما فوجئت الشركات البترولية والحكومتان الاميركية والبريطانية بتأميمات شهر سبتمبر ، كما اعترفت ، لانها لم تتصور سياسة القذافي البترولية في اطارها الواسع . وفي الواقع كان من السهل التنبوء بما سيحدث وكان يكفي الرجوع الى تصريحات القذافي نفسه منذ عام ١٩٦٩ ، أو الى تصريحات عبد السلام جلود « رجل النفط » وعضو مجلس قيادة الثورة ... كان يكفي مجرد التأمل في « الوصايا الست » للسياسة الليبية النفطية التي نشرتها حكومة طرابلس والتي لم تجتذب على ما أرجح ، سوى الاهتمام السطحي الذي يعطي « للمطبوعات الاعلامية » . وهذا النص بالغ الاهمية في نظري ، وأورده هنا حرفيا للفائدة[١] :

« ان الأمة العربية التي تستمد من تعاليم القرآن المبادئ التي تحكم علاقاتها مع الخارج قد أقامت سياستها النفطية على مفهوم المصالح المتبادلة . غير أن الانتفاع المتبادل لا يمكن أن يرتكز على القوة وعلى انتهاك حقوق الغير .

وعلى ضوء ما تقدم وحتى يكون الرأي العام على بيّنة من مواقفنا المشروعة وما نقدمه لخدمة الانسانية بما لا يبرر حملات التشهير والتهديد ، فاننا نضع أمامه الحقائق التالية :

اولا : ان أصحاب الثروة النفطية لهم كل الحق في اختيار طريق المحافظة عليها والمساومة على أسعارها واختيار أسواقها وكيفية توزيعها وزمانها .

ثانيا : ان أصحاب الثروة النفطية أولى بتقدير سبل الاستغلال لدخلهم في الداخل والخارج وسبل الصرف والانفاق على اصلاح أراضيهم ورفاهية شعوبهم .

---

(١) مقتطف من النشرة الرسمية (ثورتنا النفطية في خدمة الانسانية عام ١٩٧٢ م . ص ١٣٧ ومايليها .

ثالثا : لقد أثبتت هذه الدول المنضمة لمجموعة « الاوبيك » بأنها لم تستعمل سوء النية لدى ممارستها للحق في المساومة حين ابرام اتفاقيتي الرياض وطهران .

رابعا : اذا ما قوبلت بذات النية الحسنة والمعاملة الانسانية والتقدير لظروفها الماضية والحاضرة ، واذا ما اعترف بحقوقها المشروعة في وطنها وشعبها العربي الواحد الذي لا تقبل بتجزئته ، ولا يسلب أي جزء منه أرضا أو شعبا ، فانها ستستمر في وضع هذه الثروة في متناول الأصدقاء والانسانية جمعاء .

خامسا : يجدر ألا يغيب عن أذهان الدول المستهلكة للنفط العربي التي يستنفرها واضع التقرير بلسان البيت الابيض بأن الامة العربية من المحيط الى الخليج ، وتعدادهم يزيد على المائة مليون هي أكبر سوق للمنتجات الصناعية والالات الزراعية والغذائية بكافة أنواعها .

كما هي بالفعل أوسع ميدان لاستغلال أموال الغرب وخبرائه في المشروعات الانمائية التي دأبت البلاد العربية على تنفيذها منذ حصلت على الثروة النفطية ، وذلك في سبيل اصلاح ما أفسدته ودمرته أعمال الاحتلال والاستعمار والاستيطان منذ عدة سنين .

سادسا : ونعيد الى الذاكرة ما سبق أن صرح به قائد ثورة الفاتح من سبتمبر من أن الشعب العربي الليبي الذي عاش مئات السنين بدون نفط قادر على أن يحيا بدونه لعدة قرون اذا ما اقتضى الأمر» .

بعد هذه المقدمات كيف نندهش حين يصرخ القذافي وهو يعلن تأميم شركة « بانكرهانت »[1] « لقد حان الوقت لكي نوجه صفعة شديدة على وجه أمريكاالصفيق » . ولم يكن قد حدث في السياسة الامريكية ما يدفع الموقف الليبي الى أي ليونة . وفي نظر طرابلس ، لم يحدث في تلك الفترة ما يرضي الشعب العربي .

---

(١) حديث صحفي اجراه وولفجانج كادين ، مجلة ديرشبيجل في ١٩٧٢/١/٣١ م .

ومن المغالاة القول بأن السياسة النفطية الليبية يحددها النزاع العربي الاسرائيلي، لكن من السذاجة أيضا التقليل من شأن تأثير هذا النزاع عليها. والحكمة في رأيي تكمن في محاولة الرجوع بهذه السياسة الى الخط المستقيم الذي يتمسك به حكم الثورة الليبية والذي باتت اتجاهاته العامة معروفة لدينا. ويسير هذا الخط في محور رسمته ارادة مجلس قيادة الثورة المصممة على منع أي مجموعة مصالح أجنبية من ممارسة ضغط سياسي مضاد لها، بالاضافة الى تصميمها على أن لا يؤخذ منها أكثر مما تعتبره هي أرباحا شرعية (أو معقولة).

ونظرة سريعة على تاريخ النفط الليبي تجعلنا نتبين فيه نوعا من القاسم المشترك. فالنظام الملكي نفسه حاول منذ البداية، حين جزّأ الامتيازات على عدة شركات، أن يوسع مجال المساومة والاكثار من عمليات الكشف ورفع أسعار النفط. لكن حيث كان الملك ادريس يطالب بتهذيب ومن دون جدوى، طلب مجلس الثورة وحصل على ما أراده لنفسه ولبقية الدول المنتجة. وبينما رفض الحكم الليبي سنة ١٩٥٧، الاشتراك في مؤتمر النفط في بغداد لأن موضوع مقاطعة اسرائيل كان مدرجا في جدول أعماله. وهو لا ينوي الالتزام بالمقاطعة، نرى القذافي لا يتردد في اعلان ما يلي: «اننا لم نستخدم النفط «كسلاح» سياسي. حتى الآن ..... لكن اذا ما فرض علينا العدو المعركة فلن ندخر أية امكانية .. ومن تلك اللحظة ستتحول كل الامكانيات الى أسلحة سياسية. وعندما نستخدم النفط بهذه الطريقة فان الضرر سيكون شديدا وهنا تكمن النقطة الحرجة التي يمكن للدول المعنية أن تقترب منها أو تبتعد عنها، فهذا يتوقف عليها». وتتخذ هذه الكلمات أهمية قصوى حين نتذكر أنها قيلت قبل أيام من تأميم شركة النفط الانجليزية (بريتش بتروليوم) وأن القذافي أشار في نفس المناسبة الى احتمال تأميم شركات أخرى حين قال: «طالما قامت الشركات (التي تعمل في ليبيا) بعملها بطريقة معقولة ومقبولة فليس هناك ما تخشاه .. لكن طالما أن الخوف قد إستبد بها فما عليها الا أن تحاول التخلص منه باستخدام ما لها من علاقات وتأثير على حكوماتها، وتحمل هذه الحكومات على اتخاذ موقف منطقي حيال المشكلات العربية بأن تصلح وتعيد علاقاتها معنا الى أوضاعها الطبيعية وكلما

نجحت الشركات في هذا الاتجاه كلما قلّ ما يستوجب مخاوفها » . وقد وصلت هذه الكلمات عرضا الى مسامع رئيس ومدير عام « شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا » في مطلع يوليو ١٩٧٣ ، فأخذ الدكتور أوتو ميللر على عاتقه أن يقترح على الحكومة الاميركية اتباع سياسة أكثر توازنا من قضية الشرق الاوسط ، لكن سقوط أسهم شركة « سوكال » في البورصة الأمريكية اضطره بعد أسابيع الى التراجع و« توضيح » تصريحاته . وسارت الأمور في مجراها وتأممت « الستندارد أويل» مع غيرها من الشركات بنسبة ٥١ / .

كيف تم اتخاذ هذه الاجراءات التي أقل ما يقال فيها أنها وقعت في وقت بلغت فيه الأزمة العالمية للطاقة حدةً خطيرة ؟

في عدد ديسمبر ١٩٧٢ من المجلة الفرنسية للعلوم السياسية يستعرض السيد هوبرت بروتون ، مراحل السياسة البترولية للحكومة الليبية مركزا على ما اتسمت به من مزيج الاعتبارات التقنية والسياسية . وتبين دراسته بأن المسؤولين الليبيين قادوا المفاوضات بحزم ثابت ومهارة أكيدة مستهدفين اولا « التعويض عن مظالم الماضي » . وثانيا تجريد الشركات من أية امكانية تخولها ممارسة « أي نفوذ سياسي » . وبذلك زعزع الليبيون « نظام الاسعار القديم » . ويستنتج الكاتب ، الذي اعترف بحتمية الصراع بين الحكم الثوري والشركات لكونه « صراعا سياسيا » يقول : « تمكنت ليبيا من اخضاع الشركات لارادتها ومن تفادي العزل الذي فرض على ايران مصدق . وتضامن الدول المنتجة للبترول ودول العالم الثالث يزيد من صعوبة اللجوء الى مثل هذه الاساليب . لكن ليس في امكان ليبيا لتحافظ على مقدراتها الاقتصادية ، ان تفرض على الشركات استثمارات بالقيمة المطلقة ولا بالقيمة النسبية ، مما يهدد وزنها السياسي بالانخفاض بعد مدة . والسياسة البترولية الليبية لا تحمل أبعادا وطنية فحسب وانما تطرح نفسها كاداة نضال ضد اسرائيل وفي خدمة الوحدة العربية ... » ويضيف : « على ليبيا أن تتفادى أي مناورة خاطئة قد تفقدها زمام المبادرة » .

غير أن تأميمات سبتمبر ١٩٧٣ وما تبعها من ردود فعل وخصوصا في الولايات

المتحدة الاميركية تجعلنا نتوقع أن تتخذ الحكومة الاميركية سلسلة اجراءات لم تكن واردة في السابق ،[1] هذا بينما تهدد الشركات الكبرى بمقاطعة النفط الليبي. وهنا ألجأ الى تعابير القذافي نفسه في الرد عليها[2] : كيف يُقاطع شيءٌ يحتاجه العالم بأسره ؟ » وأيا تكن خاتمة هذه المعركة ، يبدو لي أن أفضل ما يختصر الوضع هو الاستنتاجات الدقيقة للدراسة التي أعدها جان جاك بيربي « الأسس التاريخية والسياسية للنزاعات البترولية المعاصرة[3] » . وأورد أبرز مقاطعها :

« تطرح القضايا النفطية أساسا بتعابير سياسية . هذا ما كان يحصل دائما . وقد تمكنت الدول الكبرى باستثناء حالات خاصة ، ولفترة طويلة مضت ، من أن تفسح مجال المناورة للشركات الخاصة . وكانت قوة هذه الشركات ونفوذها الدولي يمكنانها من التفاوض على قدم المساواة ، وأحيانا من موقع الحاكم ، مع الدول الصغيرة والضعيفة البنية التي تستضيفها ، ومعظم التنازلات المرفوضة اليوم ، قامت بها في الماضي دول ذات بنية سياسية مائعة وتفتقر الى التشريع الخاص بالثروات المعدنية ، والى أنظمة قانونية واضحة . وفي أكثر الحالات وضعت التشريعات النفطية فيما بعد وكلما دعت الحاجة الى وجودها . وقيل عن مجموعات كثيرة من الشركات النفطية الحائزة على امتيازات في معظم الدول المنتجة ، أنها تشكل « دولة داخل دولة » .

وتطور هذا الوضع بعد التأميمات الايرانية والوعي السياسي والقومي الذي انتشر في الدول المنتجة وكان أن رفضت هذه الدول المستقلة ، الخاضعة للقانون الدولي ، والمجتمعة في تنظيم مشترك منذ ١٩٦٠ ، أن تعامل شركات البترول

---

(١) من بينها استخراج النفط من الزيوت النفدية (الامر الذي ثارت ضده احتجاجات من قبل علماء « البيئة » والاستغلال المعدني للرمال القارية الكندية وبالطبع استخراج الطاقة من المفاعلات الذرية والمواحدات الشمسية .

(٢) حديث مع مجلة نيورويك في ٢٤ سبتمبر عام ١٩٧٣ م .

(٣) المجلة الفرنسية للعلوم السياسية / ديسمبر عام ١٩٧٢ « السابقة الاشارة اليها » .

معاملة الند والند ، واعتبروها مجرد شريكة في المجال الاقتصادي . باتت هذه الدول تطمح الى ممارسة سلطتها الوطنية بحرية ورفضت الانصياع الى مقررات يتخذها مدراء الشركات النفطية في الخارج وهي تتطلع الى مراقبة عمليات الشركات عن كثب ، وتهدف اخيرا الى تخليص السوق الدولية من الأزمات عن طريق استقرار الأسعار وتنظيم الانتاج .

وتطورت الشركات النفطية هي الأخرى . فقد تقبلت تغييرات هامة وقامت بتنازلات جذرية . لقد تضاءل دورها في تحديد الأسعار العالمية وكان هذا المجال مقصورا عليها حتى عام ١٩٧١ . وما تزال هذه الشركات عاملا أساسيا في اللعبة البترولية لكونها تتحكم بالتصريف والنواحي التقنية ، ورؤوس الأموال ، ولكنها فقدت زمام المبادرة في اللعبة السياسية . لقد تم انتاج اكثر من تسعين في المئة من بترول العالم في ظل أنظمة الامتيازات في فنزويلا والشرق الاوسط وافريقيا. وما يجري الآن هو اعادة النظر في تلك الانظمة . ولقد نبعت المشكلات النفطية من نظام الامتيازات الذي مكّن مجموعة صغيرة من الشركات من جمع ثروات فاحشة ، وبالتالي من السيطرة على السوق الدولية . على أن الازمات الناتجة عن هذه السيطرة تهدد بأحداث انقلابات عميقة في البنى القائمة حاليا . ولن تزول الخلافات الا في نهاية تحول الامتيازات وبحيث تتمكن الدول المنتجة من السيطرة على صناعتها الداخلية ومن المشاركة في تطوير السوق الدولية . وتتقدم بعض الدول الأخرى في طريق التخلص من الاستعمار النفطي . ولكنها جميعا تتطلع الى الهدف نفسه . ويبدو لي أن معاهدات المشاركة والخدمات التي وقعت في السنوات الخمس عشرة الاخيرة ، تحوي الاسس الجديدة للعلاقات ما بين الدول المستهلكة . انها نموذجا مستقبليا ولكنها لن تحل مشكلة الامتيازات القائمة كمعقل أخير لعهد الاستعمار.

وقد تجد هذه المعضلة الحلول المناسبة لها بازدياد عدد الدول المنتجة والمشاركة في رؤوس أموال شركات النفط ... »

ويتفق الخبراء على أن ليبيا قد أسهمت بقوة في التحولات العميقة الجارية

في مجال السياسة النفطية الدولية . لقد عجلت في سير عملية كانت جارية ولا تقبل التراجع ، الا أنها فعلت ذلك لأسباب ملتحمة بثورتها وتطلعاتها الخاصة ، وهي أسباب تواكب مسيرة التاريخ .

ولقد قال القذافي في ١١ يونيو ١٩٧٢ ما يلي :

« وما يريدونه (الانجليز) الآن هو ان يظل التأميم حبرا على ورق[1] ، ولكننا نعلن أمام العالم أجمع أن التأميم أصبح حقيقة ، رغما عنهم ، وعن الامبراطوريات النفطية الكبرى . ويجب أن يعلموا أن عام ١٩٧٢ ليس هو عام ١٩٥١ ... والحكومة الايرانية الحالية ليست تشابه مجلس قيادة الثورة في شيء .. فتلك القيادة تحكم بارادة شعب الأمة العربية ، لكي تستعيد هذه الأمة الثقة في نفسها . »
ولقد كان القذافي عند كلمته .

---

(١) يشير القذافي الى تأميم شركة النفط الانجليزية (بريتش بتروليوم)

خاتمة

- « يا رسول الله ، أكنت راعي غنم ؟

- بلى ، فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك » .

في هذا العالم العربي الأكثر تحركا من رماله والأكثر صمودا من جباله ... في هذا العالم العربي بتنوعاته اللامتناهية ... والمجهول لكثرة ما تعرّض للتحليل... في هذا العالم العربي المحبوب والمكروه ولكنه لم يواجه مطلقا حالة اللامبالاة ... في هذا العالم العربي حيث يفتش البعض عن بقايا وجود الروح ، والبعض الآخر عن نيران البترول الجهنمية ... في العالم العربي حيث كل شيئ ممكن وسيبقى كل شيئ غير منتظر. تبقى حقيقة أكيدة وهي أن هذا العالم الواسع يضم - رغم الحدود التي تجزئه - أمة واحدة .

ولا يفسر اصرار الكثيرين على نكران هذه الحقيقة سوى عمى القلب وحده ، منهم من لا يعرفون العرب ، أو اقتصرت معرفتهم بهم على الحدود المهنية ، ومنهم بعض من العرب أنفسهم ... ووحده ذكاء القلب يفسر كون سوّاح بسطاء يعودون من زيارة هذه الدولة العربية أو تلك وهم مدركون أنهم زاروا جزءا من كل . وأن هذا الكل ملتحم بروابط تزداد وثوقا طالما هي خفية ، أو هي لم تظهر بعد في بنيان ملموس . ولا بد من حدث فريد - كتلك الحرب الاخيرة المندلعة في المنطقة في الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور - حتى يتفجر الوعي بصورة مفاجئة بقدر ما هي عابرة ، ليعيش العالم العربي في نظر الجميع فترة ذلك الوعي ، بفضل استشهاد ابنائه .

لكن يكفي أيضا أن يبرز وجه يجسد وحده ، المئة مليون عربي الملتفين حول

اسمه من المحيط الى الخليج ، حتى تتفتح آمال كثيرة وتشتعل مخاوف كثيرة أيضا .

يكفي أن يوجد عبد الناصر. وسيكفي ربما وجود القذافي . فقد أودع عدد كبير من العرب لدى الزعيم الليبي تطلعات الجماهير وأمنياتها . والفارق بين الرجلين كبير. ولكنه يتضاءل تجاه الحلم المشترك والذي بقي أمانة في عهدة القذافي ، تبعا لكلمات عبد الناصر نفسه ، تلك الكلمات المؤثرة التي حملت احساسا مسبقا بالموت القريب . كانت العروبة بالنسبة لكل منهما منبع فخر واعتزاز ، والوحدة العربية كانت الوسيلة الوحيدة التي تسمح لهذا النبع بالانطلاق من جديد وبأغنى مما كان عليه في الماضي . وربما يؤخذ عليّ استعمال مثل هذه التعابير الشاعرة في نص سياسي . ولكن ألم يكن للشعر دائما ذلك المركز المرموق في رؤى الذين يقودون الجماهير ؟ . ولا تحلّ المصيبة الا حين يعود الهدوء وتخبو كل انطلاقة ولا تبقى نجمة تلمع في الافق لتنير طريق المستحيل .

يعتقد الكثيرون أنه لو لم يكن عبد الناصر لما كان القذافي . وأحيانا تشعر أن رئيس الدولة الليبية نفسه يفكر هكذا . وتستشفّ ذلك من بعض خطبة ومما تكنّه ليبيا بأسرها من اجلال بالغ للرئيس الراحل . ولا شك في أن الثورة المصرية هي الثورة الأم التي انبثقت عنها ثورة الفاتح من سبتمبر.. ولا شك في أنه لولا التغييرات العميقة التي أحدثها عبد الناصر في المنطقة ولولا نضاله البناء ، لظلت العروبة تمتمات مطموره تحت التحاليل الحزبية . أولظلت وميضا في ذهن الرواد المعزولين من امثال الامير شكيب ارسلان . المتوفي عام ١٩٤٦[1] ، قبل أن يشهد بداية الوعي على مستوى الجماهير العربية .

---

(١) الامير ارسلان لبناني مسلم بدأ نشاطه السياسي كزعيم للدروز . وامتد هذا النشاط الى العالم العربي وقد اضطلع بدور هام جداً في الحياة السياسية السورية اللبنانية في فترة ما بين الحربين . وقد اصطر أن يعيش في المنفى في سويسرا سنوات طويلة ولم يعد الى بلاده الا قبل وفاته بشهر . وقد كتب عدة مؤلفات عن الفردية وهو يعتبر اليوم (أبو القومية العربية) وكانت آخر كلماته : « لا تنسوا فلسطين » .

من هذا المنظار، لا شك في أن نضال القذافي في مجال الوحدة العربية كان قد واجه صعوبات جمة لولا نضال عبد الناصر، بل وقد يكون مستحيلا. ومن هذا المنظار فقط، في رأيي، يمكن القول بأنه لو لم يكن عبد الناصر لما كان القذافي.

لكنني باقتناع عميق، نضج من خلال معرفتي بالرجل وبفكره أؤكد، أنه في جميع الأحوال، كان لا بد من وجود القذافي، ربما قذافي مختلف يرفع شعارا لا يتعدى نهلاً فيه مع صقر صلاح الدين رمز القومية العربية المنبعثة من جديد... لكن ودون أدنى شك، قذافي يقود الجماهير، طالما أن ذلك هو قدره، وتلك هي طبيعته التي لا يمكن أن تدفعه الا في طريق المخاطر المؤدية الى النصر أو الى الموت - واحيانا الى الاثنين معا - تلك الطريق التي سار عليها من قبله كل الذين حملوا رسالة إلى أخوتهم.

أي مصير ينتظره، لا أحد يستطيع التنبؤ بذلك. عوامل كثيرة تشترك في تحديد معالمه، ولا يخضع منها للتحليل سوى جزء قليل. لقد حدد القدر عبوره على هذه الارض في زمن كان ما فيه يتحرك. وحيث تجهل الشعوب والحكام ما يخبئه لها الغد. ولا شك في أن هذا العالم العربي الذي يمسك بزمام احدى قياداته بدأ يصير مركزا للرهان الحيوي - بسبب النفط الذي يشكل ثروته وشقاءه في الوقت نفسه - وبدأ يشهد صراعا يتعدى حدوده وسوف يجثم ثقيلا على مصير جميع دوله. ولا شك أيضا في أنه من بين القضيتين اللتين تستحوذان على اهتمام القذافي. تسير الأولى منهما - أي الوحدة العربية - في اتجاه سير التاريخ.

وقد يؤدي صراع مختلف الفرقاء المتنازعين حول «الذهب الاسود» واصرارهم على منع تحقيق الوحدة العربية، الى مفعول عكسي تماما، فيسهل تحقيقها. أما قضيته الثانية - البحث عن الله - فانها تلقى تجاوبا غريبا في عالم القرن العشرين الممزق بمعارك الاجيال، منها ما يعيد النظر في بناه الحيوية، ومنها ما يرفض ميراثه الفكري والاخلاقي... هذا العالم المزروع بالخوف، الذي يرفضه الشباب ويشعر الكبار بأنهم صانعوه وضحيته معا، هذا العالم التائه الملتجئ

اكثر فأكثر الى الاديان الضائعة او المنسية فلعله يجد فيها خلاصه من التطور العلمي المخيف واللا انساني .. وبالاضافة الى هذا كله يتجه هذا البحث الروحي في شتى أنحاء العالم الى الوصول بوسائل الانسان الخاصة ودون أي وسيط بينه وبين ربه .. مما قد يفسر الازمة الحقيقية التي تعانيها الكنيسة في عصرنا هذا .

يندفع القذافي اذن بقوى قد تصل به الى البعيد . ورغم تعدد العوامل المتحكمة في مصيره ، يبدو لي أن هناك امكانية التنبؤ بأمر أكيد وهو أنه طالما ظل يملك الطاقات الجسدية – أي طالما هو على قيد الحياة – فلن يتراجع عن مبدئه سواء اعتزل أم بقي رئيس دولة ، وسواء أفلح في اثارة الجماهير أم لم يحتفظ الاّ بعدد قليل من رفاق المسيرة ، وحتى ولو وجد نفسه ذات يوم وحيدا تحت سماء سرت الصافية ، ورفيقه الوحيد ربه الذي شغف به .

تسلم القذافي زمام السلطة منذ أربع سنوات . لكن العالم كله لم يهتم به الا منذ حوالي السنة .. ويمكن الرجوع الى الصحف ووكالات الانباء للتأكد من كثرة ورود اسمه .. مرّد هذا الاهتمام لا يعود الى ثروة ليبيا النفطية فالنفط كان هناك من قبل ١٩٦٩ بسنوات عديدة . ثم أن قضايا النفط من التعقيد بحيث أنها لا تستقطب الرأي العام وتستوجب اثارة اهتمامه بالأسماء والشخصيات التي تقرر مجراها أو تؤثر على هذا المجرى . صار القذافي محورا للاهتمام لاسباب بعيدة عن النفط ... وصار كذلك لأنه هو شخصية مثيرة . يولد الاعجاب أو الكراهية ولكن أحدا لا ينظر اليه نظرة لا مبالاة ، مصير رمزي ينطبق على الأمة العربية نفسها ، التي يحلم ببعث أمجادها الماضية .

يبقى علينا توضيح سبب الاهتمام العالمي المفاجئ بعد ثلاث سنوات من وصول هذه « الشخصية » الى سدّة الرئاسة ، خصوصا وأن أفكار القذافي طرحت منذ ١٩٦٩ .. وكانت الأشهر الثلاثة الأولى كافية ، ليعلن برنامجه على الملأ . وفي رأيي أن الانفجار القذافيّ (وأستعير هنا عبارة وردت على لسان صحفيين ومراقبين) يعود إلى أن الرئيس الليبي صبّ اهتمامه في المرحلة الاولى على غرس أفكاره في نفوس الشعب الليبي فهيأه لأن يكون مجموعة من أتباع وجنود هذه

الافكار. والمعركة التي يعد لها في الاساس ، واكرر ذلك ، هي معركة الايمان بالله واحترام الدين. ولم يطرح نظرياته وقراراته على بساط الاعلام الدولي الا فيما بعد هذه المرحلة. وهذا ما شدّ أنظار العالم أجمع إلى بلد لم يكن فيه ما يثير الاهتمام سوى ثروته النفطية. وهذا ما يفسر أيضا تأخر العرب أنفسهم في وعيهم بالظاهرة القذافيّة وعدم استباقهم الاجانب الى تقديرها حق قدرها. وسط هذه الظروف كان لا بد من ظهور أسطوره.. أسطورة شاعرية غذّاها الجهل الكامل بصاحبها وقلة اكتراث هذا الأخير لما يقال عنه. هل كانت قلة الاكتراث حقيقية أم مصطنعة ؟[1] في رأيي أن القذافي منشغل بأفكاره لدرجة تجعل كل ما يتعلق بشخصه أمر ثانوي لا يستحق الاهتمام. على أن الأوصاف الغريبة التي ظهرت في مقالات غير جدية ولا علمية ، انعكست في النتيجة على مجمل نضاله مسببة له اساءة فادحة. شبهوا القذافي بهارون الرشيد وسانت جوست وسافوناورولي وجحا الساذج وكراموبل والامير ميشكين وعبد الناصر بالطبع ... ولا أذكر جميع التشابيه. فالأوصاف التي أعطيت له تملأ صفحات كاملة ، وهي متنوعة تنوع الشخصيات التاريخية أو الخيالية التي يحاولون تشبيهه بها. لكن.. لم يحاول أحد – على حد علمي – رسم شخصيته ومقارنتها مع شخصية تاريخية هامة. وأتوقع ، أو بالأحرى آمل أن يتضح هذا الرسم في ذهن القارئ فيشهد ذلك على نجاحي في التوصل الى توضيح شخصية القذافي في هذا الكتاب.

ورغم ترددي في اضافة اسم جديد الى القائمة الطويلة الا أنني أطرح بدوري فكرة الشخصية التي يذكرني بها القذافي.

وآمل أن يدرك رئيس الدولة الليبية وأصدقائي المسلمون جميعا مدى حرصي على احترام شعورهم الديني وعدم المس بالاجلال الذي يكنونه لشخص النبي محمد. لكن من جوهر الدين الاسلامي ، الاصرار على الطبيعة البشرية للنبي ،

---

(١) (يميل الصحفي الايطالي نيلواجيلو الى التقدير الاول وقد كتب في هذا الصدد يقول : « ان لغز القذافي لا يرجع الى الصدفة وانما هو استجابة لاختيار مقصود » (الاسبرسو في ٢٧ مايو ١٩٧٣ م .)

وأيا يكن التبجيل والحب الذي يكنه كل مسلم لرسول الله ، فلا يسعه أن ينكر أن النبي محمد (صلعم) كان بشرا مثل جميع البشر ، إنه المصطفى والرسول وخاتم الانبياء ، ولكنه بشر ايضا . وبينما يرى المسيحيون في أي تشبيه بين الانسان والمسيح اساءة الى المسيح ابن الله ، أعتقد أن الاساءه غير واردة بالنسبة إلى من يُشبِّه الوجه الانساني للنبي بشخصية اخرى انسانية .

وبالتالي أميل الى تشبيه قدر القذافي « رسول الصحراء » بقدر محمد « رسول الله » . كلاهما بدوي نشأ في بيئة صحراوية ... ذلك أن المناظر المحيطة بمكة المكرمة بانهارها وجبالها ، لا تختلف كثيرا عن مناظر منطقة فزان التي ترعرع فيها القذافي . والنشأة البدوية تكسب صاحبها عقلية خاصة بقيت وستبقى هي نفسها طالما أن هناك بدو. فالشرف والحب والحرية والقدرة على الاحتمال المقرونة بالشجاعة والاخلاص . والنظرة الواقعية . والشعور بالمساواة بين أعضاء مجتمع واحد والميل الى الشورى والمشاركة في القرارات المتخذة . تلك هي الصفات المميزة للبدو ، والتي تطالعك في سيرة النبي . وأيضا في شخصية القذافي كما رسمها لي اصدقاؤه والمقربون منه . كلاهما يميل الى التأمل والعزلة والبحث في أبعاد الناس والأشياء . ومن خلال التركيز الفكري والتماع الذهن . تتوالد رؤياه للعالم ، هي رؤياه التي يحاول أن يفرضها على الآخرين . وكلاهما مؤمن بأن نظام العالم لن يتغير تغييرا حقيقيا ما لم تتغير طبيعة الناس أنفسهم . تغييرا فكريا في الأساس ولكنه يتناول أيضا المظهر الجسدي والذوق والطهارة والجمال . وحتى الاناقة .

طبيعة واحدة لينة وحازمة في الوقت نفسه . وتسامح واحد ازاء المعارضة . يحدده يقين مطلق بالانصاف مع شعور بالحق في فرض ما يراه خيرا لقومه وما يراه الوسيلة الوحيدة لخلاصهم . ونفس الاستهانة بالمصاعب والعقبات من أي نوع كانت . وشجاعة في مواجهة الانتكاسات والعقوق . واندفاع لاهوتي عميق . لا يعوزه احترام الآخرين ولا يمكن أن يسف أو يتخذ الشكل الديماجوجي. وكل هذه عوامل أخرى تبرر في نظري التشبيه بين الشخصيتين . والنبي محمد ،

مثل معمر القذافي ولد في عصر تتصارع فيه قوتان هائلتان وتستعدان لخوض معركة لا ترحم ، اليوم ، كما في تلك الايام البعيدة ، يتصارع الشرق والغرب ومن مثل هذا الصراع الحاسم – حسب عبرة التاريخ – تتوالد الظروف المناسبة لانبثاق قوى ظلت راكدة لفترة طويلة .

وأرجع في هذه المناسبة الى كاتب ، أتصور أن الرئيس الليبي لا يؤيده لأنه ماركسي ، أرجع الى صديقي مكسيم رودانسون . لقد كتب في تحليله للوضع السياسي الذي كان سائدا حين ولد النبي[1] :

« دولة عربية ترشدها عقيدة عربية ، متكيفة مع الاوضاع الجديدة وغير بعيدة عن البيئة البدوية التي لا بد من احتوائها وتنظيمها ، وتشكيل قوة منها تفرض احترامها على الامبراطوريات العظمى ، تلك كانت حاجة العصر... وكانت السبل مفتوحة امام الرجل العبقري الذي يعرف كيف يسلكها » .

وعلى المستقبل وحده أن يقرر ما اذا كان القذافي قد اجتاز الفضاء العربي من المحيط الى الخليج كحدث جوي عابر ، أو اذا كان بالفعل « رسول » هذا العالم .

باريس ، ١٤ أكتوبر ١٩٧٣

---

(١) كتاب « محمد » ص ٥٩ .

« ملحق »

اذا كانت ثلاثة شهور من عمر الانسان تعد فترة وجيزة . فبالاحرى تكون كذلك بالنسبة لحياة الشعوب . وعلى العكس من ذلك تماما فان ٢٤ ساعة قد تكفي لقلب حياة انسان او حياة شعب قلبا جذريا . ومع ذلك توجد ثوابت لا تتغير سواء في حياة الفرد أو في التاريخ ذاته مهما كانت التبدلات التي يفرضها عليه هذا الحدث أو ذاك .

ويرجع تاريخ هذا الكتاب الى ١٤ أكتوبر عام ١٩٧٣ وفي ١٤ يناير ١٩٧٤ أراه لا يتطلب أي ايضاح إن لم يكن ذكر الاحداث التي طرأت وفقا لترتيبها الزمني . ومع ذلك يبدو لي من المهم على ضوء الاحداث التي وقعت في الشرق الاوسط وبطريقة غير مباشرة في العالم بأسره . أن أوضح بعض الفقرات الخاصة بتلك الاحداث والتي اكتسبت تبعا لذلك قيمة تنبؤية :

٦ أكتوبر ١٩٧٣	نشوب القتال العربي الاسرائيلي
٢٢ أكتوبر ١٩٧٣	مصر واسرائيل توقعان اتفاقية وقف اطلاق النار
٢١ ديسمبر ١٩٧٣	افتتاح مؤتمر السلام حول الشرق الاوسط في جنيف

وكان القذافي قد قال من قبل في يناير ١٩٧٣ « ... والذي سيحصل في المستقبل . حسب المعطيات الموجودة أن حربا يضطر لها الحكام العرب ستقوم لسبب أو لآخر تدور رحاها خارج الاراضي المحتلة ، وبعبارة أخرى ستكون

فوق أرضنا نحن .. وستكون النتيجة أن نأتي لشعوبنا وعندنا كل المبررات بضرورة قبول السلم ، بل وقبول الاستسلام . ونذهب الى الاعتراف باسرائيل ... ان ما تريده (بلدان الغرب والشرق) هو تفجير برميل البارود اما فوق سيناء أو فوق الجولان أو فوق الضفة الغربية .. اذا كان هناك حرب ندخلها ، لا بد وأن تدور فوق أرض العدو ولا تبقى معارك خاسرة .. وأنا شخصيا غير مستعد للدخول في معركة أعرف مسبقا أنها فاشلة ولا يمكن أن أتحمل خزى هزيمة حدثت في مثل تلك الظروف .. »

من ٩ أكتوبر الى ٨ نوفمبر عام ١٩٧٣

أربعة عشر دولة افريقية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وتلك الدول هي (رواندا – داهومي – فولتا العليا – الكاميرون – تانزانيا – مدغشقر – اثيوبيا – غانا – السنغال – الجابون – كينيا – ساحل العاج – نيجيريا – جامبيا) وأبقت خمس دول من القارة الافريقية على علاقاتها مع اسرائيل وهي (بوتسوانا – ليسوتو – جنوب افريقيا – روديسيا – مالاوي)

وكان القذافي قد صرح قائلا في يوليو عام ١٩٧٣ « لقد بذلنا مجهودات كبيرة في افريقيا وفي جميع أنحاء العالم في سبيل كسب الدول الاخرى الى جانب القضية العربية .. وبالفعل انحسرت اسرائيل عن افريقيا . وأستطيع أن أؤكد لكم أن الدول الافريقية ستقف جميعا صفا واحدا الى جانبنا ضد اسرائيل . ولا يعني هذا أننا نعتقد في أن هذا هو الطريق الى فلسطين لأنه حتى وان توصلنا إلى إسقاط جميع السفارات الاسرائيلية أينما كانت . واذا رفض العالم أجمع الاعتراف باسرائيل . فهي ما زالت موجودة » .

١٦ أكتوبر عام ١٩٧٣

اجتمعت البلدان العربية المنتجة للنفط في الكويت وقررت استخدام النفط كسلاح سياسي إلى أن تنسحب اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها . وتقرر

الحظر النفطي ، وتم تصنيف البلدان المستوردة من زاوية القيود النفطية الى ثلاث فئات « أصدقاء ، ومحايدين ، وأعداء » .

وكان القذافي قد صرح في يناير عام ١٩٧٢ « لن نستخدم النفط كسلاح سياسي ... أما اذا فرض علينا العدو المعركة ، فسوف نستخدم كل الوسائل وتصبح كلها وسائل سياسية لمواجهة العدو . وعندما نستخدم النفط كسلاح سيكون الضرر جسيما وهذه النقطة الحرجة في يد الدول ذات الشأن تستطيع الابتعاد عنها أو القرب منها » .

في ١٢ يناير عام ١٩٧٤

في اعلان جربه بتونس – والذي وقعه القذافي وبورقيبة – قررت ليبيا وتونس أن تتحدا في دولة واحدة ويطلق عليها اسم « الجمهورية العربية الاسلامية » على أن يتم استفتاء في البلدين يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ .

وكان القذافي قد صرح في ديسمبر عام ١٩٧٢ « ان هذا الجيل الذي يعيش الآن يتمتع بالحرية التي كافح في سبيلها جيل آخر ... هذا الجيل لا يطالب بالطبع بالتحرر من الاستعمار المباشر . فهو يعيش في عصر تختلف فيه المطالب .. انه يطالب بالقومية العربية . والوحدة العربية . والاشتراكية . وتحرير فلسطين ..... وعلى القيادات أن تستجيب لتطلعات وآمال الجماهير أينما كانت في العالم العربي .. حتى هنا في تونس » ورد بورقيبة قائلا :

« في الحقيقة لم يكن العالم العربي متحدا في يوم من الايام منذ وفاة النبي . فقد هبت عاصفة الخلاف وظهرت من خلال تعاقب التاريخ كيانات وطنية عملت على تكوين شخصيتها الخاصة بها وتأكيدها . وهذا هو الامر بالنسبة لتونس .. ولتحقيق وحدة الشرق والغرب تلزم سنوات ان لم يكن عصورا من الجهد الذي لا يمل » .

واذا كنت أغترف من تلك الأمثلة ، فهي أفضل مكافأة على عملي ، وهذا لا يعني مطلقا أنه « غرور كاتب » بل لأن الخاتمة التي كنت أريد التوصل اليها من خلال ادراكي لافكار العقيد القذافي واعماله . وبدقة أكثر ، ما يتعلق برجل عميق الاخلاص ، شديد التمسك بمبادئه ، واضح ومتبصر في وقت واحد . وجدتها في تلك المقاطع تؤيد وتثبت تلك الصفات .

تسلسل الاحداث تاريخيا

عام ١٩١١

٣ أكتوبر: نزول القوات الايطالية في طرابلس واصطدامها بمقاومة القوات الليبية التي قاتلت الى جانب الاتراك.

عام ١٩١٢

١٨ أكتوبر: رغم النكسات التي أحاقت بالايطاليين، وقعت «طرابلس» «وبرقة» تحت السيادة الايطالية بمقتضى معاهدة «أوشي».

٣٠ أكتوبر: دعمت ايطاليا وضعها بتوقيع اتفاقية مع فرنسا «تتعلق بالاوضاع الخاصة بفرنسا في المغرب. والخاصة بايطاليا في ليبيا».

عام ١٩١٣

٤ مايو: عقدت ايطاليا اتفاقية مع اسبانيا تتعلق «بالمواقع الخاصة باسبانيا في المغرب وتلك التي تخص ايطاليا في ليبيا».

عام ١٩١٤

٢٩ مايو: «الاتفاقية الفرنسية الايطالية الثانية بشأن مسألة تونس وطرابلس».

عام ١٩١٥

٢٦ ابريل: ايطاليا توقع مع فرنسا وانجلترا «ميثاق لندن» الذي يسمح لايطاليا بالمطالبة بتعويضات في حالة توسع بريطانيا وفرنسا في ممتلكاتهما الاستعمارية في افريقيا.

عام ١٩٣٩

٣ سبتمبر: اندلاع الحرب العالمية الثانية .

عام ١٩٤٠

٩ ابريل : رفع الامير ادريس الذي كان منفيا في مصر لواء الثورة على الايطاليين وكوّن « قوة عربية ليبية » حاربت بعد ذلك الى جانب القوات البريطانية .

١٠ يونيو : ايطاليا تدخل الحرب بجانب المانيا .

٦ ديسمبر: الجنرال أوكنور قائد الفرقة الثامنة يواجه قوات المارشال جراسياني

عام ١٩٤١

٢٢ يناير : سقوط طبرق في يد الانجليز.

٦ فبراير : القوات البريطانية والاسترالية تحتل بنغازي .

٢ مارس : جيش لوكليرك المرابط في تشاد يستولي على الكفرة .

ابريل : يستعيد الألمان بنغازي ويتقدمون حتى مرسى مطروح في مصر.

عام ١٩٤٢

١٥ يناير : قوات الجنرال أوكلينك تصل الى صحراء سرت الكبرى .

اكتوبر: بدء معركة العلمين .

عام ١٩٤٣

٢٦ يناير : انضمام قوات مونتجمري ولوكليرك وتحرير ليبيا .

عام ١٩٤٧

١٠ فبراير : توقيع معاهدة السلام مع ايطاليا وبمقتضاها (المادة ٢٣) تتخلى ايطاليا عن أية حقوق أو اي وضع على ممتلكاتها الاقليمية في افريقيا

عام ١٩٤٩

٢١ نوفمبر : الجمعية العامة للامم المتحدة توافق بأغلبية صوت واحد على مبدأ استقلال ليبيا .

عام ١٩٥١

٢٤ ديسمبر: اعلان استقلال ليبيا .

عام ١٩٥٢

٢٨ مارس : انضمام ليبيا الى جامعة الدول العربية

عام ١٩٥٣

٢٩ يوليو : توقيع معاهدة صداقة بين بريطانيا وليبيا .

٧ ديسمبر: بريطانيا توقع مع ليبيا معاهدة تسمح لها بالاحتفاظ بقواعد عسكرية ولقواتها بالمرابطة في الاراضي الليبية لمدة عشرين عاما مقابل اعانة مالية سنوية قدرها ثلاثة ملايين و٧٥٠ الف جنيه استرليني

عام ١٩٥٤

يونيو : الشركة الفرنسية للنفط تحصل على اذن بالتنقيب عن النفط في فزان .

٩ سبتمبر: معاهدة امريكية ليبية تسمح للولايات المتحدة بالاحتفاظ بقاعدة « هويلس فيلد » الجوية لمدة عشرين عاما مقابل اعانة مالية سنوية قدرها ٢ مليون دولار .

عام ١٩٥٥

١٩ يونيو : ليبيا تزود نفسها بتشريع نفطي .

نوفمبر : الحكومة الليبية تمنح شركة « اسوستاندرد » الامريكية امتيازا للتنقيب عن النفط .

ديسمبر: النفط يتدفق لأول مرة في منطقة امتياز اسو بواقع ٨٥ طنا يوميا من عمق ٧٠٠ متر بكثافة قدرها (٤٤ درجة حسب مقياس معهد النفط الامريكي) .

عام ١٩٥٧

٣ يناير : الرئيس بورقيبة يدعو وللمرة الأولى لفكرة وحدة « المغرب الكبير »

عام ١٩٥٩

ابريل : شركة « اسو ليبيا » تكتشف حقلا نفطيا في زلطن (الامتياز السادس : ٣٠٠٠ طن يوميا بكثافة « ٣٩ » درجة حسب مقياس « معهد النفط الامريكي » على عمق ١٨٠ متر .

عام ١٩٦١

أغسطس : أدخل تعديل على قانون النفط الاساسي الصادر في عام ١٩٥٥ ، ينص على أن :

١ – فتح الامتيازات يتم عن طريق المناقصات .

٢ – رغم أنه لم يطرأ تغيير على معدل الاستحقاق (١٢٫٥ ٪) فان قاعدة التقدير قد رفعت بشكل هائل .

سبتمبر: تم نقل أول شحنة من خام زلطن الى اوروبا .

عام ١٩٦٤

١٣ يناير : طلبة بنغازي ينظمون مظاهرة لتأييد المؤتمر الاول للقمة العربي الذي عقد في القاهرة . اصطدموا بقوات الشرطة .

١٤ يناير : كعلامة احتجاج على احداث البارحة تحولت المظاهرات الطلابية إلى ثورات دموية سواء في بنغازي أو طرابلس .

١٦ يناير : البرلمان الليبي يطالب باجلاء القواعد البريطانية والامريكية بناء على طلب القاهرة .

عام ١٩٦٥

٢٠ نوفمبر: صدر قانون نفطي جديد، وجاء هذا القانون متمشيا مع القرارات التي اتخذتها البلدان أعضاء منظمة الدول المصدرة للنفط ومحددا الاسعار المعلنة بدلا من الأسعار الحقيقية. ويتم تحصيل الاستحقاقات وفقا للقواعد الجديدة المسماة بقواعد «النمو» أو «التوسع»

عام ١٩٦٧

مايو: اصطدام الطلبة من جديد بالحكومة.

عام ١٩٦٩

اول سبتمبر: في ليلة ٣١ اغسطس وأول سبتمبر خرجت جماعة من الضباط يسمون أنفسهم «الضباط الوحدويون الاحرار» من معسكراتهم في مختلف المدن، واحتلوا النقاط الاستراتيجية، واعتقلوا الشخصيات البارزة في المملكة وأعلنوا قيام الجمهورية العربية الليبية. كان ذلك في الساعة السابعة صباحا.

٨ سبتمبر: تكليف السيد محمود سليمان المغربي بتشكيل الحكومة.

١٣ سبتمبر: تعيين العقيد معمر القذافي رئيسا لمجلس قيادة الثورة.

٢٩ سبتمبر: ليبيا تعلن أنها لن تجدد الاتفاقيات الخاصة بالقواعد الامريكية والبريطانية المقامة على أرضها.

١٤ نوفمبر: ليبيا تؤمم ٥١ ٪ من المصارف الاجنبية.

٧ ديسمبر: اعتقال جماعة من كبار الضباط. بلاغ رسمي يعلن أنه تم إحباط محاولة تآمر.

٨ ديسمبر: بداية المفاوضات البريطانية – الليبية لاجلاء القواعد العسكرية البريطانية عن طبرق والعدم.

١١ ديسمبر: مجلس قيادة الثورة يصدر قانونا يقضي بانزال عقوبة الاعدام بكل من يحاول قلب النظام الثوري بالقوة .

١١ ديسمبر: اعلان مجلس قيادة الثورة عن تزويد البلاد بدستور مؤقت يعمل به الى حين وضع دستور دائم .

٢١ ديسمبر: افتتاح مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط .

٢٣ ديسمبر: توقيع اتفاقيات تقضي بأن تجلو القوات البريطانية عن ليبيا في ٣١ مارس ١٩٧٠ . وبأن تجلو القوات الامريكية في ٣٠ يونيو ١٩٧٠ على أبعد تقدير.

٢٤ ديسمبر: بيان ليبي امريكي مشترك يعلن جلاء الولايات المتحدة الامريكية عن قاعدة « هويلس فيلد » الجوية قبل ٣٠ يونيو ١٩٧٠ .

٢٦ ديسمبر: الرؤساء ، عبد الناصر ، والقذافي ، ونميري يلتقون في طرابلس .

٢٧ ديسمبر: توقيع كل من مصر والسودان وليبيا على ميثاق طرابلس .

٢٩ ديسمبر: قطع المفاوضات البريطانية – الليبية الخاصة بامداد السلاح الجوي العربي الليبي بمعدات للدفاع الجوي .

أنهت شركة « بريتش اير كرافت » عقودها مع ليبيا .

عام ١٩٧٠

٩ يناير : تشكيل حكومة جديدة . القذافي يضطلع بمهام رئيس الوزراء .

١٠ يناير : اذاعة هويات جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة .

١٠ يناير : وضع المغربي رئيس الوزراء وعددا من وزرائه تحت الرقابة المحكمة واستجوابهم .

١٩ يناير : مجلس قيادة الثورة يصدر قرارا بشأن الثراء غير المشروع للشخصيات التي تشغل وظائف عامة .

٢١ يناير : ميشيل دوبريه يعلن أن فرنسا ستسلم إلى ليبيا ، في السنوات القادمة، مائة طائرة مقاتلة من طراز « ميراج »

٢٧ يناير : ليبيا توقع مع الجزائر اتفاقية تعاون في المجال النفطي وقرر البلدان مضاعفة تحركهما من أجل رفع الاسعار.

٢٩ يناير : بدء المفاوضات في طرابلس مع الشركات النفطية لرفع أسعار النفط. ليبيا تطلب زيادة قدرها ٤٠ سنت في البرميل الواحد ، ولم توافق الشركات إلا على ١٠ أو١٣ سنت . والقذافي يهدد يقطع المفاوضات ويعلن قائلا : « لقد عاشت بلادنا بدون نفط لمدة خمسة آلاف عام ويمكن أن تعيش بدونه عدة أعوام اخرى .... » .

١٢ فبراير : صدور قانون بتعديل التشريع النفطي .

٢٥ فبراير : زيارة المارشال تيتو لطرابلس . البيان المشترك يبرز « أهمية سياسة عدم الانحياز» .

مارس : في خطاب للقذافي في مدينة البيضاء أعلن قائلا :
« ... في الوقت الذي تتم فيه مشكلة القواعد الاجنبية ، سنبدأ المعركة مع شركات النفط » .

٥ مارس : الحكومة الليبية تحل شركة « ليبيان بتروليوم كومباني » التي انشئت في ابريل ١٩٦٨ . وأقامت محلها المؤسسة الليبية للنفط .

١٠ مارس : ليبيا تعلن رفضها الاشتراك في المؤتمر السادس لوزراء اقتصاد المغرب.

٣١ مارس : جلاء الانجليز عن قاعدتي طبرق والعدم العسكريتين .

أول ابريل : ليبيا توجه تحذيرا الى شركات النفط .

١٦ ابريل : القذافي يزور الجزائر رسميا ويجري مباحثات مع الرئيس بومدين.

٢٢ مايو : توقيع اتفاق نفطي بين العراق والجزائر وليبيا بحيث تكون البلدان الثلاثة جبهة لتبادل المساعدة والمساندة « لتدعيم وسائلهم العملية

في مواجهة الشركات المستغلة » .

٢٥ مايو: في خطاب في مدينة الزاوية ، عرض القذافي خطة ليبية « لقومية المعركة » وتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وأوصى بحشد جميع امكانات الأمة العربية لمجابهة اسرائيل .

٢٨ مايو: القذافي يتوجه الى الخرطوم .

يونيو: الحكومة الليبية تفرض على شركة « أوكسيد ينتال » أن تخفض انتاجها بمقدار ٣٧ ٪ من أجل المحافظة على « حقولها » وفرضت تخفيضات أخرى على مختلف المنتجين بهدف توصيل الانتاج الكلي الى ٣ر٧ مليون برميل يوميا .

١٦ يونيو: الجلاء عن القواعد العسكرية الاجنبية التي كانت مقامة في ليبيا .

٢٣ يونيو: الحكومة الليبية توقف المفاوضات التي كانت جارية مع شركات النفط .

يوليو: وجه القذافي تحذيرا الى الشركات في خطاب القاه بمصراته

٧ يوليو: الحكومة الليبية تؤمم شبكات توزيع الانتاج النفطي مثل (اسو، شل ، ايني بترو- ليبيا) وبالتالي اصبح للمؤسسة الوطنية للنفط وحدها حق توزيع وبيع منتجاتها في سائر أنحاء البلاد .

٩ يوليو: تحذير جديد لشركات النفط .

٢١ يوليو: قرار من مجلس قيادة الثورة بنزع ملكية جميع ممتلكات الايطاليين لصالح الدولة .

٢٤ يوليو: القذافي يعلن اكتشاف « مؤامرة رجعية استعمارية » دبرها في فزان بعض شخصيات العهد البائد بمساعدة اجنبية . رئيسا وزراء سابقين يتورطان في هذه المؤامرة ، وهما عبد الحميد البكوش وحسين مازق .

٤ أغسطس: عبد الناصر يقبل « مشروع روجرز للسلام » ليبيا تصدر بيانا تعرب فيه اعلانها لرفض توقيع أية معاهدة مع اسرائيل ، أو القبول بأية « تصفية » للقضية الفلسطينية . ونددت في نفس الوقت بأية مناورة تهدف الى النيل من شخصية عبد الناصر.

١٥ أغسطس: ليبيا توقع مع تونس اتفاقية تعاون اقتصادي وثقافي .

٣ سبتمبر: السعر المعلن للنفط الخام يصل الى ٢٫٥٣ دولار للبرميل الواحد ، أي بزيادة قدرها ٣٠ سنتا .

١٦ سبتمبر: في اعقاب تعديل وزاري ... عين الرائد عبد السلام جلود وزيرا للصناعة . وضمت الوزارة الجديدة عددا كبيرا من العسكريين .

١٨ سبتمبر: ليبيا توقف دعمها للاردن في اعقاب أحداث عمان الدامية التي شهدت ابادة المقاومة الفلسطينية .

٢٦ سبتمبر: ليبيا تقطع علاقاتها مع الاردن .

٢٨ سبتمبر: وفاة جمال عبد الناصر.

٣ أكتوبر: القذافي يجتمع مع كوسيجين في القاهرة .

١٦ اكتوبر: اجتماع قمة عربي في القاهرة .

١٨ اكتوبر: اصدار القانون النفطي الليبي الجديد .

٨ نوفمبر: السادات والنميري والقذافي يجتمعون في القاهرة بهدف « تنسيق سياسة البلدان الثلاثة » .

١٢ نوفمبر: افتتاح مؤتمر منظمة الدول المصدرة للنفط في « كاراكاس » .

١٦ نوفمبر: اللواء حافظ الاسد يستولي على السلطة في سوريا .

١٩ نوفمبر: افتتاح المجلس التاسع لمؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية والافريقية في طرابلس .

٢٧ نوفمبر : اللواء الاسد ، الرئيس الجديد للدولة السورية يطلب ضم سوريا الى ميثاق طرابلس (مصر والسودان ، وليبيا) .

٩ ديسمبر: منظمة الدول المصدرة للنفط المجتمعة في «كاراكاس» لتحديد أهدافها الجديدة ، تتخذ التزامات بالتضامن فيما بينهما

١٢ ديسمبر: افتتاح المؤتمر الأول للدعوة الاسلامية في طرابلس .

٢٦ ديسمبر: الرئيس بومدين يزور طرابلس .

عام ١٩٧١

٣ يناير : الرائد جلود يعلم الشركات بالمطالب الليبية الجديدة ، وتنصب هذه المطالب في زيادة جوهرية للاسعار المعلنة ، يضاف اليها جعالة نولون شحن اتفق على تسميتها (جعالة السويس) تسري من تاريخ اغلاق القناة .

٦ يناير : رؤساء الدول أعضاء ميثاق طرابلس يجتمعون في القاهرة .

١٨ يناير : توقيع اتفاقية مع الجزائر بمقتضاها تنشأ شركة لنقل «الوقود» والبدء في مشروع مشترك خاص بالتكرير والبتروكيماويات .

١١ فبراير : القذافي في زيارة رسمية لتونس .

١٤ فبراير : توقيع اتفاق طهران بين البلدان أعضاء منظمة الدول المصدرة للنفط وشركات النفط .

١٥ فبراير : أنشئ في مرسيليا غرفة تجارية فرنسية – ليبية .

١٧ فبراير : زيارة الرئيس ديوري هاماني رئيس جمهورية النيجرإلى طرابلس رسميا.

٢٤ فبراير : ممثلو ليبيا ، والعربية السعودية ، والعراق ، والجزائر يجرون مباحثات في طرابلس حول السياسة النفطية .

٢٤ فبراير : الرئيس بومدين يعلن استيلاء الجزائر على ٥١ ٪ من أسهم شركات

النفط الفرنسية العاملة في بلاده ، وكذلك تأميم حقول الغاز الطبيعي وخطوط أنابيب نقل النفط .

١٦ مارس: البلدان العربية الاربع المنتجة للنفط تتفق على تحديد الاسعار المعلنة وايقاف التصدير في حالة رفض الشركات لهذه الاسعار.

٢٥ مارس: الشركات النفطية تقطع مفاوضات طرابلس ويتوجه عدد كبير من الوفود الغربية الى لندن .

٢٨ مارس: في خطاب القذافي في طبرق ، صرح بأنه لن يستسلم أبدا للشركات.

٢ ابريل : التوقيع في طرابلس على الاتفاقية النفطية وتتضمن رفع السعر المعلن للخام الليبي الى ٣٫٤٥ دولار للبرميل . وتضمن هذا السعر ضريبة شحن متغيرة وقدرها ٢٢ سنت ووافقت الشركات على رفع معدل المستحقات على الارباح بما يتراوح بين ٥٠ و٥٥ ٪ ودفع متأخرات الضرائب عن الفترة ١٩٦٥ – ١٩٧٠

١٧ ابريل : اعلان بنغازي . تتحد مصر وسوريا وليبيا وتكوّن اتحاد الجمهوريات العربية . وتحدد تاريخ أول سبتمبر ١٩٧١ لاجراء استفتاء في البلدان الثلاث .

٢٢ ابريل : في مؤتمر صحفي صرح الرائد جلود قائلا : « لقد تبين أن الروابط الموجودة بين النظام السابق والشركات النفطية لم تكن علاقات بين دولة وشركات أجنبية .... فقد كانت الشركات تشكل في الواقع دولة داخل الدولة .... »

٢٦ ابريل : ليبيا تساند الجزائر عمليا في نزاعها النفطي مع فرنسا .

٢ مايو: الجنرال جان بيدل بوكاسا رئيس جمهورية افريقيا الوسطى يصل طرابلس في زيارة رسمية .

٦ مايو: توقيع اتفاقية صداقة وعدد من اتفاقيات التعاون التجاري والجوي

والاتصالات السلكية واللاسلكية مع جمهورية افريقيا الوسطى .

٢٧ مايو: مصر توقع اتفاقية صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي .

٧ يونيو: التصديق على اتفاقية حسن جوار وصداقة بين النيجر وليبيا . وتنص الاتفاقية – خاصة – على التعاون في مجال البحث عن النفط قرب الحدود المشتركة بين البلدين .

١١ يونيو: ليبيا تعترف بحكومة الصين الشعبية .

٢٦ يونيو: منح القذافي « وسام لينين » تقديرا لما يبذله من جهود لصالح السلام العالمي .

٣٠ يونيو: توقيع اتفاقية فنية نفطية مع فرنسا تقضي بانشاء مركز للدراسات والبحوث لتأهيل المهندسين الليبيين بالتعاون مع مركز النفط الفرنسي.

١٠ يوليو: انقلاب الصخيرات ضد الملك الحسن الثاني ، ملك المغرب ، الاذاعة المسموعة الليبية تقف الى جانب المتمردين .

١٤ يوليو: ليبيا تقطع علاقاتها السياسية مع المغرب .

١٤ يوليو: اجتماع مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية في مرسى مطروح .

١٩ يوليو: انقلاب شيوعي ضد اللواء جعفر نميري في السودان ، برئاسة الرائد هاشم العطا .

٢٢ يوليو: ليبيا تجبر طائرة بريطانية على الهبوط بعد أن كانت متوجهة الى الخرطوم وعلى متنها اثنين من الزعماء السودانيين ومن اعضاء المؤامرة التي كان يقودها الرائد هاشم العطا ضد نظام الرئيس نميري.

٣٠ يوليو: اجتماع مؤتمر قمة عربي في طرابلس ، عقب تدخل الجيش الاردني ضد ما تبقى من القواعد الفلسطينية في يوليو ١٩٧١

اغسطس: طرابلس تمنح حكومة مالطا قرضا يصل الى ١٢ مليون دولار .

١٣ اغسطس: تعديل وزاري جديد يصل فيه الى السلطة مجموعة من الفنيين يحلون محل العسكريين في عدد كبير من القطاعات .

٢٠ أغسطس: اعلان دمشق : موافقة رؤساء الدول الثلاث على دستور الدولة الاتحادية (مصر وليبيا وسوريا) .

٢٧ أغسطس: تشاد تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا ، وذلك في أعقاب احباط مؤامرة في فورت – لامي .

سبتمبر : البلدان الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط المجتمعة في بيروت تثير قضية المشاركة بنسبة ٢٠ ٪ في عمليات انتاج الشركات. ليبيا تأمل مثل الجزائر في التحكم في ٥١ ٪ من الانتاج .

أول سبتمبر: استفتاء في الدول الثلاث لاتحاد الجمهوريات العربية لاقرار الدستور الجديد .

١٨ سبتمبر: ليبيا تعترف بالجبهة الوطنية التشادية .

١٨ سبتمبر: اختفاء مفاجئ للقذافي من على المسرح السياسي حتى الرابع من أكتوبر .

٢٨ سبتمبر: القذافي الذي اختفى من المسرح السياسي منذ ١٨ سبتمبر لا يحضر اجتماع مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية المقرر عقده في القاهرة .

٤ أكتوبر: القذافي يعاود الظهور فجأة ويجتمع بالرؤساء الثلاثة لاتحاد الجمهوريات العربية في القاهرة .

٧ أكتوبر: ألقى القذافي خطابا في مدينة صبراته وقال فيه : « نعتقد أنه قد حان الوقت لكي تتكفل الجزائر أخيرا بعناء تحديد موقفها تجاه الوحدة العربية ومعركة المصير الغامض وأن تطمئنا وتقول صراحة وبوضوح ماذا تنوي عمله » . كشف رئيس الدولة الليبي في

نفس الوقت ، انه كان قد قدم استقالته في ١١ سبتمبر.

١١ أكتوبر: القذافي يجتمع ببومدين في حاسي مسعود .

١٦ نوفمبر: الحكم بالاعدام غيابيا على الملك السابق ادريس .

١٩ نوفمبر: احياء تقليد من أعرق التقاليد الاسلامية التي تركت منذ عصور، حيث امّ القذافي المؤمنين في صلاة عيد الفطر وألقى فيهم خطبة العيد .

٧ ديسمبر: ايران تحتل ثلاث جزر استراتيجية صغيرة من جزر الخليج العربي . واتهمت ليبيا بريطانيا بتواطئها مع ايران في تلك العملية ثم قامت بسحب ما لديها من أرصدة في المصارف البريطانية ، وأممت مصالح شركة النفط البريطانية « بريتش بتروليم » وكرد للطعنة دعت شركة بريتش بتروليم – فيما دعت – الى إنشاء منظمة للدول المستوردة للنفط لمواجهة منظمة الدول المصدرة للنفط .

١٤ ديسمبر: استبعاد ليبيا من منطقة الاسترليني .

١٨ ديسمبر: القذافي يوجه رسالة محذرا فيها السيدة « انديرا غاندي » رئيسة وزراء الهند ، حول موضوع الحرب الهندية – الباكستانية ، والعواقب الوخيمة التي يمكن أن تسفر عنها هذه الحرب في هذه المنطقة من العالم .

٢١ ديسمبر: بدء المناقشات في القاهرة لتزويد اتحاد الجمهوريات العربية بالمؤسسات الدستورية .

٣٠ ديسمبر: دوم مينتوف رئيس حكومة مالطا يصل إلى ليبيا في زيارة رسمية .

عام ١٩٧٢

أول يناير: قيام اتحاد الجمهوريات العربية رسميا .

١٣ يناير: لجنة التحرير الافريقية تجتمع في بنغازي لمناقشة الدعم الذي

يتعين تقديمه لحركات التحرير الافريقية .

١٨ يناير : توقيع اتفاقية مع الصومال حول المواقف الواجب اتخاذها لمواجهة الاستعمار والصهيونية .

٢٥ يناير : توقيع اتفاقية انهاء المعاهدة التي أبرمت بين بريطانيا وليبيا في ٢٩ يوليو ١٩٥٣ .

٣١ يناير : القذافي يتوجه الى الخرطوم للاجتماع مع الرئيس نميري .

٥ فبراير : توقيع اتفاقية اضافية مع الولايات المتحدة تقضي بالغاء كل اتفاقيات المساعدات العسكرية والاقتصادية التي أبرمت بين الولايات المتحدة الامريكية والعهد السابق في ظل الملك ادريس .

١٥ فبراير : القذافي يصل الى جمهورية موريتانيا الاسلامية في زيارة رسمية .

٢٩ فبراير : توقيع اتفاقية تعاون فني مع فولتا العليا .

٤ مارس : الرائد جلود يوقع في موسكو اتفاقية تعاون فني واقتصادي بشأن البحث والتنقيب عن النفط واستخراجه وتكريره .

١٥ مارس : القذافي يتفقد القوات المصرية المرابطة على طول قناة السويس .

٢٨ مارس : افتتاح المؤتمر الوطني الاول للاتحاد الاشتراكي العربي في طرابلس .

٦ ابريل : استقالة الحكومة الليبية .

٩ ابريل : توقيع معاهدة صداقة بين العراق والاتحاد السوفيتي .

١٣ ابريل : استدعاء السفير الليبي في بغداد الى طرابلس عقب توقيع معاهدة الصداقة السوفيتية — العراقية .

٢٢ ابريل : اعادة العلاقات الدبلوماسية مع تشاد بفضل المساعي الحميدة التي بذلها الرئيس النيجيري هاماني ديورى .

٢ مايو : القذافي يتفقد القواعد البحرية المصرية في ميناء الاسكندرية .

٤ مايو. الرئيسان السادات والقذافي يتوجهان الى الجزائر.

٢٥ مايو. القذافي يصل الى الخرطوم للمشاركة في أعياد الذكرى الثالثة للثورة السودانية.

٣٠ مايو. قرار يقضي بعقوبة الاعدام لكل من ينتمي لأي حزب آخر غير الاتحاد الاشتراكي العربي.

٥ يونيو. ليبيا تطلب من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا تخفيض عدد أفراد بعثيهما الدبلوماسية في طرابلس.

١١ يونيو. القذافي يعرب عن تأييده الكامل لما اتخذته العراق من اجراءات تأميم شركة النفط العراقية «ايراك بتروليوم كومباني».

١١ يونيو. بمناسبة العيد الثاني لجلاء القوات الامريكية عن قاعدة «هويلس فيلد» القى القذافي خطابا شديد اللهجة ضد بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وانسحب سفيرا البلدان من المنصة الرسمية.

٢١ يوليو. اجتماع مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية بمرسى مطروح. دعوة الرئيس الاوغندي عيدي أمين للاشتراك في هذا الاجتماع.

يوليو. توقيع اتفاقية بين مالطا وليبيا تهدف الى دعم وتطوير علاقاتهما الاقتصادية السياحية والثقافية. وضع خط وسط عبر البحر المتوسط لتوزيع عمليات التنقيب عن النفط واحتمالات استثمار الطبقات النفطية.

١٠ يوليو. تكليف الرائد عبد السلام جلود بتشكيل وزارة جديدة.

١٦ يوليو. الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصناعة يشكل الوزارة الجديدة.

٢٠ يوليو. مصر تطلب من الاتحاد السوفييتي، سحب المستشارين العسكرين السوفييت.

٢٣ يوليو : بمناسبة العيد العشرين للثورة المصرية ، يفتتح القذافي في منطقة « الكراريم » قرب مصراته ، معسكر « ناصر » للمتطوعين . وبهذه المناسبة كشف النقاب عن وجود مشروع للوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .

٢ اغسطس : الرئيسان السادات والقذافي يعلنان الوحدة الشاملة بين ليبيا ومصر على أن تسري اعتبارا من أول سبتمبر ١٩٧٣ عقب استفتاء يجري في البلدين والى أن يحين ذلك الموعد تقام قيادة سياسية موحدة تعمل بدورها على انشاء لجان مشتركة لدراسة مسألة المؤسسات التي تقوم عليها تلك الدولة الجديدة .

٢٨ اغسطس: ليبيا تمنح العراق قرضا بـ ٧ر٥ مليون دينار عراقي أي (٩ر٣٣ مليون جنيه استرليني) .

٥ أكتوبر : أسفرت المفاوضات الخاصة بمشاركة البلدان المنتجة في رأس مال الشركات النفطية عن اتفاق نيويورك . تبدأ المشاركة بـ ٢٥ ٪ وتنتهي بـ ٥١ ٪ في غضون عشر سنوات .

١٩ أكتوبر : التوقيع في طرابلس على اتفاقية تعاون اقتصادي ومالي مع النيجر .

٣ نوفمبر : الرائد جلود رئيس الوزراء الليبي يقوم بزيارة رسمية الى باريس .

٢٦ نوفمبر : القذافي يدعو رئيسي حكومتي اليمن الشمالية واليمن الجنوبية الى طرابلس للعمل على تحقيق وحدة شطري اليمن ، وايقاف حرب الاشقاء التي يخوضونها ضد بعضهما .

١٣ ديسمبر : القذافي يقوم بزيارة لتونس .

عام ١٩٧٣

٢٩ يناير : افتتاح اول اجتماع للجان المشتركة لرئيسي مجلس الوزراء في كل من ليبيا وتونس ، والمنصوص عليها في الاتفاقيات الثنائية المعقودة

بين البلدين .

٦ فبراير : اجتماع مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية بالقاهرة .

١٣ فبراير : افتتاح مؤتمر الكتاب والمثقفين العرب في بنغازي .

١٧ فبراير : مباحثات بين بومدين والقذافي في مدينة قسطنطينية ، اسفرت عن تشكيل لجان مشتركة لدراسة مسائل الطاقة والصناعات والشركات المشتركة .

٢١ فبراير : اسقاط طائرة من طراز بوينج تابعة للخطوط الجوية الليبية في سيناء .

٢٦ فبراير : أثناء جنازة ضحايا البوينج الليبية هاجم بعض الشباب المتظاهر القنصلية المصرية في بنغازي .

٦ مارس : الفدائيون الفلسطينيون يعدمون ثلاثة من الدبلوماسيين (امريكيين وبلجيكي واحد) في سفارة العربية السعودية بالخرطوم .

السلطات السودانية تتهم ليبيا بمساعدة الفدائيين في تدبير تلك العملية .

١٥ مارس : الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القوى الناصرية في طرابلس .

٢١ مارس : مقاتلتان ليبيتان من طراز ميراج تهاجمان طائرة عسكرية امريكية من طراز « ل ١٣٠ »

٢٢ مارس : اسرائيل تتهم ليبيا بنقل بعض طائرات « الميراج » الى مصر.

٢٥ مارس : افتتاح المؤتمر الرابع لوزراء خارجية الدول الاسلامية في بنغازي .

٣١ مارس : القذافي يتقابل مع بومدين في طرابلس لمناقشة الحالة الخطرة التي تمر بها الامة العربية .

٨،٧ ابريل : لقاء القذافي وبومدين في حاسي مسعود .

١٦ ابريل: في خطاب هام بمدينة زوارة بمناسبة المولد النبوي الشريف ، فجر القذافي « الثورة الشعبية والثقافية » والتي تقضي بان يتسلم الشعب مقاليد السلطة بنفسه .

٣٠ ابريل : السيد منصور الكيخيا وزير الخارجية الليبي يقدم استقالته .

١٤ مايو : افتتاح المؤتمر العالمي لشباب أوروبا والبلدان العربية في طرابلس .

١١ يونيو : مجلس قيادة الثورة الليبي يؤمم شركة (بانكرهانت) للنفط . القذافي يهاجم الولايات المتحدة بشدة ويعلن قائلا « لقد حان الوقت لنوجه صفعة قوية على وجه امريكا الصفيق المتغطرس .. » .

٢ يوليو : افتتاح المؤتمر العالمي للشباب الاسلامي تحت رعاية جمعية الدعوة الاسلامية .

١٠ يوليو : السادات والقذافي يتوصلان الى اتفاق حول مبدأ اجراء استفتاءين حول الاتحاد . الاول يكون في أول سبتمبر ١٩٧٣ حول مبادئ وأسس الاتحاد ، والثاني في أول سبتمبر ١٩٧٤ حول شكل الدولة الجديدة واختيار رئيسها .

١٨ يوليو : (مسيرة الوحدة العربية) بدأت من رأس جدير بالقرب من الحدود التونسية وتضم آلاف الليبيين وتوجهوا في مسيرتهم نحو القاهرة .

السادات يوجه الى القذافي رسالة يطلب اليه فيها « اتخاذ موقف حازم وحكيم تجاه هذه المظاهرة » .

٢٠ يوليو : القاهرة تعلن أن القذافي استقال في ١١ يوليو ١٩٧٣ .

٢١ يوليو : مسيرة الوحدة تتوقف في « الفوكه » بعد أن تجاوزت الحدود المصرية وحطمت البوابات . مجلس قيادة الثورة يرفض استقالة القذافي .

٢٢ يوليو : تعود مسيرة الوحدة الى ليبيا .

٢٣ يوليو : القذافي يعلن العدول عن استقالته ويعلن أن الوحدة مع مصر أمر حتمي ولو كان ثمنها «حرب اهلية».

أول اغسطس: وفد، برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم يتوجه الى طرابلس لمناقشة القذافي والمسؤولين الليبيين حول متطلبات الوحدة.

٤ أغسطس: الطلبة الليبيون في الخارج يجتمعون في مؤتمر بطرابلس.

١٥ أغسطس: انتهاء الفترة الذي حددها القذافي في خطابه يوم ١٦ ابريل ١٩٧٣ لاستيلاء اللجان الشعبية على مقاليد السلطة والادارة في البلاد

١٦ اغسطس: وزير النفط الليبي يعلن أن حكومته تسيطر على ٥١ ٪ من رأس مال شركة «اويزس» وتوقيع اتفاقية تتعلق بهذه النقطة مع ثلاث من الشركات التابعة لهذه الشركة الأم وهي «الكونتيننتال، اميرادا، ومارتون» والرابعة هي شل، ولم توقع بعد.

٢٥ أغسطس: يصل القذافي على غير توقع إلى مصر وبرفقته الرائد عبد السلام جلود. وكان السادات حينئذ في زيارة الى العربية السعودية، حيث تقابل مع الملك فيصل على نحو سري.

٢٧ أغسطس: السادات والقذافي يتباحثان في القاهرة لمدة اربع ساعات بمفردهما بعد عودة الرئيس المصري من رحلته السريعة الى العربية السعودية وقطر. القذافي يتقابل مع القادة الفلسطينيين في نفس اليوم ويؤكد لهم من جديد تأييد ليبيا الكامل للثورة الفلسطينية.

٢٩ اغسطس: اذاعة القاهرة تعلن في بداية المساء اعلانا مطولا عن القيادة السياسية المصرية – الليبية الموحدة ويتضمن ثلاثة عشر مادة تتعلق بانشاء دولة عربية موحدة تظهر الى النور مع الفاتح من سبتمبر عام ١٩٧٣.

٣١ اغسطس: الرئيس بورقيبة يصل الى طرابلس للاشتراك في اعياد الذكرى الرابعة للثورة الليبية.

أول سبتمبر: القذافي لا يشترك في الاحتفالات المقامة في طرابلس . بورقيبة يبلغ الجماهير أن القذافي مصاب بوعكة خفيفة .

اول سبتمبر: الحكومة الليبية تؤمم ٥١ ٪ من أسهم عشرة شركات نفطية عاملة في ليبيا . منها (شل - اكسيكم - تكساكو - موبيل - ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا .....) .

٥ سبتمبر: افتتاح مؤتمر أقطاب عدم الانحياز في الجزائر .

٩ سبتمبر: كوبا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

١٠ سبتمبر: انشاء مجلس التخطيط الاعلى الذي نص عليه اتفاق الوحدة المصري - الليبي بقرار من القيادة السياسية الموحدة . عبد القادر حاتم وعبد السلام جلود يمثلان كل من مصر وليبيا . ومن جهة أخرى ، عين الدكتور مراد غالب وزيرا مقيما في طرابلس ومحمد بن يونس وزيرا مقيما في القاهرة .

١٩ سبتمبر: حجز خمسة قوارب صيد ايطالية داخل شواطئ ليبيا .

٢١ سبتمبر: التوجو تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

٢١ سبتمبر: تعرضت سفينة من البحرية الايطالية لدفعة طلقات اطلقتها عليها طائرات الميراج الليبية على بعد ٣٣ ميل من الشواطئ الليبية . الحكومة الليبية تعبر عن أسفها للحكومة الايطالية عقب تلك الحادثة .

٦ أكتوبر: اندلاع الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة . القوات المصرية تعبر قناة السويس وتحتل الخطوط الاسرائيلية المتقدمة .

٧ أكتوبر: القذافي يوجه الى الرئيس بومبيدو رسالة يعبر فيها عن أسفه لموقف الصمت الذي تلتزمه الحكومة الفرنسية من الصراع العربي - الاسرائيلي الجديد .

٧ أكتوبر : اعلن القذافي في خطاب بثه « صوت العرب » قائلا « رغم انه غير موافق على الخطة الاستراتيجية وأهداف الحرب فان ليبيا ستضع عائداتها النفطية في خدمة المعركة » .

٩ أكتوبر : رواندا وداهومي تقطعان علاقاتهما الدبلوماسية مع اسرائيل .

٩ أكتوبر : مجلس الامن يجتمع مرة ثانية في محاولات يائسة لوقف القتال .

١١ أكتوبر : فولتا العليا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

١٤ أكتوبر : اسرائيل تقوم بمسعى لدى حكومة فرنسا للاحتجاج على عملية الميراج » الفرنسية الصنع وعما اذا تدخلت اثناء هجوم السلاح الجوي المصري ضد الأهداف الاسرائيلية .

١٥ أكتوبر : وزير الخارجية الليبي يكذب الشائعات التي تروجها اسرائيل والتي تقول أن طائرات الميراج الليبية تشترك في الحرب .

١٦ أكتوبر : الكاميرون يقطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل .

١٦ أكتوبر : البلدان العربية المنتجة للنفط يجتمعون في الكويت ويقررون استعمال النفط كسلاح سياسي إلى أن تنسحب اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها .

١٦ أكتوبر : السادات يعلن في خطاب يلقيه أمام مجلس الشعب أنه مستعد للاشتراك في مؤتمر سلام عالمي تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة وقدم خطة من خمس نقاط . وأعلن القذافي في رسائله الموجهة الى كل من الرئيس بومبيدو وهيث وليون وبراندت « ان الجمهورية العربية الليبية . تتابع برضاء مواقفكم التي اتخذتموها تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي.. وهذه المواقف انما تدل على أن اوروبا تدرك مصلحتها جيدا ، وتعيد النظر في تدخلها في مجال السياسة العالمية . »

١٦ أكتوبر : صرحت جولدا مائير في خطاب لها أمام الكنيست أن « قوات مسلحة

اسرائيلية عبرت قناة السويس» وأضافت قائلة «أن شرط السلام هو تدمير القوة العسكرية للعدو».

١٨ أكتوبر: تانزانيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل.

١٩ أكتوبر: ليبيا تقرر مضاعفة السعر المعلن للبرميل من النفط الخام الليبي.

٢٠ أكتوبر: مدغشقر تستدعي جميع أعضاء سفارتها في اسرائيل وتطالب باستدعاء جميع الدبلوماسيين الاسرائيليين الى ناناريف.
جمهورية افريقيا الوسطى تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل.

٢٢ أكتوبر: في حديث صحفي مع صحيفة «لموند» الفرنسية صرح القذافي قائلا «هذه الحرب ليست حربي واني على اختلاف كبير مع الرئيسين السادات والاسد».

مجلس الأمن يوافق بأربعة عشر صوتا من ١٥ على قرار رقم ٣٣٨ الذي يقضي بوقف اطلاق النار بعد الموافقة على القرار باثنى عشر ساعة اي في الساعة (١٦٫٥٠ بتوقيت جرينتش).

الحكومة الاسرائيلية توافق بالاجماع على وقف اطلاق النار الذي قرره مجلس الامن. وعندما قبل السادات بدوره وقف اطلاق النار الذي أمر به مجلس الامن، أعلن أن عملية القوات المسلحة العربية أخرجت الازمة من المنعطف. العراق والفلسطينيون يرفضون وقف اطلاق النار.

٢٣ أكتوبر: القاهرة تتهم الاسرائيليين بخرق وقف اطلاق النار منذ الساعات الاولى لتطبيقه. المعارك تستمر على جميع الجبهات. اثيوبيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل. مجلس الامن يصدر قرارا جديدا رقم (٣٣٩) بـ ١٤ صوتا من ١٥ — يؤكد فيه القرار رقم ٣٣٨ ويطلب انسحاب جميع القوات من المواقع التي كانت تحتلها منذ سريان وقف اطلاق النار.

٢٤ أكتوبر . سوريا تقبل بدورها وقف اطلاق النار.

٢٦ أكتوبر : بريجنيف يعلن أمام المؤتمر العالمي لقوات السلام ارسال مراقبين سوفييت إلى الشرق الاوسط .

٢٧ أكتوبر . نيكسون يستنفر جميع قوات الولايات المتحدة الامريكية الذرية .

٢٨ أكتوبر . غانا والسنغال تقطع علاقاتهما الدبلوماسية مع اسرائيل . الجابون توقف علاقاتها مع اسرائيل . العربية السعودية تقرر وقف تصدير نفطها إلى هولندا .

أول نوفمبر : كينيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

٤ نوفمبر . البلدان العربية المنتجة للنفط والمجتمعة في الكويت تقرر تخفيض صادراتها من النفط الخام الى ٢٥ ٪ .

٧ نوفمبر . مصر والولايات المتحدة الامريكية تقرران استئناف علاقاتهما الدبلوماسية التي كانت قد قطعت منذ عام ١٩٦٧

٨ نوفمبر . ساحل العاج تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

١١ نوفمبر . مصر واسرائيل توقعان اتفاقية فنية حول ترتيبات وقف اطلاق النار.

١٥ نوفمبر . وكالة الانباء الليبية تذيع نص الرسالة المفتوحة التي وجهها القذافي إلى الرئيس السادات ، والتي جاء فيها ... (أنا أختلف مع الآخرين الذين يستنكرون تحركك السياسي الحر. ويعيبون على اعادة علاقاتكم الدبلوماسية مع امريكا .... ولا أفقد أعصابي عندما ينتزع العدو الضفة الغربية للقنال ..... ولكن أستنكر بشدة أن يوقف القتال ولو بالسلاح الابيض .... يوقف القتال وصولا الى أمرين اما التسليم للعدو بما يحتل من أرض عام ٤٨ وحتى عام ١٩٧٣ ، أو الانسحاب . الانسحاب الجزئي طبعا ... واني أغضب حتى الثمالة على ما يجري في الكيلومتر ١٠١ .... ولا

أفهم ما يجري عند الكيلومتر ١٠١ أو أنني نائم وفي حلم مزعج .)

١٨ نوفمبر : القذافي يصل بلجراد في زيارة رسمية لمدة أربعة أيام .

١٩ نوفمبر : ليبيا والعراق تقرران عدم الاشتراك في مؤتمر القمة العربي الذي يعقد في الجزائر يوم ٢٦ نوفمبر .

٢١ نوفمبر : وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية يختتمون أعمالهم في أديس أبابا ويطالبون جميع الدول الافريقية بعدم إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل طالما لم تنسحب من جميع الاراضي العربية التي احتلتها .

٢٣ نوفمبر : القذافي يصل إلى باريس للاشتراك في ندوة نظمتها صحيفة العالم الفرنسية .

٢٤ نوفمبر : الرئيس بومبيدو يستقبل القذافي لمدة ساعتين . وبعد الظهر حضر القذافي الندوة التي نظمتها صحيفة لوموند (العالم) .

٢٥ نوفمبر : غادر القذافي باريس متوجها الى طرابلس عقب المؤتمر الصحفي الذي استغرق ساعتين .

٢٦ نوفمبر : افتتاح مؤتمر القمة العربي في الجزائر ولم تشترك فيه العراق وليبيا . تم قبول انضمام موريتانيا إلى الجامعة العربية بالاجماع وبذلك وصل عدد أعضائها إلى ١٩ عضوا .

٢٨ نوفمبر : مؤتمر القمة العربي يختتم جلساته . الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بأنها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . التمسك بحظر النفط .

١٤ ديسمبر : مؤتمر القمة الأوروبي لدول السوق التسع يبدأ في كوبنهاجن . ستة من الوزراء العرب يتوجهون إلى العاصمة الدانمركية لمقابلة وزراء خارجية السوق .

٢١ ديسمبر : مؤتمر السلام حول الشرق الاوسط يبدأ جلساته في جنيف وتشترك فيه كل من مصر والاردن واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي والأمين العام للأمم المتحدة . وتغيبت سوريا.

٣١ ديسمبر : اجراء الانتخابات التشريعية الاسرائيلية وكان محددا لها في البداية يوم ٢٣ اكتوبر وتأجلت الى ما بعد الحرب .

عام ١٩٧٤

٣ يناير : صرح عبد السلام جلود رئيس الوزراء الليبي لوكالة الانباء الليبية بأنه يعتبر أن السعر الجديد للنفط منخفض جدا .

١٢ يناير : في بيان جزيرة جربة في تونس والذي وقعه كل من القذافي وبورقيبة – قررت كل من ليبيا وتونس ان تتحدا في دولة واحدة.

١٤ يناير : بعد ٤٨ ساعة من توقيع اتفاق الوحدة التونسية الليبية في جربه أبعد المصمودي وزير خارجية تونس من السلطة بعد تعديل وزاري.





المراجع المعاونة

حسب ما أعلم لا يوجد الى الآن أي عمل يعرض في مجموعه ، حياة وحركة العقيد القذافي . غير أن هناك الكثير من المقالات التي ظهرت في الصحف والمجلات سواء كانت اسبوعية أم شهرية -حاولت تحليل مظهر أو اخر من سياسته أو فكره . وقد دونت المعلومات والمادة التي يتضمنها هذا الكتاب بعناية وبطريقة مباشرة من مصادرها وأعتقد أن القارئ لن يكن لي ضغينة عندما لا أعطي له هنا سوى عناوين لمجموعة من المقالات الرئيسية والتحقيقات التي نشرت حول رئيس الدولة الليبي .

* *
*

الكتب

ح م شفاليه : « الرهان النفطي الجديد » كالمان ليفي ، باريس ١٩٧٣

س . أ حجاجي: « ليبيا الجديدة » طرابلس ١٩٦٧ .

ل . موسلي : « حرب النفط » ، « صحافة المدينة » ، باريس ١٩٧٣

ج . بيشون : « مسألة ليبيا في تسوية السلام » ، باريس عام ١٩٤٥

م . رودنسون : « محمد » سيول . باريس عام ١٩٦١

روسي : « ليبيا » . طبعة رونكوتر لوزان ١٩٦٥

أ . سكوت : « دعوة ضد القذافي » فيليب دودي ، باريس ١٩٧٣

ب . سال ، كونفيل م ، / « عملية الهيلتون » تمبل سميث ، لندن ١٩٧٣

توندورف / « ليبيا مملكة الرمال » مزناند ناتان ، باريس ١٩٦٩

ج . راتب / « ليبيا » .. ايرنست بن ، لندن ١٩٦٩

مقالات موقعة

اجيللون : « القذافي ، ونبيه »
الاسبرسو (روما) في ٢٧ مايو ١٩٧٣

بول بالتا : « ليبيا ، القذافي الذي يفوز بالثورة » ، لوموند ، سلسلة مقالات من ١٨ الى ٢٠ ابريل ٧٣

ج . ج . بريبي: « الاسس التاريخية والسياسية للصراع النفطي المعاصر. المجلة الفرنسية للعلوم السياسية ، في ديسمبر ١٩٧٢ .

ب . بوا : لوفيجارو، سلسلة مقالات من ٣ الى ٦ مارس ١٩٧٢ .

ه . برتون : النفط الليبي في خدمة الوحدة العربية ، المجلة الفرنسية للعلوم السياسية ديسمبر ١٩٧٢ .

م . ر. بول : تغيير في ليبيا الغنية بالنفط ، امريكان ورلد ، لندن في مارس ١٩٧٠ .

ب . بوروكي: ليبيا « عندما يشرح القذافي نفسه » مقابلة صحفية لوكالة الانباء الفرنسية الصحفية والمصورة ونشرت في صحيفة الفيجارو بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٠ .

أ . فرانكوس: جون افريك – سلسلة مقالات في ١٩٧٢/٢/٥ ، ١٢/ ٢/ ١٩٧٢ ، ١٩٧٢/٤/١٥ ، ١٩٧٢/٦/١٧ ، ١٩٧٢/٦/٢٤ .

أ . جوديو : « ليبيا .. افريقيا الحالية » مايو ١٩٦٦ .

أ . جوديو : « الجمهورية العربية الليبية » مجلة المغرب مايو – يونيو ١٩٧١ .

عبد الامير كباح : ليبيا ، صناعتها النفطية ونظامها الاقتصادي » المركز العربي للابحاث النفطية والاقتصادية بغداد في ١٩٦٤ .

د . لينت : « ليبيا القذافي » مايو ١٩٧٣

سيمون مالي : « طرابلس في ساعة الاختيار» ، مجلة أفريك – آسيا ، مارس ابريل ١٩٧٠ .

مهنى : جون افريك – سلسلة مقالات ١٩٧٠/٧/٢١ ، ١٠/٢٠/ ١٩٧٠

أ . بلت : استقلال ليبيا والامم المتحدة ، يال اليونيتدبرس عام ١٩٧٠ .

ن . بروفيت : « العرب يخلطون النفط بالسياسة » ، نيوزويك في ١١/١٠/ ١٩٧٣

ت . رفاعي : أزمة النفط العالمية (١٩٧٠ – ١٩٧١) المجلة الفرنسية للعلوم السياسية في ديسمبر ١٩٧٢ .

ب . روندوت : « ليبيا بين افريقيا ، والعالم العربي ، والغرب » دراسة يوليو – اغسطس ١٩٥٦ .

ب . روندوت : « ليبيا تتبوأ المكانة الاولى ضمن الدول العربية » ، مجلة الدفاع الوطني في نوفمبر ١٩٦٧ .

ب . روندوت : « ليبيا اليوم » دراسات ، أغسطس – سبتمبر ١٩٦٨ .

ب . روندوت : « دور يتزايد في السياسة العربية » . المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية . يوليو ١٩٧٠ .

ب . روندوت : « الامكانيات الجديدة في ليبيا » ، مجلة الدفاع الوطني ، نوفمبر ١٩٦٩ .

ب روندوت / « الاقتصاد القومي والشؤون العربية – مسائل اساسية في الحياة السياسية » المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية في اكتوبر ١٩٧٠ .

ب روندوت / « مشاكل وامكانيات اتحاد الجمهوريات العربية » مجلة الدفاع الوطني فبراير ١٩٧٢ .

ب . روندوت / « مرحلة التأكيد السياسي » المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية في مايو ١٩٧٢ .

س . سابلييه / لوموند ، سلسلة مقالات من ١٢ الى ١٩٦٩/١٢/١٤ .

ى . سابيليه / جون افريك ، سلسلة مقالات في ١٩٧١/٤/٢٧ ، ٢٧/٧/ ١٩٧١ ، ١٩٧١/٨/٣١ .

فيليب دوسانت روبرت : « عندما تظهر ليبيا » مجلة الدفاع الوطني ، يناير ١٩٧٣
شيهان : « العقيد القذافي ، ثوري ليبيا الغامض » مجلة نيويورك في ٦/٢/١٩٧٢ .
جي ستبون : « القذافي ، الرجل المكروه » لونوفيل ابزرفاتور في ٩/٤/١٩٧٣
ويصا واصف: « الوحدة الاندماجية بين مصروليبيا هل هي قابلة للاستمرارية ؟ » ، مجلة الغرب في سبتمبر - اكتوبر ١٩٧٢ .

مقالات غير موقعة

مجلة المغرب : « العلاقات والمتبادلات بين ليبيا وجيرانها من بلدان المغرب » سبتمبر– اكتوبر ١٩٦٩

مجلة المغرب : « ليبيا ومصر» مايو– يونيو ١٩٧٠

المجلة العسكرية العامة : « ليبيا على مسرح البحر المتوسط نوفمبر ١٩٦٩»

خدمات الصحافة النفطية : ماذا يفيد الانتظار في ليبيا الان ؟ ٨ اغسطس ١٩٧١»

نيوزويك : ضغط النفط العربي – ١٧ سبتمبر ١٩٧٣

مجلة التايم : العرب : الزيف ، الطاقة ، العنف – ١٢ ابريل ١٩٧٣

كتب ودوريات

باللغة العربية

الاتحاد الاشتراكي العربي ، طرابلس : نتائج الصراع العربي – الصهيوني .

وزارة الاعلام والثقافة ، طرابلس :ثورة الفاتح من سبتمبر (مجلد سنوي – ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣)

الشباب الناصري ، طرابلس : سلسلة مقالات .

الوحدة – طرابلس : الاسلام والقوى الشعبية العاملة الثالثة
الاتحاد الاشتراكي العربي ، طرابلس : ملامح النظرية الثالثة .
القذافي : مجموعة الخطب التي القاها العقيد القذافي – وتتكون من ثلاثة اجزاء صادرة عن وزارة الاعلام بالجمهورية العربية الليبية .
الفجر الجديد ، طرابلس : مجموعة مقالات .

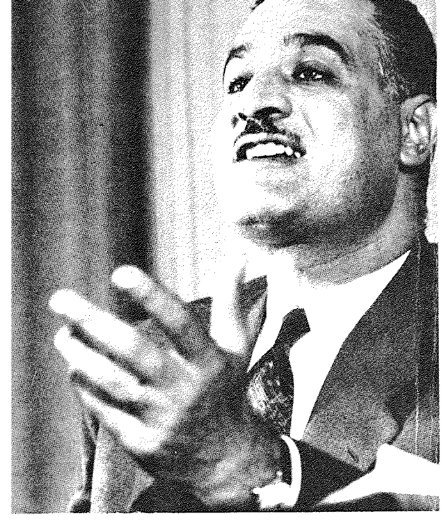
*
* *



صدرَ هذا الكتاب باللغة الفرنسية عن شركة STOCK في ١٥ فبراير ١٩٧٤
وصدر باللغة العربية عن دار الشوري - بيروت في ١٥ سبتمبر ١٩٧٤
طبع بالاوفست على مطابع سيستكو - هاتف ٣٨٣٦٩٥ - ٣٨٣٦٧٥ - بيروت

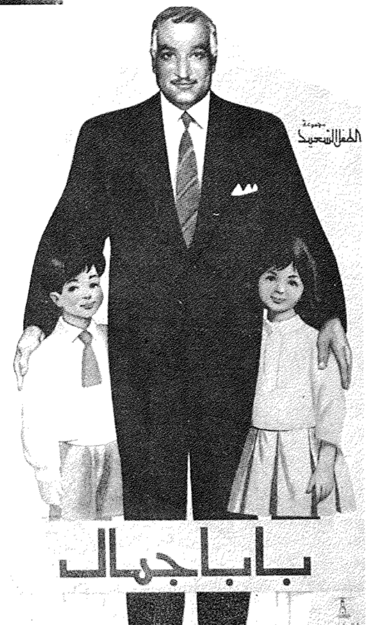


القـذافي رئيس الدولـة : " الحلم يتحقق ... "



" يجب التطلع نحو جمال عبد الناصر ... "

جمال عبد الناصر :



ناصر في نظر الشعب الليبي :

" رمز مهيب ... "

ناصر والقذافي : " بنوة روحيه ... "

اجتماع القمة من اليسار الى اليمين : " الملك فيصل ، القذافي ، عبد الرحمن الارياني (اليمن) وناصر :

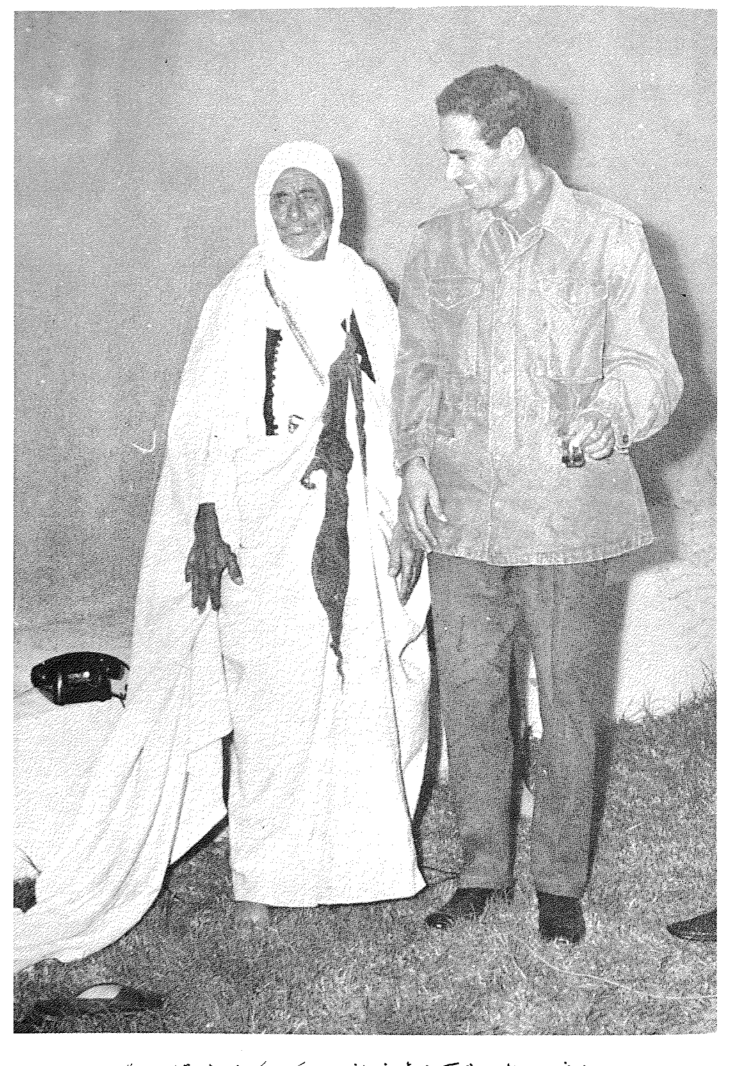
" إن الوحدة العربية هي الوسيلة الوحيدة للخلاص ... "

والد القذافي ووالدته في الصَحراء
" اسْرة بدويه "



والده محمد عبد السلام بن حمد بن محمد
ووالدته عائشة :

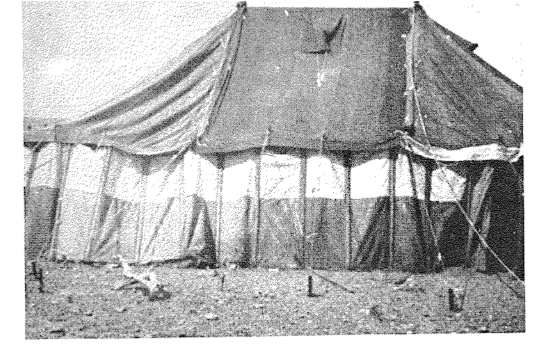
" الابن الوحيد معبود أبوَيه ".



القـذافي مع والده : " كنت أعرف انه سينجَح وسَيشق طريقه ... "

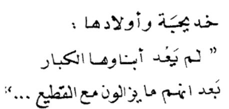
مَع عائلته :
" كانت مدرَستہ الاخرى هى حياته مع القبيلة ... "

مَع والـدته :
" كانـ دائماً محباً لهـا ... "



الخيمه حيث يعيش
والد القذافي .





خديجة وأولادها :
" لم يَعُد أبناوها الكبار
بَعد انهم ما يزالون مع القطيع ..."



صَحراء سَرت :
" امتداد قاحل
تنبت فيه الاشواك ..."



القذافي الفتى في مصراته :

" انه يعبد الاولاد ... "

بثياب طلبة الكلية الحربية مع محمد خليل : " الصديق الدائم ... "

القذافي في الصحراء المزروعة :

" حلم الطفولة تحقق ... "

ترويض الصحراء : " شلالات من الفضة بين القمح الطري ... "

مَع الطلبة : « الآن نعمل بلذة ... »

مَع المزارعين : « انه يضحك ويحمّس الجميع ... »

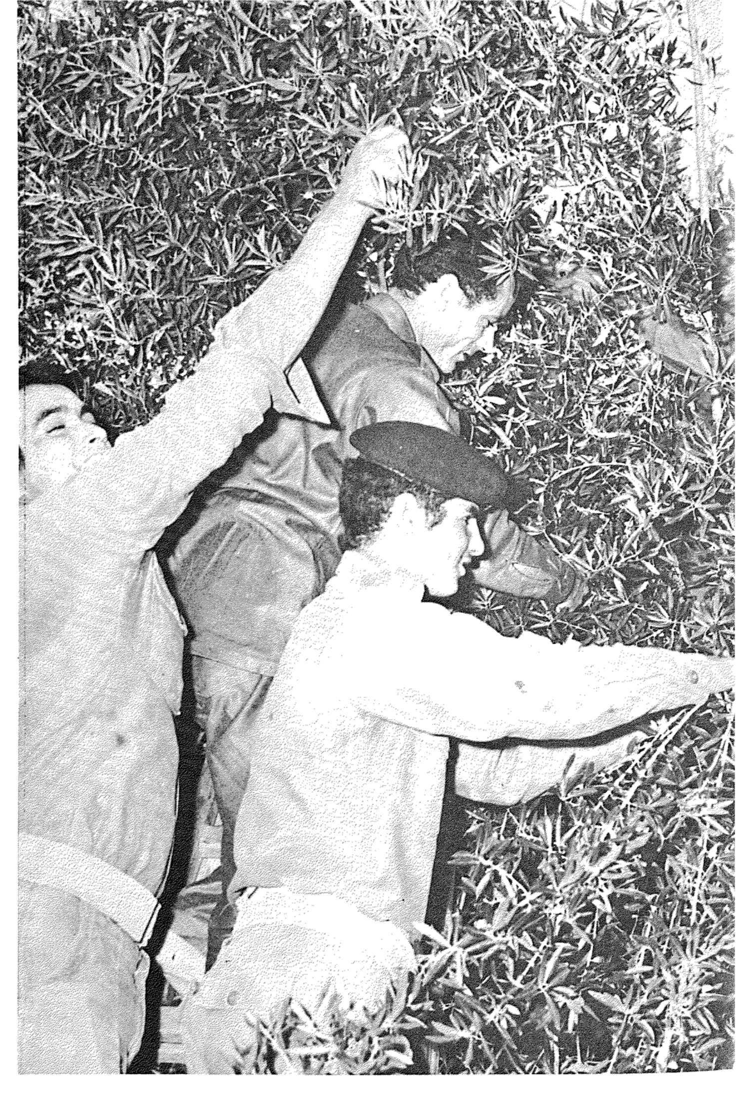


القذافي في لحظة خشوع : " لاخلاص للبشر ولا للامم من دون الايمان بالله ... "

المؤلفة مع والد القذافي :
" اعتقدت انك في سرت " .
"وانا اعتقدت انك في فرنسا ... "



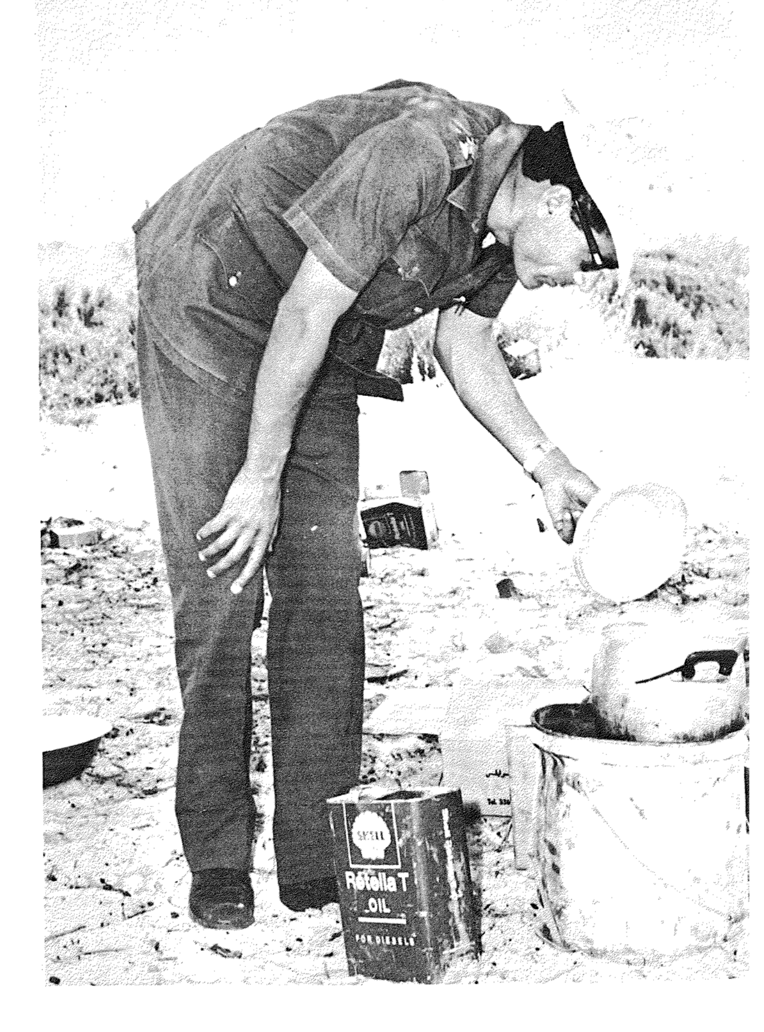
القذافي يستقبل المؤلفة :
" لقاء ودي ... "



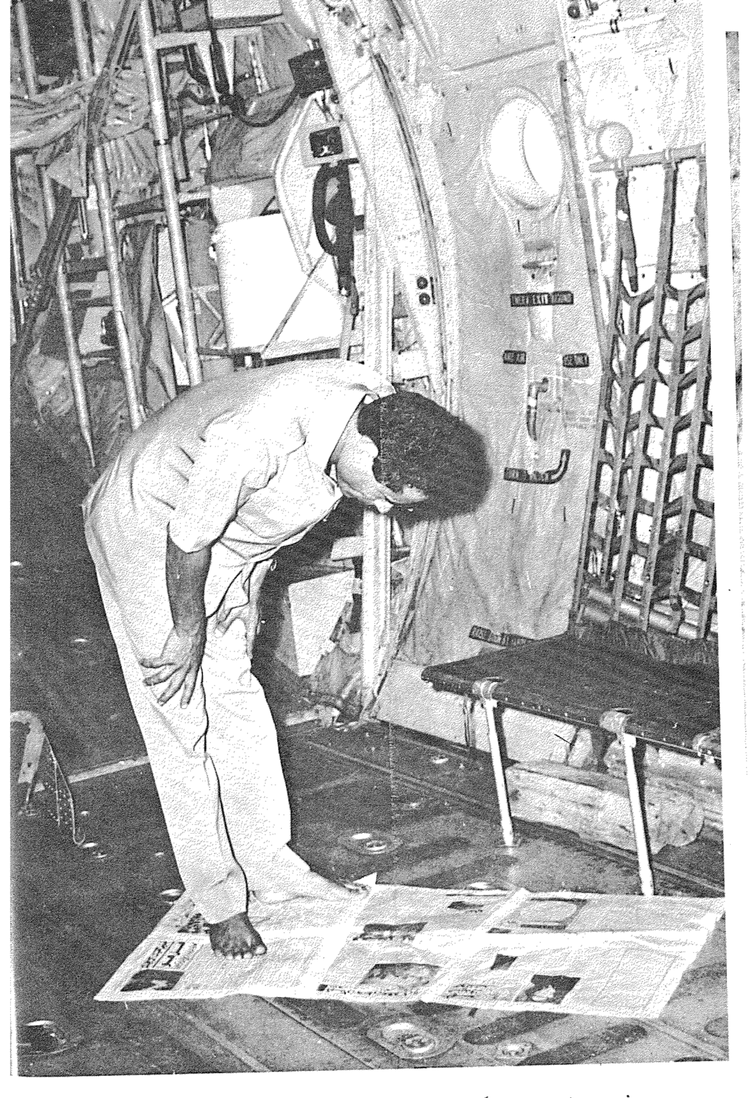
القذافي مع رفاقه يشتركون في حملة جمع الزيتون



على رمال الصحراء
يستريح ويتأمل ...



خلال جولة من جولاته في الصحراء يتعرف على وجبة الطعام القادمة



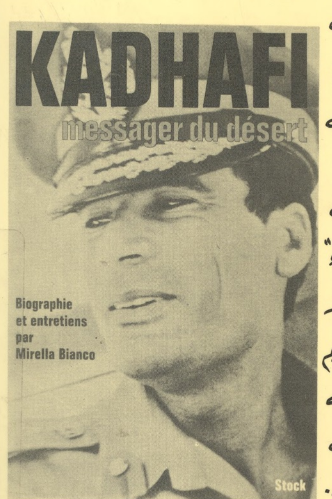
في الطائرة وفي كل مكان لا ينسى واجبه نحو ربه

ولد في الصحراء ، وفي الصحراء تعلم القراءة والكتابة وهو في العاشرة من العمر.
في الرابعة عشرة أقسم أمام الله على أنه سوف يحرر بلاده من الحكم المرتبط بالمستعمر الاجنبي.

وفيما كان معمر القذافي يتلقى تعليمه في المدرسة ، انصرف الى التعمق في دراسة القرآن الكريم ، وفي المدرسة ايضاً اتفق مع الرفاق على دخول الكلية الحربية ؛ الطريق الوحيدة الى تأمين نجاح الثورة والتحرير.

في الثامن من سبتمبر ١٩٦٩ ، عرف العالم اجمع ، أن الثورة التي قامت في ليبيا في الفاتح من سبتمبر ، كان قائدها شاباً في السابعة والعشرين من عمره ، ابن الصحراء معمر القذافي.

من هو معمر القذافي حقاً ؟ من هم الذين حوله ؟ ما هو فعلاً مدى سلطته ؟ وكيف يفسر هو نفسه ، عمله .. ودوافعه واهدافه ؟ ما هو السبب في الروايات المتناقضة حول شخصه في حين أن وسائل الاعلام الحالية تجعل جميع "الملوك عراة .." ؟!



إن هذا الكتاب المشوق أكثر من رواية خيالية " القذافي رسول الصحراء" لا بد أن يصبح ذات يوم المصدر الاهم لكل ما تريد أن تعرفه عن الزعيم الليبي الشاب ، ولكل ما يريد أن يعرفه المؤرخون عن القائد الذي يلعب دوراً اساسياً في مصير الوطن العربي.

دار الشورى - بيروت
السعر ١٧,٠٠ ل.ل.